الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة

قسم التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

عنوان المذكرة:

التطور العمراني والاجتماعي لمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعمارية 1837-1945م.

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

إعداد:

1- كوثر مكي

2- يسرى بساقليَّة

لجنـة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلميَّة	الصفة
بولجويجة سعاد	أستاذ محاضر أ	رئيسا
سلوى بوشارب	أستاذ محاضر ب	مشرفًا
خميسة مدور	أستاذ محاضر أ	عضوًا مناقشًا

السنـة الجـامعية: 2020م- 2021م/1441-1442هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

عملا بقوله تعالى: ﴿ **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...** ﴾ **سورة إبراهيم الآية 07.**

ولقول **رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم: "من لم يشكر النَّاس لم يشكر الله"**

شكر الله عزَّ وجلَّ على توفيقه لنا، إذ كان لنا خير المعين فله الحمد والشُّكر.

نتقدَّم بالشُّكر الجزيل إلى أساتاذتنا الفاضلة والمشرفة على هذا الموضوع الدكتورة "**سلوى بوشارب**" لما أسهمت به من توجيهات وملاحظات لإنجاز هذا العمل، فلها منَّا أسمى عبارات الاحترام والتَّقدير والشُّكر الجزيل.

كما نتقدَّم بوافر الشُّكر والامتنان إلى الأستاذة الفاضلة الدكتورة " **سعاد بن رمضان**" التي كان لها الفضل في تذليل الكثير من الصِّعاب التي واجهتنا وكذلك على تصويباتها السَّديدة لإنجاز هذا العمل فجزاها الله عنَّا أفضل جزاء.

دون أن انسى فضل الأستاذ والزميل الدكتور"**رابح عيساوي** " الذي قدَّم لنا توجيهات حول موضوعنا كما نتوجَّه بخالص الشُّكر والتَّقدير إلى عمَّال مكتبة كليَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة وكذلك عمَّال المكتبة المركزيَّة، كما لا ننسى عمَّال أرشيف ولاية قسنطينة بالإضافة إلى عمال مكتبة جامعة **الأمير عبد القادر** بولاية قسنطينة، كما نشكر أيضا عمَّال متحف المجاهد بولاية **قالمة** وعمَّال مكتبة بلديَّة لخزارة فشكرا لكم جميعا، كما أنه من دواعي العرفان والجميل أن نتوجَّه بالشُّكر إلى لجنة المناقشة لاطِّلاعها على عملنا المتواضع. كما لايفوتنا أن نشكر جميع أساتذة قسم التاريخ.

وإذ لا يكتمل حتى ينسب لكل ذا فضل فضله نتوجَّه بتحيَّة شكر إلى كل من علَّمونا قداسة الحرف ومهَّدوا لنا طريق العلم وإلى كل من كان لهم الفضل في ايصالنا إلى هذه الدَّرجة من العلم. إلى أساتذتنا الكرام حفظهم الله من الطَّور الابتدائي إلى المسار الجامعي- **شكرا**-

لكل هؤلاء نتقدَّم بالشُّكر الجزيل والامتنان العظيم. - **شكرا لكم**-

كوثر+ يسرى

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

التي ساندتني كثيرا خلال مشواري الدِّراسي وعلَّمتني الصَّبر ودفعتني إلى طريق النَّجاح وكانت دعواها لي بالتَّوفيق تتبعني خطوة خطوة إلى نبع الحنان "أمي العزيزة"

"نورة عيساوي" حفظها الله لي وأمدها بالصحة والعافية.

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار والدي الغالي

"بوجمعة"

الذي مهَّد لي درب العلم وتحمَّل الصِّعاب لأصل إلى ما أنا فيه أمدَّ الله في عمره ومتَّعه بالصحَّة والعافية

إلى زوجي الفاضل "صلاح" الذي ساندني طيلة مشواري الجامعي.

وإلى كل عائلة زوجي– دريدي– كبيرا وصغيرا وخاصة "علاء" حفظه الله.

إلى كل عائلتي–مكي– وإلى كل عائلة أمي– عيساوي– صغيرا وكبيرا.

إلى أخواتي" ميساء" وفَّقها الله في شهادة الباكلوريا وإلى أختي الصَّغيرة الكتكوتة" آية" حفظها الله.

إلى الأخت والصَّديقة " زهية الصوم" التي ساندتني كثيرا في هذا الموضوع، حفظك الله.

إلى كل طلبة قسم التاريخ وأخصِّص بالذكر دفعة 2021م وخاصَّة صديقتي الغالية "سهايلية نور الهدى"، وإلى صديقتي في هذا العمل " يسرى بساقلية"

إلى كل من ساندني ولو بكلمة طيِّبة

أهدي ثمرة جهدي هذا المتواضع وإلى كل من يستفد منه مستقبل

كوثر

الإهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ صدق الله العظيم سورة التَّوبة الآية: ﴿١٠٥﴾

الحمد لله الذي يسَّر لنا أمورنا وعزَّزنا بالفهم.

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على محمد أعظم النِّعم.

أهدي تخرُّجي

إلى من أحمل لقبه بكل افتخار... إلى من سعى وشقي لأنعم بالرَّاحة ولأصل إلى أعلى المستويات... إلى صاحب الشَّأن العالي.

"أبي الغالي حفظك الله ورعاك"

إلى نبع الحنان... إلى من عبدت لي طريق النَّجاح بدعواتها وابتسامتها... بارك الله في عمرها وأمدَّها بالصحَّة والعافية.

"إلى أمي الكريمة"

إلى من شاركني في كل تفاصيلي... إلى من ساندني كثيرا خلال مشواري الدِّراسي "

زوجي لطفي بارك الله فيه."

إلى من حبُّهم يجري في عروقي.. ويبهج بذكراهم فؤادي " إلى أخواتي الأعزَّاء" إلى زميلاتي في قسم التَّاريخ " مكي كوثر" التي رافقتني في هذا العمل وكذلك "نور الهدى سهايلية" التي قدَّمت لنا المساعدة بارك الله فيهما.

كما أتقدَّم بجزيل الشكر إلى الأستاذة الدكتورة " سعاد برمضان" والأستاذة الدكتورة أيضا" سلوى بوشارب" اللَّتان أشرفتا علينا ولم يبخلو علينا بتوجيهاتهم ونصائحهم القيِّمة التي كانت ركيزة لموضوعنا شكرا لهما.

يسرى

قائمة المختصرات:

المختصرات المستعملة في البحث:

المختصرات باللُّغة العربيَّة:

اختصارها	الكلمة
د. د. ن	دون دار النَّشر
"ت" أو "تر"	ترجمة
تع/ تع	تعريب/ تعليق
ج	جزء
مج	مجلّد
ع	عدد
ك	كتاب
د.ط	دون طبعة
د.م	دون مكان
د.س	دون سنة
ص	صفحة
ص ص	تعدد الصفحات
ط	الطبعة

2- المختصرات باللُّغة الفرنسيَّة:

P :page.

pp : N de pages.

M.G : Ministre de la guerre.

S .D : Son Date.

مقدمة

تعتبر **قسنطينة** واحدة من أهم المدن الجزائريَّة التي لها تواصل حضاري من أقدم العصور وإلى غاية يومنا هذا، هذه المدينة الواقعة في الشَّرق الجزائري تعاقبت عليها فترات عتيقة من التَّاريخ بداية من فترة ما قبل التَّاريخ، ونالت أهميَّة كبرى خلال الفترة القديمة، وكانت عاصمة لمملكة **نوميديا** ومدينة استراتيجيَّة خلال الفترة الرُّومانيَّة وما يليها، للتواصل أهميَّتها الحضاريَّة مع الفترة الحديثة أين وقعت تحت الحكم العثماني الذي استقرَّ بها طيلة **ثلاثة قرون** فجعلوا منها عاصمة الشَّرق الجزائري حيث عرفت المدينة خلال هذه الفترة حركة عمرانيَّة واسعة شملت مختلف المؤسَّسات العلمية والمنشآت العموميَّة، وعليه عرفت المدينة أوج ازدهارها، في شتى مجالات الحياة خاصة في أواخر العهد العثماني في فترة حكم "**الحاج أحمد باي**".

ومن غير المستبعد أنَّها كانت بمثابة المدينة الشَّرقيَّة الاستراتيجيَّة مع فترة الاحتلال الرُّوماني لهذا السَّبب اعتبرتها فرنسا بمثابة العصب الأساسي والعمود الفقري **للجزائر** وأن وحدة **فرنسا** لن تكتمل إلا باحتلال هذه المدينة، كل هذا دفع بالسُّلطات الاستعماريَّة بإقامة الحملة الفرنسيَّة الأولى عام **1836م** والتي فشلت، ثم تبعتها الحملة الفرنسيَّة الثَّانية عام **1837م** التي انتهت بسقوط المدينة في يد الفرنسيين وكان ذلك يوم **الجمعة 13 أكتوبر 1837م**؛ وخلال الفترة الممتدة من **(1837– 1945م)** شهدت **قسنطينة** العديد من التَّطوُّرات والتي مست مختلف مجالات الحياة وأهمَّها الجانب العمراني والاجتماعي

هذا الأخير الذي عرف تغُّيرات جذريَّة غيَّرت من صورة **قسنطينة** القديمة إلى **قسنطينة** الجديدة، ومن هذا المنطلق كان لزامًا علينا أن نعالج هذا الموضوع المتمثّل في التَّطور العمراني والاجتماعي لمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعماريَّة **(1837– 1945م)**.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

لقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع بالذَّات، لإعداد مذكّرة لنيل شهادة الماستر في التَّاريخ المعاصر لعدَّة أسباب: **ذاتيَّة** وأخرى **موضوعيَّة.**

الأسباب الذَّاتيَّة

- الرَّغبة في دراسة المواضيع خاصَّة التي لها علاقة بتاريخ **الجزائر**.

- الرَّغبة في دراسة موضوع مهم كموضوع مدينة **قسنطينة** خلال الفترة الاستعماريَّة.

- بالإضافة إلى أنَّ هذا الموضوع كان من اختيار أستاذتنا المشرفة التي اقترحته علينا وهذا ما دفعنا بإصرار وعزيمة وحبا لدراسته ومحاولة الغوص في ثناياه.

- الفضول العلمي للاطِّلاع على بايلك الشَّرق الجزائري.

الأسباب الموضوعيَّة:

- تقديم إضافة لميدان البحث العلمي ولو بالجزء البسيط.

- محاولة تقديم دراسة أكاديميَّة تثري المكتبة الجامعيَّة.

- التَّعرف على المجتمع القسنطيني في جانبه الاجتماعي والعمراني خلال الفترة الاستعماريَّة.

- النَّقص الذي لاحظناه خلال مرحلة ما قبل التَّدرج في الدِّراسات التَّاريخيَّة التي تتناول الجانب العمراني خاصَّة لمدينة **قسنطينة**.

- التَّعرف على ماضي مدينة **قسنطينة** وكيفيَّة تشكل معالمها العمرانيَّة والاجتماعيَّة.

الإشكالية:

تتمحور **إشكالية** دراستنا هذه حول: **أهم التَّطوُّرات العمرانيَّة والاجتماعيَّة الفرنسيَّة التي طرأت على البنية السكَّانيَّة والنَّسيج العمراني القديم لمدينة قسنطينة،** والتي أضافت طابعًا معماريًّا جديدًا بنمط أوروبِّي على حساب الطَّابع المعماري السَّائد بها في الفترة العثمانيَّة السَّابقة بالإضافة إلى أهم التَّغيُّرات التي أحدثتها فرنسا في الجانب الاجتماعي للمدينة والذي نتج عنه إحداث خلل في التَّركيبة الاجتماعيَّة وتزايد عدد الأوروبيين على حساب السكَّان المحلِّيين، ومن هذا المبدأ فإنَّ الإشكاليَّة التي بنيت عليها هذه الدِّراسة تتمثَّل: **ماهي أهم التَّغيُّرات العمرانيَّة والاجتماعيَّة التي قامت بها السُّلطات الاستعماريَّة في مدينة قسنطينة؟ وكيف ساهمت في التأثير على المجتمع القسنطيني؟**

وللإجابة على هذه **الإشكالية** وضعنا جملة من التَّساؤلات الفرعيَّة التَّالية:

- كيف كانت الأوضاع العامَّة في قسنطينة أواخر العهد العثماني؟

- كيف تمَّ احتلال المدينة عسكريًّا من قبل السُّلطات الاستعماريَّة؟

- ماهي أهم التَّحوُّلات العمرانيَّة التي طرأت على مدينة قسنطينة؟

- وماهي أهم هذه الهياكل التي خلقت صورة عمرانيَّة جديدة لمدينة قسنطينة؟

- فيما تمثَّلت أساليب ووسائل السِّياسة الفرنسيَّة الاستعماريَّة في مدينة قسنطينة في الجانب الاجتماعي؟ وماهي أهم الأهداف المستخلصة منها؟

حدود الدراسة:

وقد حدَّدنا الإطار الزَّماني للبحث بفترة زمنيَّة ممتدَّة من **1837- 1945م** على امتداد تسعة سنوات منذ سقوط المدينة في يد الاحتلال الفرنسي وكان ذلك **يوم الجمعة 13 أكتوبر 1837م- 1945م،** وذلك حتى نتمكَّن من تتبُّع الأحداث والتَّطوُّرات التي عرفتها

المدينة عقب الاحتلال العسكري ورصد التَّحولات التي طرأت على الجانب العمراني والاجتماعي خلال الفترة الاستعماريَّة الممتدة **من1837م– 1945م.**

أهداف الدِّراسة:

تهدف دراستنا إلى التَّعرُّف على أهم التَّطوُّرات التي طرأت على الجانب العمراني والاجتماعي لمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعماريَّة 1837– 1945م.

– معرفة أوضاع **قسنطينة** أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، بالإضافة إلى التَّطرق إلى أهم التَّحويرات العمرانيَّة والاجتماعيَّة التي استحدثها الاستعمار .

مناهج الدِّراسة:

إنَّ البحث في موضوع العمران والمجتمع وتطوُّره يتطلَّب من الباحث اتِّباع منهجيَّة علميَّة دقيقة؛ وعليه اعتمدنا في دراستنا هذه على المناهج التَّالية:

– **المنهج التَّاريخي السَّردي:** وذلك بتتبُّع أهم التَّحوُّلات الاجتماعيَّة والتَّوسُّعات العمرانيَّة التي مرَّت بها **قسنطينة** بالمكان والزَّمان بتعيين التَّواريخ الدَّقيقة لها وفقًا لتسلسلها الزَّمني.

– **المنهج التَّحليلي:** حيث قمنا بتحليل التَّغيُّرات الاجتماعيَّة والتَّطوُّرات العمرانيَّة الفرنسيَّة التي مسَّت مدينة **قسنطينة،** وإبراز الأهداف والغايات الفرنسيَّة منها؛ وكذلك الهدف من خرق النِّظام الاجتماعي وتغيير النَّسق العمراني القديم للمدينة.

المنهج الوصفي: حيث قمنا بوصف حالة مدينة **قسنطينة** في أواخر العهد العثماني وكذلك أهم الأوضاع التي سادت في المدينة في بداية الاحتلال الفرنسي، ضف إلى ذلك تتبُّعنا للأنماط والهياكل العمرانيَّة الفرنسيَّة بمدينة **قسنطينة** مثل وصفنا للأهم المؤسَّسات العلميَّة وكذا المنشآت العمرانيَّة.

المنهج المقارن: حيث اعتمدنا عليه في مقارنة تطوُّرات الوضع الاجتماعي بين الفترة العثمانيَّة والفترة الفرنسيَّة.

خطَّة الدِّراسة:

أما بالنِّسبة لخطة البحث فقد اعتمدنا على طريقة العنصرة حيث اشتملت:

– فقد تناولنا **في الفصل التَّمهيدي** الذي أردنا التَّعرف من خلاله على: **الأوضاع العامَّة في قسنطينة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي،** فتطرَّقنا في العنصر الأوَّل على: **قسنطينة أواخر العهد العثماني،** وفي العنصر الثَّاني تناولنا: **قسنطينة في بداية الاحتلال الفرنسي.**

– أمَّا **الفصل الأول** فقد خصَّصناه إلى: **السِّياسة العمرانيَّة الفرنسيَّة بمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعماريَّة 1837– 1945م،** وقد احتوى الفصل الأوَّل على **أربعة** عناصر ففي **العنصر الاوَّل** تحدَّثنا عن: **بدايات التَّخطيط العمراني الفرنسي بمدينة قسنطينة،** أمَّا **العنصر الثَّاني** فقد تعرَّضنا فيه إلى: **المؤسَّسات العلميَّة بمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعماريَّة،** أمَّا بالنِّسبة **للعنصر الثَّالث** فقد درسنا فيه: **المنشآت العموميَّة بالمدينة خلال الفترة الاستعماريَّة،** وأمَّا فيما يخصُّ **العنصر الرَّابع** فقد تناولنا فيه: **الأحياء السكَّانيَّة بالمدينة خلال الفترة الاستعماريَّة.**

– أمَّا **الفصل الثاني** والأخير فقد خصَّصناه إلى التَّطور الاجتماعي لمدينة **قسنطينة** خلال الفترة الاستعماريَّة **1837– 1945م** فقد احتوى على **أربعة عناصر** و قمنا بالكشف فيه عن: **الوسائل وأساليب السِّياسة الفرنسيَّة في المجال الاجتماعي،** أمَّا **العنصر الثاني** فقد تطرَّقنا فيه إلى: **دراسة تغيير البنية السكَّانيَّة،** أمَّا في **العنصر الثَّالث** فكشفنا فيه عن: **أهداف السِّياسة الفرنسيَّة في الميدان الاجتماعي،** أمَّا فيما يخصُّ **العنصر الرَّابع** والأخير فقد درسنا فيه: **مقارنة التَّطوُّرات الوضع الاجتماعي بين الفترة العثمانيَّة والفترة الفرنسيَّة.**

وفي الأخير ختمنا هذه الدِّراسة بخاتمة كانت في شكل استنتاجات ونرجو أن نكون أضفنا للبحث العلمي ولو بشيء بسيط، على اعتبار أنَّ معلومات الجانب الاجتماعي كانت وفيرة وبارزة مقارنة مع الجانب العمراني الذي كانت معلوماته محدودة.

أهم المصادر والمراجع:

كأي دراسة أكاديميَّة علميَّة موثَّقة تتطلَّب الرُّجوع لمجموعة من المصادر والمراجع لمعالجتها؛ ومن بينها التي اعتمدنا عليها في دراستنا هذه نذكر:

أ- المصادر باللُّغة العربيَّة:

- **شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي 1832- 1837م، ترجمة وتحقيق: أبو العيد دودو، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.** أفادنا هذا الكتاب بمعلومات وفيرة عن: عادات وتقاليد السكَّان بالتَّفصيل والتَّحقيق.
- **فأيست أوجين، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792-1873م، ترجمة: صالح منور، تقديم: الشَّيخ عبد الرحمن شيبيان، دار قرطبة للنَّشروالتَّوزيع، الجزائر، 2010م.** زوَّدنا هذا الكتاب في الجانب الخاص ببايات **قسنطينة** حيث تضمن تعريف لكل باي.
- **العنتري محمد الصَّالح فريدة منسيَّة في حال دخول التُّرك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق: يحي بوعزيز، دار هومة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، 2007م.** حيث استخدمناه في الحملة الفرنسيَّة الثَّانية على **قسنطينة 1837م. قسنطينة، مطبعة البعث، الجزائر، 1980م.** ساعدنا كثيرا هذا الكتاب في وصف مساجد وزوايا مدينة **قسنطينة** حيث تطرَّق لكل واحدة منها على حدى.

المصادر باللُّغة الفرنسيَّة :

- **Ernest Mercier, Histoire De constantine, imprimr Avec le concours de la société Archéologique, constantine, 1903.**

ولقد استعنَّا به في دراسة التَّحول العمراني بمدينة **قسنطينة** خلال الفترة الاستعماريَّة، وكذا فيما يخصُّ تسويَّة ساحات المدينة.

- **Berthier Ander et CHive, J, Lévolution urbaine de constantine 1837-1937, imprimerie Braham, constantine**

ــ وقد استفدنا منه فيما يخص تتبع التوسعات العمرانية الفرنسية خارج الصخرة بمدينة قسنطينة.

ضف إلى ذلك أنَّنا اعتمدنا على هذه المراجع الأجنبيَّة لمعرفة وجهة نظر الفرنسيين حول الاستعمار الفرنسي ووجوده داخل أسوار المدينة باعتباره المسبِّب الرَّئيسي في تغيير المنظومة العمرانيَّة والطَّابع الاجتماعي للمدينة.

ج- المراجع:

- محمد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة: دراسة في جغرافيَّة العمران، ديوان المطبوعات الجامعيَّة بن عكنون، الجزائر، 1984م. اعتمدنا عليه في التَّحدث عن قسنطينة في أواخر العهد العثماني كما أنَّه قدَّم لنا معلومات جدُّ مهمَّة عن بدايات التَّخطيط العمراني، كما أنَّنا استعنَّا به في الجزئيَّة المخصَّص للجانب الاجتماعي حيث تطرَّق فيها صاحب هذا الكتاب إلى دراسة السكَّان وتطوُّرهم بمدينة **قسنطينة**، إضافة إلى أنَّه أرفق هذه المعطيات من الجداول التي تضمَّنت معطيات إحصائيَّة تخصُّ تطوُّر السكَّان عبر الفترات الزَّمنيَّة.

- كمال غربي، المساجد والزَّوايا في مدينة قسنطينة الأثريَّة، (د.ط)، منشورات فزَّازة الشُّؤون الدِّينيَّة والأوقاف ذاكرة النَّاس، تلمسان، 2012م. تضمن معلومات كافية فيما

يخصُّ الزَّوايا والمساجد حيث ذكرها كلُّها تقريبا مفصَّلا فيها حيث قسَّم المساجد إلى نوعين: مساجد مندثرة والنوع الآخر تمثل في: المساجد الباقية والتي لم يغيرها المستعمر، ونفس الشَّيء عندما قام بوصف الزَّوايا؛ ممَّا ساعدنا في فهم موضوعنا أكثر فأكثر.

وغيرها من المصادر والمراجع الأخرى والمجالات والأطروحات التي لا يسعنا ذكرها كلها لكثرتها واحتراما منَّا لمنهجية البحث العلمي.

صعوبات البحث:

وكأي بحث علمي أكاديمي لا يخلو من الصُّعوبات والعراقيل وعليه:

اعترضتنا في إعداد هذه الدِّراسة العديد من الصُّعوبات نذكر من بينها:

– ضيق الوقت وقلَّة الفترة الزَّمنيَّة المخصَّصة للبحث.

– جل المصادر والمراجع التي تناولت موضوع بحثنا كانت كلُّها باللُّغة الفرنسيَّة ممَّا صعب علينا ترجمتها كلُّها كونها تتطلَّب وقت لترجمتها وبذل جهد إضافي.

– صعوبة التنقل والبحث عن مصادر أخرى خارج الولاية **(قالمة)** بسبب جائحة كورونا **(covid 19)** كوننا تنقلنا إلى ولاية **قسنطينة** فقط.

على غرار مختلف الصُّعوبات والعراقيل التي يواجهها الباحث في مثل هذه المواضيع فقد واجهتنا بعض الصُّعوبات كون هذه الدِّراسة تندرج ضمن تخصُّص الهندسة والتَّهيئة العمرانيَّة أكثر، وباعتبارنا طالبتين في قسم التَّاريخ فإنَّ هذه الدِّراسة جديدة نوعًا ما على حقل معرفتنا، ضف إلى ذلك غياب الدِّراسات التَّاريخيَّة الكافية عن هذا الموضوع خاصَّة في الفترة الاستعماريَّة فهي منعدمة بالمكتبة الجامعيَّة ومراكز البحث خاصَّة بقسم التَّاريخ.

– إضافة لما سبق فإنَّنا تقيَّدنا بالفترة المحددة لموضوع الدِّراسة **1837– 1945م** وهي فترة قليلة صعب علينا ضبط معلوماتها.

الفصل الأول:

الأوضاع العامَّة في قسنطينة أواخر الحكم العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي

الفصل الأول: الأوضاع العامَّة في قسنطينة أواخر الحكم العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.

أولا: قسنطينة أواخر العهد العثماني

ثانيًا: قسنطينة في بداية الاحتلال الفرنسي

خضعت مدينة **قسنطينة** كغيرها من المدن الجزائريَّة للحكم التُّركي، والذي استقرَّ بالمدينة مدَّة ما يقارب **ثلاثة قرون** حيث عرفت المدينة في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي تغيُّرات جذريَّة مسَّت مختلف مظاهر الحياة، ككل المدن الجزائريَّة في ذلك الوقت، ومن هذا المنطلق سوف نقوم بتسليط الضَّوء على الأوضاع العامَّة في مدينة **قسنطينة** في أواخر العهد العثماني والذي سنخصِّصه لِلتَّحَدُّثِ عن مختلف مجالات الحياة **(ثقافيَّة، سياسيَّة، اقتصاديَّة، اجتماعيَّة)** أمَّا فيما يخصُّ العنصر الثاني فقد خصصناه لفترة الاستعماريَّة أي بداية دخول السُّلطات الاستعماريَّة الفرنسيَّة مدينة **قسنطينة** حيث سنتطرَّق للحديث عن الحملة الفرنسيَّة الأولى **1836م** والحملة الفرنسيَّة الثانية **1837م** والتي من خلالها سقطت **قسنطينة** في قبضة الاستعمار يوم **الجمعة 3 أكتوبر 1837م.**

أولا: قسنطينة أواخر العهد العثماني:

مع بداية عام **1500م** وصل النفوذ العثماني إلى **قسنطينة**[1]، بعدما سيطروا على جُل المدن السَّاحليَّة للجزائر**(أنظر الملحق رقم1)**، فكان لمجيء العثمانيين أثر هام في تكوين شخصيَّة المدينة، حيث توالى على حكمها حوالي **42 باي**[2]، وأول باياتها هو "**رمضان**

[1] قسنطينة، من أهم مدن الشَّرق الجزائري وتتوسَّط إقليم الشَّرق الجزائري وهي مدينة مبنيَّة على صخرة يفصل بينهما وادي الرِّمال ويبلغ عرض الواد 100 متر وهي مشرفة من أطرافها الثَّلاث على الهاوية وتتَّصل ببقيَّة الأرض بواسطة جسور ولذلك تعرف بمدينة الجسور المعلَّقة، وتعتبر قسنطينة من المدن الدَّاخليَّة وتبعد عن البحر بـــ86 كلم تحدُّها من الشَّمال سكيكدة وجيجل ومن الغرب ميلة أمَّا من الجنوب فتحدُّها كل من أم البواقي وقالمة –(أنظر ملحق رقم 2)– وتعاقبت عليها عدَّة حضارات قديمة، ولها تاريخ حضاري بدأ مع فجر التَّاريخ، عرفت المدينة عدَّة تسميات وأول اسم عرفت به هو قرطة وتحوَّل هذا الاسم في الفترة النُّوميديَّة إلى "سيرت" ويعني المدينة أو القرية أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط1، مج 7، تص: محمَّد أمين الخانجي، مطبعة السَّعادة، مصر، 1906م، ص 89.

[2] محمَّد صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، مروتق: بحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1991، ص 30.

تشولاق"[1] وآخرهم هو الحاج "**أحمد باي**"[2]، أقام البايات بإضافة تحسينات هامَّة عليها وأعادوا هيكلتها[3]، وبعد التقسيمات الإداريَّة التي حدثت أصبحت **قسنطينة** عاصمة الشَّرق الجزائري – وأطلقوا عليها ما يسمَّى ببايلك **قسنطينة**– ومراكزًا لحكومتها، وكان هذا أول تقسيم إقليمي في تاريخ **الجزائر**[4]

يُعدُّ إقليم مدينة **قسنطينة** من أهم أقاليم الإيالة الجزائريَّة ثروة وأوسعها مساحة[5]. إذ يحدُّه من **الشَّمال البحر الأبيض المتوسط ومن الغرب قرية ولاد منصور ببجاية، أمَّا من الجهة الشَّرقيَّة فتحدُّه كل من تقرت وتبسَّة والكاف حتى مدينة طبرقة داخل التخوم التُّونسيَّة**[6]**، وفي أقصى الجنوب الغربي تنتهي حدود إقليم قسنطينة بين مدينتي سيدي هجرس وعين الحجل التي تنتمي إلى إقليم التِّيطري**[7]. تميَّز هذا الإقليم بحدوث عدَّة ثورات وتمردات ضدَّ الضرائب التي كانت تفرض عليهم من طرف **الباي**[8] وكان يسهر على

---

[1] رمضان تشولاق: هو أول باي لقسنطينة وحاكم لبايلك الشَّرق ضمن إيالة الجزائر في العهد العثماني بدأ حكمه عام 1567م واستمرَّ إلى غاية عام 1574م ، أنظر: المصدر نفسه، ص 26.

[2] أحمد باي: ولد حوالي 1786م بقسنطينة تولِّى مهمَّة مراقبة الإقليم الشَّرقي لقسنطينة قاد معركة قسنطينة الأولى والثَّانية 1837م، عيَّنه الدَّاي حسين بايًا على بايلك الشَّرق عام 1826م حيث شهدت قسنطينة استقرار كبير في عهده إلى غاية 1837م أين سقطت المدينة في يد الاستعمار الفرنسي، أنظر: عثمان محمَّد، صفحات من تاريخ ومعالم قسنطينة ملكة الشَّرق الجزائري ومدينة الجسور المعلَّقة، ط1، الدَّار المصريَّة للكتاب، القاهرة، 2013م، ص ص 67، 69.

[3] محمَّد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافيَّة العمران، ديوان المطبوعات الجامعيَّة بن عكنون، الجزائر، 1984م، ص 80.

[4] المرجع نفسه، ص 81.

[5] شلوصر فندلين، قسنطينة أيَّام أحمد باي 1832– 1837م، تر وتق: أبو العيد دودو، الشَّركة الوطنيَّة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 1977م، ص 73.

[6] ناصر الدِّين سعيدوني، "مذكِّرة حول إقليم قسنطينة"، مجلَّة الأصالة، ع 70–71، 1979م، ص 11.

[7] شلوصر فندلين، المصدر السَّابق، ص 74.

[8] محمَّد صالح العنتري، المصدر السَّابق، ص 31.

تسير **البايلك** عدَّة قيادات كبيرة على رأس كل منها قائد يدير شؤونها وتمثَّلت مهمَّتهم في جمع الضَّرائب من السكَّان، وكانت هذه القيادات تُعيَّن من قِبل **الباي**[1].

كان يبلغ عدد سكَّان مدينة **قسنطينة** خلال العهد العثماني سنة **1515م** حوالي **30 ألف نسمة**[2]، وكان سكَّان هذه المدينة ينقسمون إلى:

– **القبائل أو الأمازيغ:** وهم السكَّان الأصليون للبلاد وكانت منازلهم مبنيَّة من الحجارة التي كانوا يجلبونها من الجبال[3]. وكانوا يمارسون الأعمال الفلاحيَّة حيث قاموا بزراعة أشجار الزَّيتون وبيع زيوتها في أسواق المدينة، هذا وبالإضافة إلى تربيَّة النَّحل[4].

– **العرب:** وهم عبارة عن بدو يسكنون الخيام – **منتقلون (بدو رحل)** – يخضعون لحكم شيخ الدوُّار، وكان مصدر معيشتهم هو تربيَّة المواشي التي كانت تمدُّهم بالحليب الذي يعتبر غذاؤهم الأساسي مع كسرة الشَّعير والقمح وأمَّا صوفها فكانوا يصنعون منه اللباس[5].

– **الأتراك:** وهم العنصر الحاكم في البلاد، وكان عددهم قليل في مدينة **قسنطينة**، تمثلت مهمتهم في تأسيس فرق الجيش والتي كانت من أهمِّها فرقة الإنكشاريَّة وتتكوَّن فرقهم من وحدات تابعة لداي مدينة **الجزائر**[6]، وكان لهذا القسم وظائف متعدِّدة [7] منها:

---

[1] محمَّد صالح العنتري، المصدر السَّابق، ص 32.

[2] شلوصر فندلين، المصدر السَّابق، ص 37.

[3] المصدر نفسه، ص 137.

[4] العربي الزُّبيري، التِّجارة الخارجيَّة للشَّرق الجزائري في العهد العثماني، ط2، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 85.

[5] المرجع نفسه، ص 86.

[6] قشي فاطمة الزَّهراء، قسنطينة مدينة وموروثات، مر: عياش سلمان، ميديا بلوس، قسنطينة، 2009م، ص 51.

[7] المرجع نفسه ، ص 119.

الخزناجي: وزير الماليَّة.

الآغا: شيخ العرب.

بيت مالجي: جاني الضرائب[1].

– **اليهود:** وهم فئة من أهل الذمَّة[2] **بقسنطينة،** وكانوا يخضعون أثناء حكم **الباي** لقائد يُعرف بالمقدم والذي يكلف بجمع الضرائب والرُّسوم وتمثِّل نشاطهم في الخياطة والصِّناعة والتِّجارة[3].

وظلَّت **قسنطينة** محافظة على ازدهارها في الجانب الاقتصادي في العهد العثماني لما شهدته من حركة إقتصاديَّة وتجاريَّة واسعة[4]؛ حيث اشتهرت بزراعة **الحنطة والشَّعير والسَّمن**[5]، وكانت تربطها علاقة تجاريَّة مع البلدان الواقعة على الحوض **البحر الأبيض المتوسط** وبلاد الشَّرق **والسُّدان** جنوبًا[6]، إذ توفرت على شبكة طرق ومواصلات تربطها بهم[7]– إذ يتجلَّى ذلك في وصف الكثير من الرَّحالة وفي هذا السِّياق يقول"**الإدريسي**" بعد ما زارها في فترات سابقة << **والطَّريق التي تؤدِّي إلى باغاية والتي كانت توجد على**

---

[1] قشي فاطمة الزَّهراء، قسنطينة مدينة وموروثات، المرجع السَّابق ، ص 120.

[2] محمَّد الهادي العروق، عبد العزيز فيلالي، مدينة قسنطينة، دراسة التَّطور التَّاريخي والبيئة الطَّبيعيَّة، دار البعث، قسنطينة، 1984م، ص 85.

[3] معاشي جميلة، الانكشاريَّة والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدَّكتوراه في التَّاريخ التَّاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، كليَّة العلوم الاجتماعيَّة، 2007م، ص 191.

[4] العربي الزُّبيري، المرجع السَّابق، ص 89.

[5] المرجع نفسه، ص 90.

[6] الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، ج 2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1989م، ص 150.

[7] المصدر نفسه، ص 151.

ثلاث مراحل من قسنطينة وطريقان تتجهان نحو بجاية...>>[1]، ممَّا يدلُّ على المبادلات التِّجاريَّة التي كانت تحظى بها المدينة في ظل الحكم العثماني وبالتَّحديد فترة حكم "**صالح باي**"[2]

هذا الأخير الذي ازدهرت **قسنطينة** خلال فترة حكمه وعرفت تطوُّرًا عظيمًا لم يسبق له مثيل إذ يشبه الوضع الذي كان سائدًا في **قسنطينة** خلال العهد الحفصي[3]، وممَّا سبق فإنَّ النَّشاط التِّجاري أيام "**صالح باي**" كان يتميَّز بالحيويَّة كون **قسنطينة** كانت ملتقى للقوافل التِّجاريَّة التي تعبر أنحاء الشَّرق الجزائري[4]؛ ويتجسَّد ذلك من خلال ما قاله "**البكري** "أثناء زيارته **لقسنطينة:** <<**مدينة تجاريَّة وصناعيَّة وفلاحيَّة وأنَّها من المراكز التِّجاريَّة الهامَّة**>>[5].

ففي المجال الاقتصادي فنلاحظ أنَّه كان مزدهرًا هو الآخر، حيث تميَّز بالحيويَّة والنَّشاط، فكان السكَّان يمارسون زراعة الحبوب – **القمح والشَّعير**– وعليه شهدت الزِّراعة تطور ملحوظا خاصَّة أواخر العهد العثماني – فترة "**صالح باي**" **(1771–1791م)**[6]– الذي بدوره أدخل عليها تعديلات حيث استحدث زراعات جديدة مثل: **الأرز** وشجَّع على غرس أشجار الزَّيتون وعمل على استغلال السُّهول الخصبة المجاورة

---

[1] بورايو عبد الحفيظ، مدينة قسنطينة في أدب الرَّحلات، مذكِّرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م، ص 80.

[2] محمَّد الهادي العروق، عبد العزيز فيلالي، المرجع السَّابق، ص 81.

[3] فيلالي عبد العزيز، جوانب من الحياة الثَّقافيَّة لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، مجلَّة سيرتا، معهد العلوم الاجتماعيَّة، جامعة قسنطينة، ع 10، دار البعث، قسنطينة، 1988م، ص 67.

[4] المرجع السابق ،ص68.

[5] البكري، المسالك والممالك "المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، ديسلان، الجزائر، 1911م، ص62.

[6] فاطمة الزَّهراء قشِّي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، دار مداد يونيفار ستي براس، الجزائر، 2005م، ص 132.

لقسنطينة مثل: أراضي **عين كرشة**[1]، إضافة لما سبق ذكره كانت هناك ثروة حيوانيَّة هائلة تمثلت في تربيَّة المواشي[2].

دام الحكم العثماني في مدينة **قسنطينة** حوالي **3 قرون**[3]، حيث رسخ العثمانيون أقدامهم بالمدينة وأعادوا تخطيطها وهيكلتها – **كما ذكرنا سابقًا**– وهذا التَّخطيط مسَّ مختلف جوانب الحياة الاقتصاديَّة، الاجتماعيَّة، السِّياسيَّة، وحتى الجانب العمراني[4]، وهو ما سأوضِّحه في الفقرات الموالية.

شهدت **قسنطينة** أوجَّ ازدهارها في فترة حكم "**صالح باي**"[5] الذي ارتبط اسمه ارتباطا وثيقًا بتاريخ المدينة؛ إذ برز جليًّا في الجانب العمراني لها[6]، حيث عمل "**صالح باي**" على تجميل المدينة فقام ببناء مسجد ومدرسة **سيدي الكتَّاني** عام **1885م**[7] وأقيم بيوت للحاشية والخدم قرب المنازل الخاصَّة بالباي والتي تميَّزت بالضَّخامة[8]، وتتصل هذه المباني بالبساتين والإصطبلات والحمَّامات الخاصَّة واحتوت كذلك على العديد من الدَّكاكين التي

---

[1] محمَّد الهادي العروق، عبد العزيز فيلالي، المرجع السَّابق، ص 83.

[2] وليام شالر، مذكَّرات وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر، 1816– 1824، تعريب وتعليق وتق: إسماعيل العربي، الجزائر، 1982م، ص 32.

[3] Vaysétés(e): Histoire de constantine dans la domination turque, depuis 1517 a 1837 présentation de ou arabe séare média plus, 2010, p 55.

[4] Kaddach (M) , L'Algérie durant la période Ottomane, O-P-U, Iben Aknon, Alger 1922, p 163.

[5] صالح باي: ولد عام 1725م تركي الأصل كان رجلًا يهتمُّ بالسِّياسة والعلم والعلماء، اهتمَّ بتشييد العمران وقد شارك في حملة ضدَّ الإسبان، عيِّن باي لقسنطينة عام 1771م وترفِّي عام 1792 أنظر: علي بن شعيب محمَّد المهدي، أم الحواضر في الماضي والحاضر، أو تاريخ قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980م، ص 212.

[6] محمَّد الهادي العروق، عبد العزيز فيلالي، المرجع السَّابق، ص 80.

[7] Berthier Ander et CHive, J, L'évolution urbaine de constantine 1837-1937, imprimerie Braham, constantine,s.d , p 95.

[8] Gouvernement géneral de l'Algérie Annuaire statistique constantin, 1850, p 28.

تحيط **بسوق الجمعة (سوق العصر حاليًّا)**[1] وضمَّ إليهم مجموعة من المباني والفنادق خارج الباب الجديد عند **الكدية**[2].

عمل "**صالح باي**" على تخصيص منطقة الشَّارع لليهود لكي يقوموا ببناء منازلهم ودكاكينهم هناك وتقع هذه المنطقة ما بين باب القنطرة وحاوية الهاوية ممَّا يضمن للبايلك مراقبتهم والتَّحكُّم في نشاطهم وتوسُّعهم[3]، وعليه عاد النَّشاط إلى هذه المنطقة التي كانت مهجورة في فترات سابقة[4]؛ وأصبحت هذه المنطقة التي تعرف برحبة الصُّوف مركزًا تجاريًا مهمًّا بعد أن شرع اليهود في فتح دكاكينهم على جهة الشَّارع الرَّئيسي الذي يربط باب **الوادي** بباب **القنطرة** مباشرة[5].

إضافة إلى ذلك قام "**صالح باي**" بإصلاح **جسر القنطرة** وأعاد بنائه بعد أن كان معطَّلًا منذ **5 قرون**[6]، فجلب "**صالح باي**" **100** عامل من أوروبَّا لبناء الجسر تحت إشراف مهندس إسباني[7]، وتمَّ استخدام أحجار الخرائب الرُّومانيَّة المتواجدة قرب **المنصورة** وذلك بهدف تسهيل المواصلات مع النَّواحي الشَّرقيَّة للبايلك من أجل ربط **قسنطينة** بالطُّرق الشَّرقيَّة والجنوبيَّة الشَّرقيَّة التي تمرُّ بها الحملات العسكريَّة والقوافل التِّجاريَّة[8].

---

[1] Gouvernement géneral de l'Algérie Annuaire statique, p 30.

[2] محمَّد الهادي العروق، عبد العزيز فيلالي، المرجع السَّابق، ص 81.

[3] Le cuyer E." les Métiers Contantinois à l'époque des Beys", p 120.

[4] Idem, p 122.

[5] محمَّد الهادي العروق، عبد العزيز فيلالي، المرجع السَّابق، ص 81.

[6] المرجع نفسه، ص 81.

[7] علي بن شعيب محمد المهدي، المصدر السَّابق، ص 215.

[8] العربي الزُّبيري، المرجع السَّابق، ص 142.

عمل "**صالح باي**" على توسيع رقعة مقاطعته حيث سار على نهجه الحاج " **أحمد باي**" لاحقًا الذي قام بمراقبة الأسواق وقمع الغش فيها[1]؛ كما أسَّس كذلك قصر "**أحمد باي**" الذي يُعدُّ تحفة فنيَّة معماريَّة تؤرِّخ لفترات الازدهار التي عرفتها المدينة على عهده[2].

بلغ عدد المساجد في قسنطينة خلال حكم "**صالح باي**" حوالي **5 مساجد** كبرى والمساجد الصَّغيرة حوالي **70 مسجدًا** بالإضافة إلى **13 مدرسة قرآنيَّة**[3]، إنتهج لها العثمانيين نظامًا دقيقًا يتَّبعه المدرِّسون والطَّلبة ويخضع له العاملون بأماكن الدَّرس والعبادة[4]، كما عملوا على تنظيم إدارة الأحباس والمحافظة على الأوقاف العامَّة[5].

أمَّا في المجال الصِّناعي، فكان **لقسنطينة 28 سوق وسويقة و21 ساباط و7 تربيعات**[6] **تربيعات**[6] يتجمَّع بها صُنَّاع النَّسيج و**3 رحبات** لعرض السِّلع و**3 أفران** لطهي الخبز و**27 و27 مطحنة** للحبوب منها **5** داخل المدينة تعالج يوميًا ما يعادل **600** قنطارًا من الدَّقيق[7]. الدَّقيق[7]. كما عرفت الموانئ البحريَّة التي يتمُّ تصدير إنتاج البايلك عن طريقها مثل: **عنَّابة عنَّابة والقالة والقل وسكيكدة.** توسعًا كبيرا في حجم المبادلات التِّجاريَّة[8].

---

[1] رشيد بورويبة، قسنطينة سلسلة الفن والثَّقافة، وزارة الإعلام والثَّقافة، الجزائر، 1978م، ص 146.

[2] المرجع نفسه، ص 147.

[3] الورثيلاني بن محمَّد الحسين، نزهة الأنظار في فضل علم التَّاريخ والأخبار ، مدوَّنة برج بن عزُّوز، ط 1، مج 2، تندوف: عبد الكافي، مكتبة الثَّقافة الدِّينيَّة، القاهرة، 2008م، ص 412.

[4] محمَّد الهادي لعروق، عبد العزيز فيلالي، المرجع السَّابق، ص 81.

[5] المرجع نفسه، ص 81.

[6] الورثيلاني بن محمَّد الحسين، نزهة الأنظار في فضل علم التَّاريخ والأخبار، المصدر السَّابق، ص 416.

[7] نوَّاري خولة، نظرة حول المجتمع الحرفي والصِّناعي بمدينة قسنطينة، مجلَّة العبر للدِّراسات التَّاريخيَّة والأثريَّة، مج2، ع 1، 2019م، ص 289.

[8] محمَّد الهادي العروق، عبد العزيز فيلالي، المرجع السَّابق، ص 82.

أمَّا بالنِّسبة للسَّكن في **قسنطينة** خلال فترة العثمانيَّة فإنَّه كان على نوعين منطقة السَّكن الكثيف بجوار الخليَّة المركزيَّة؛ أين توجد مباني ومنازل الطَّبقات الميسورة، وكانت على هذا الشَّكل بهدف تقريبها من مركز الأعمال، وسعر الأرض بها كان مرتفعًا، إلا أنَّ هذا النَّوع كان خاليًا من الحدائق[1]، أمَّا المنطقة الثَّانية والتي كانت تسمَّى بمنطقة الضَّواحي فكان يسكنها المهاجرون الجدد إلى المدينة وكان لكل منطقة مسجدها الخاص[2].

عرفت مدينة **قسنطينة** حركة علميَّة واسعة خلال العهد العثماني وذلك لاحتوائها على عدد كبير من المؤسَّسات الثَّقافيَّة[3] تمثَّلت في: **الأوقاف[4]، المساجد، الزَّوايا، والمدارس والمكتبات – والتي سوف نتطرَّق إليها باختصار في هذه الفقرات كوننا سندرسها بالتَّفصيل في الفصل الأول–** والتي كانت عامل أساسي في تطوير التَّعليم بها قصد توسيع الحركة الثَّقافيَّة وتشجيع أهل المدينة على القراءة والكتابة والقضاء على الجهل وتكوين جيل مثقَّف[5].

كان أهل **قسنطينة** يَهْتَمُّونَ بقراءة الكتب والبحث عن المخطوطات، لذلك قبل مجيء العثمانيين وجدوا بها عدد كبير من المكتبات، ثمَّ أخذوا فيما بعد ينسخون الكتب بالخط

---

[1] فاطمة الزَّهراء قشِّي، قسنطينة المدينة والمجتمع، ج 2، رسالة مقدَّمة لنيل درجة الدَّكتوراه في التَّاريخ، جامعة قسنطينة، 1998م، ص 85.

[2] مرجع نفسه، ص 86 .

[3] بورويبة رشيد، المرجع السَّابق، ص 168.

[4] الأوقاف (وقف): هو عبارة عن عقد لفعل خيري ذات صبغة دينيَّة، والوقف هو نفسه الحبس، أنظر: أحمد مريوش، الحياة الثَّقافيَّة في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني، الجزائر، 2007م، ص 46. ولقوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ البقرة، الآية 245.

[5] بورويبة رشيد، المرجع السَّابق، ص 168.

العثماني[1]؛ ومع بروز العلوم الدِّينيَّة خلال هذه الفترة كان محتوى هذه المكتبات من كتب الفقه والأوصول والتَّفسير والأحاديث الدِّينيَّة[2].

اهتمَّ العثمانيون كذلك في **قسنطينة** ببناء المساجد وتحبيس الأوقاف عليها ومن بين هذه المساجد[3] نذكر:

الجامع الكبير: وهو أقدم جامع بالمدينة يمتاز بالكتابات المنقوشة على جدرانه وكان لهذا المسجد دورٌ كبير في مجال التَّعلم والتَّثقيف وإقامة الدُّروس ومن بين العلماء الذين درسوا في الجامع الكبير هم: **"المكِّي البوطالبي" والشيخ "محمَّد بن عيسى الشَّاذلي البوزيدي"**[4].

جامع حسن باي: من أهم مساجد المدينة تمَّ بناؤه عام **1721**م من طرف **"حسن باي"** وجدت عدَّة زخارف منقوشة على جدرانه[5]

الجامع الأخضر: أو ما يسمَّى بجامع سيدي لخضر، يقع الجامع بوسط المدينة بالقرب من رحبة الصُّوف[6] – **وحسب ما ورد في بعض المصادر**– ويعدُّ من مساجد المذهب الحنفي[7]، وكان الآخر يمتاز بأعمدة رخاميَّة على شكل حاجات كرويَّة[8].

---

[1] فريد محمود المشهداني، رشيد رمضان سلوان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1830/1518م، مجلَّة الدِّراسات التَّاريخيَّة والحضاريَّة، مج 5، ع 16، 2013م، ص 438.

[2] Ernest Mercier, constantine au XVI Siècle, paris, 1878, p 13.

[3] Idem, p 13.

[4] ناصر الدّين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 150.

[5] دحدوح عبد القادر، المساجد الأثريَّة في قسنطينة خلال عهد الفترة الاسلاميَّة، مجلَّة الدِّراسات توراثيَّة، ع3، 2009م، 2009م، ص 40 .

[6] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثَّقافي، ج 5، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986م، ص 82.

[7] مرجع نفسه، ص 83.

[8] رشيد بو رويبة، المرجع السَّابق، ص 169.

– **جامع سيدي الكتَّاني:** تمَّ بناؤه عام **1776**م، من طرف "**صالح**" ويقع في شمال المدينة[1] وقام "**صالح باي**" بإيقاف أوقاف عظيمة لهذا الجامع من أمواله الخاصَّة[2]، وغيرها من المساجد الأخرى التي كانت عبارة عن بقايا مندثرة تعتبر من مخلفات الحضارات القديمة السَّابقة التي تعاقبت على مدينة **قسنطينة**[3].

أمَّا بالنسبة للزَّوايا في قسنطينة خلال العهد العثماني فهي كثيرة ومتعدِّدة وكانت مهمَّتها تحفيظ القرآن والحفاظ عليه وحمايته من النِّسيان والضَّياع، وكان للعائلات الكبرى بالمدينة زوايا خاصَّة بها[4] مثل: **زاوية أولاد الفكون، وزاوية ابن نعمون إلخ**[5] ضف إلى ذلك توجد زوايا خاصَّة بالعثمانيين مثل: **زاوية رضوان خوجة؛** وهناك زوايا أخرى هامَّة[6] وهي كالتَّالي: **زاوية ابن نعمون، زاوية النجَّارين، زاوية الفقون، زاوية باش تارزي، زاوية نعمان، زاوية التِّلمساني**[7].

اهتمَّ السكَّان والحكَّام في **قسنطينة** في هذه الفترة بالأوقاف إذ اتَّخذوه كعامل قويٍّ لبسط نفوذهم وكسب تأييد السكَّان[8]، وكانت الأوقاف متعدِّدة وكثيرة في هذه الفترة – **العثمانيَّة**– حيث كان عدد الأملاك المحبسة يزيد عن **70 وقفا** وكانت مختلفة ومتنوِّعة تمثَّلت في

---

[1] معاشي جميلة، الحياة الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والدِّينيَّة بقسنطينة من خلال سجل مراسلات لجنة الشُّؤون الدِّينيَّة 1885–1904م، ط1، منشورات بونة للبحوث والدِّراسات، الجزائر، 2012م، ص 11.

[2] علي بن شعيب محمد المهدي، المصدر السَّابق، ص 237.

[3] المصدر نفسه، ص 240.

[4] كمال غربي، المساجد والزَّوايا في مدينة قسنطينة الأثريَّة، (د. ط)، منشورات وزارة الشُّؤون الدِّينيَّة والأوقاف، تلمسان، 2012م، ص 168.

[5] المرجع نفسه، ص 169

[6] علي بن شعيب محمد المهدي، المصدر السَّابق، ص 258.

[7] المرجع نفسه، ص 183.

[8] الحدَّاد أحمد بن عبد العزيز، من فقه الوقف، ط2، إدارة الشُّؤون الإسلاميَّة، الإمارات العربيَّة 2003م، ص 17.

البساتين والأراضي الزِّراعيَّة[1]، وكان حكَّام المدينة يخصِّصون منحة للطلَّاب سنويًا من دخل الأوقاف وكانت قيمتها مقدَّرة ب **36 فرنك**[2] ، كما كان في **قسنطينة** مؤسَّسات وقفيَّة وتعرف بأوقاف مكَّة والمدينة وتشكِّل مما يحبسه سكَّان المدينة وكان يتمُّ إرسال مردودها مباشرة إلى **مكَّة والمدينة** عن طريق **تونس**[3]، إلا أنَّ هذه الأوقاف لم تكن منظَّمة قبل تولِّي تولِّي "**صالح باي**" الحكم وبعد الحكم قام بتنظيمها[4] حيث استحدث سجلًّا[5] يحتوي على عقود عقود معاملات أعيان مدينة **قسنطينة**[6].

أمَّا المدارس في العهد العثماني بمدينة **قسنطينة** فكانت لا تعدوا ولا تحصى نظرًا لدعم العثمانيين للحركة العلميَّة الثَّقافيَّة والحث على طلب العلم والدَّعوة إلى تعليم مختلف العلوم الدِّينيَّة وغيرها[7].

وعليه كان عدد المدارس حوالي **97 مدرسة** منها **7 ثانويات** والباقي عبارة عن كتاتيب وكانت نفقاتها كلها من الأوقاف؛ ومن أهم هذه المدارس[8] نذكر:

---

[1] مريوش أحمد، الحياة الثَّقافيَّة في الجزائر خلال العهد العثماني، المرجع السَّابق، ص 216.

[2] ناصر الدِّين سعيدوني، الوقف في الجزائر خلال القرنين 18– 19م، البصائر، الجزائر، 2013، ص 97.

[3] المرجع نفسه، ص 99.

[4] قشِّي فاطمة الزَّهراء، سجل صالح باي للأوقاف (1771– 1792م)، دار بهاء الدِّين للنَّشر والتَّوزيع، 2009م، ص ص 12– 13.

[5] هو عبارة عن سجل يضمُّ 75 ورقة، يحتوي على عقود عدليَّة وتتواجد نسخته الأصليَّة عند عائلة ابن جلُّول. أنظر: ناصر الدِّين سعيدوني، المرجع السَّابق، ص 97.

[6] ناصر الدِّين سعيدوني، الوقف في الجزائر خلال القرنين 18– 19م، المرجع السَّابق، ص 98.

[7] إيفون تيران، المواجهات الثَّقافيَّة في الجزائر المستعمرة: المدارس والممارسات الطبيَّة والدِّين 1830– 1880م، ط 1، دار القصبة، الجزائر، 2007م، ص 132.

[8] المؤسَّسات التَّعليميَّة في قسنطينة، مجلَّة سيرت، معهد العلوم الاجتماعيَّة، جامعة قسنطينة، ع 10، 1988م، ص 72.

– **مدرسة سيدي الأخضر:** والتي أنشأها "**صالح باي**" بجانب **الجامع الأخضر** وعيَّن وكيلًا يسهر على نظام المدرسة وخصَّص لكل من الوكيل والمدرِّس والطَّلبة أجورًا سنويَّة[1].

– **المدرسة الكتّانيَّة:** قام بإنشائها "**صالح باي**" عام **1787م** وتعدُّ من أهم المعالم في مدينة **قسنطينة** وخصَّص لها الباي هي الأخرى أوقافًا كثيرة؛ اهتمَّت هذه المدرسة بتحفيظ القرآن الكريم وتفسيره وتعليم الفقه والتَّوحيد حيث ساهمت المدرسة الكتَّانيَّة في رفع المستوى الفكري للسكَّان إذ كادت تنعدم نسبة الأميَّة في تلك الفترة[2]

وعليه فإنَّ العثمانيين وعلى الرَّغم من عدم اهتمامهم بالجانب التَّعليمي في بداية تواجدهم بمدينة **قسنطينة**؛ فإنَّ التَّعليم لم يتعطَّل كونه عرف أوجه في أواخر العهد العثماني – فترة حكم "**صالح باي**" – كما ذكرنا سابقًا.

اشتهرت مدينة **قسنطينة** بكونها مدينة العلم والعلماء حيث كانت مهد العديد من العلماء والأدباء والفلاسفة نذكر من بينهم: "**عمر الوزان**" و"**عبد الكريم الفكُّون**" و"**ابن العطَّار**" و"**الشَّاذلي القسنطيني**" و"**عبد القادر الرَّاشدي**" "**وابن القنفذ**" وغيرهم من العلماء[3].

ورغم الازدهار والرَّخاء الذي شهدته مدينة **قسنطينة** في العهد العثماني – **وبالتَّحديد فترة تولِّي "صالح باي" الحكم**– الذي شمل جميع المجالات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والسِّياسيَّة والعمرانيَّة[4]؛ إلا أنَّه سرعان ما تغيَّرت الأوضاع بعد مقتله – **صالح باي**– إذ كانت فترة حكم البايات بعده قصيرة تدوم أشهر فقط وبالتَّالي أدَّى إلى نشوب الفوضى

[1] المؤسَّسات التَّعليميَّة في قسنطينة، مجلَّة سيرت، المرجع السَّابق، ص 73.

[2] محمَّد قويسم، مدينة قسنطينة ما بين القرنين 13– 16م، أطروحة مقدَّمة لنيل درجة الدَّكتوراه، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2014– 2015م، ص 67.

[3] عثمان محمَّد، صفحات من تاريخ ومعالم: قسنطينة ملكة الشَّرق الجزائري ومدينة الجسور المعلَّقة، المرجع السَّابق، ص 54.

[4] Kadache (M), L'Algérie durant la période Ottomane, OP. p 163.

والانقلابات والثَّورات والخيانات داخل المدينة – **قسنطينة** – نتيجة عوامل سياسيَّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة ودينيَّة وغيرها...[1]

وهذا ما أشار إليه "**ابن الفكُّون**" حيث ذكر فقال ففي عام **1567م** حاول أهالي **قسنطينة** انتزاع الحكم من العثمانيين مستغلين في ذلك توجُّه الباي إلى دار السُّلطان، وقاموا بنهب المدينة وبعدما سمع الباي عاد إلى الإقليم وقام بسجن المتمرِّدين[2]، ومن أبرز الثورات التي نبشت في **قسنطينة** خلال العهد العثماني نجد:

ثورة ابن الأحرش: حدثت أواخر **1803م** إذ تميَّزت هذه الثَّورة بالقوَّة وكادت أن تحدث عدَّة تغيُّرات في أوضاع البايلك[3]؛ وكان من نتائجها ظهور المجاعات وقلَّة الحبوب[4].

كما عرفت المدينة كذلك إرهاقًا ضريبيًّا في العشور والجزية والخراج خلال الفترة العثمانيَّة [5]؛ حيث كانت أراضي الملك تنقل من شخص إلى آخر إمَّا بالبيع أو بالإرث، وكان يستخلص من هذه الأراضي الزَّكاة والعشور[6]، – **والتي سوف أتطرَّق إليها باختصار** – فبالنِّسبة إلى العشور كانت تدفع عن المحاصيل الزِّراعيَّة وكانت مقدَّرة بعشر الإنتاج ومع أواخر العهد العثماني؛ أستبدل بوحدة تختلف حسب طبيعة الأرض [7]، أمَّا

---

[1] أوجين فايست، تاريخ بايات قسنطينة، تح: حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر، 1999م، ص 4.

[2] عبد الكريم الفكُّون، منشور الهداية في كشف حال من ادَّعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 48.

[3] محمَّد العربي الزُّبيري، التِّجارة الخارجيَّة للشَّرق الجزائري، ط 2، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 26.

[4] صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، الشَّركة الوطنيَّة، الجزائر، 1974م، ص 32.

[5] توفيق دحماني، الضَّرائب في الجزائر 1792– 1865م، أطروحة دكتوراه، جامعة بن يوسف بن خدَّة، الجزائر، 2008م، ص 16.

[6] المرجع نفسه، ص 168

[7] المرجع نفسه، ص 169.

الزَّكاة فكانت الدَّولة العثمانيَّة تفرض على المواشي وتتمُّ وفق لتعاليم ومبادئ الدِّين الإسلامي [1]، أمَّا فيما يخصُّ الجزية – **هي ما كان يفرض على أهل الذمَّة**– فهي عبارة عن مختلف الطَّوائف الدِّينيَّة من اليهود والنَّصارى المقيمين في **قسنطينة** مقابل التَّأمين على حياتهم [2].

وعليه فرغم ازدهار **قسنطينة** وسيطرتها حضريًّا وعمرانيًّا إلا أنَّ الشَّكل الحضري ظلَّ مجهولًا خلال فترة الحكم العثماني، إلى أن تمَّ السَّيطرة على المدينة من طرف الاحتلال الفرنسي عام **1837م** [3]؛ واستلمت **فرنسا** إدارة البايلك وأخذت هي الأخرى تضفي طابعها العمراني؛ وفي جميع المجالات الأخرى – **(السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة...إلخ)**– حيث أدخلت عدَّة تحسينات وتعديلات في شتى مجالات الحياة في مدينة **قسنطينة**[4] وبالتَّالي كانت **قسنطينة** في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي وخاصَّة في الفترة الممتدَّة من **1804م**– **1837م** التي عرفت تدهورا في المجال الاقتصادي بعدما كانت تنعم بالرَّخاء والازدهار[5]، كما شهدت صراعات متكرِّرة من قبل أصحاب السُّلطة فيما بينهم والذي أدَّى إلى ظهور العديد من الثَّورات والمجاعات والذي أدَّى بدوره إلى نزوح سكَّان الأرياف إلى المدينة[6].

ومع مرور الوقت وبعدما رسخت **فرنسا** أقدامها في مدينة **قسنطينة**، دخلت فرنسا فيما يسمَّى بالمرحلة الثَّانية – **(المرحلة التَّكوينيَّة)**– وهي الفترة المحصورة ما بين الحربين

---

[1] توفيق دحماني، المرجع السَّابق، ص 169.

[2] وليام شالر، المصدر السَّابق، ص 80.

[3] محمَّد الهادي لعروق، المرجع السَّابق، ص 82.

[4] المرجع نفسه، ص 82.

[5] صالح العنتري، المصدر السَّابق، ص ص 8، 11.

[6] المرجع نفسه، ص 11.

العالميتين إلى غاية سنة **1945**م وهي فترة ازدهار المدينة ودخولها مرحلة التَّخطيط شبه المنظّم لامتداد عمران المدينة[1]، تأتي بعدها مرحلة البناء والهيكلة في شتَّى مجالات الحياتيَّة التي شملت المدينة والذي كان وفق سياسة استعماريَّة محكمة ودقيقة [2]؛ والتي كان لها تأثير على الجانب العمراني والاجتماعي للمدينة خلال الفترة الاستعماريَّة وهو ما سنتطرَّق إليه بالتَّفصيل في الفصل الموالي.

ثانيًا: قسنطينة في بداية الاحتلال الفرنسي:

أ- الحملة الفرنسيَّة الأولى على مدينة قسنطينة وهزيمة الجيش الفرنسي (نوفمبر 1836)

بعد استيلاء الفرنسيين على **الجزائر** العاصمة في **1830/07/5**م **(أنظر ملحق رقم 3)** أنظارهم مباشرة إلى الشَّرق الجزائري لاحتلال عاصمة مدينة **قسنطينة**، حيث صرَّح الحاكم العام الفرنسي "**دوروفيغو**" **(1831- 1833)** أنَّ فرنسا لا يمكنها بحال من الأحوال أن تثبت أقدامها على أرض **الجزائر** دون السَّيطرة على مدينة **قسنطينة**، والشَّرق الجزائري بصفة عامَّة[3]، وعليه أمر **الجنرال "دوبرمون"**[4] بتجهيز حملة عسكريَّة ضدّ المدينة **يوم 1830/07/26**[5].

---

[1] سعيدوني ناصر الدِّين، وثائق هيئة أركان الحرب الفرنسيَّة العاملة بالجزائر بأرشيف وزارة الحرب الفرنسيَّة- باريس- وصف مدينة قسنطينة"، العلبة رقم 225، مجلَّة الأصالة، الجزائر، ص 15.

[2] المرجع نفسه، ص 16.

[3] حميدة عميراوي، جوانب من السِّياسة الفرنسيَّة وردود الفعل الوطنيَّة في قطاع الشَّرق الجزائري، بداية الاحتلال، دار البعث لطباعة والنَّشر، قسنطينة، الجزائر، 1984م، ص 48.

[4] دوبرمون: كان جنرالًا في جيش نابليون بونابارت، عينهُ شارل العاشر وزيرًا للحربيَّة، قاد الحملة الفرنسيَّة على قسنطينة توفِّي 27 أكتوبر 1846م، بفرنسا أنظر: فرانسوا مسبيرو، سانت آرنوا أو الشَّرق الضَّائع، تر: حاج مسعود، مر: أحمد بكلي، دار القصبة للنَّشر، الجزائر، 2007، ص 113.

[5] حميدة عميراوي، المرجع السَّابق، ص 49.

انطلقت الحملة الأولى من مدينة **عنَّابة** في شهر **نوفمبر 1836** وتعدُّ في رأي "**ماسبيرو**" متأخِّرة بالنسبة للموسم، لأنَّ الماريشال "**كلوزيل**" انتظر الامتدادات والتَّعزيزات العسكريَّة كثيرًا من الحكومة الفرنسيَّة، بل رفضت إرسال القوَّة اللَّازمة لهذه الحملة، لأنَّها رأت فيها الجرأة والتَّهور الغير مُجدي فقرر خوض المعركة في **قسنطينة** بما لديه من قوَّة وعتاد أكثر من **سبعة آلاف عسكري** فضلا عن المدافع الكثيرة وأدوات الحصار[1]، وتشير المصادر الفرنسيَّة إلى أنَّ الطَّريق الذي سلكها الجيش الفرنسي كان موبوءًا، حيث أصيب الكثير من أفراده **بحمَّى المستنقعات والكوليرا**، مما جعل المملوك يوسف[2] يغيِّر المساك عبر الممرَّات الجبليَّة[3].

كانت الحملة في نظر المارشال وتقديره سهلة بسيطة بحيث يرى بأنَّ حملته ستكون نزهة عسكريَّة وسيدخل المدينة دون قتال، لدرجة أنَّه أخذ معه بعض السيَّاح، وسيلقى التَّرحيب من أهل البلد لإبعادهم عن حكم الحاج "**أحمد باي**" وما عليه إلا أن يوجِّه نداءه لسكان، بواجب طاعة يوسف المملوك الحاكم الجديد على **قسنطينة**[4].

---

[1] Saulky، ذكريات مدينة الجزائر إلى قسنطينة عبر المناطق الجبليَّة، تق وتر: علي تابليت، 2008م، ص 28.

[2] المملوك يوسف: توسكاني الأصل، والثَّابت أنَّه عديم الأب والأم، كان خادمًا في قصر الباي إلى غاية ارتكابه جريمة لا أخلاقيَّة مشينة تسبَّب في هروبه إلى الجزائر خوفًا على روحه، وعلى إثر الحملة الفرنسيَّة على الجزائر 1830م، اتَّصل بالسُّلطات العسكريَّة عارضًا عليها خدماته، فاستقبلوه بصدر رحب، فلعب دورًا مركزيًّا في محاربة الجزائريين حول المملوك ونشاطه داخل الجيش الفرنسي أنظر: حروش كريمة، جرائم الجنارالات الفرنسيين ضدَّ مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم 1832– 1847م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التَّاريخ الحديث والمعاصر، قسم التَّاريخ وعلم الآثار، معهد العلوم الإنسانيَّة والحضارة الإسلاميَّة، جامعة وهران، ص 32.

[3] حميدة عميراوي، المرجع السَّابق، ص 51.

[4] عبد الكريم بجاجة، معركة قسنطينة 1836– 1837، تع: محمَّد الهادي العروق، دار البعث، قسنطينة، 1984م، ص 21.

وبدأ الزَّحف على مدينة **قسنطينة يوم 8 نوفمبر 1836م**، من مدينة **عنَّابة**، ومرَّت بعدَّة مراحل، بحيث تجمَّع مساء هذا اليوم جميع القوَّت **بالذَّرعان** ومنه إلى **النّشماية**، وصلت إلى جبل والغة **يوم 9 نوفمبر 1836**، وتقدَّمت إلى الآثار الزروانيَّة **بقالمة يوم 10 نوفمبر** وعسكرت بمرتفعات فجوج **قالمة في 15 نوفمبر 1836م**[1]

حيث أقيم معسكرًا في **سيدي طمطم** الذي انسحب منهُ **الحاج أحمد باي**" بقوَّاته، لاستدراج العدو إلى **قسنطينة** حسب الخطَّة التي وضعها، فأخذ يطاردهم ويستدرجهم إلى المعركة الحقيقيَّة في المدينة المُحصَّنة بالمدافع والأسوار والرِّجال وبالصَّخر العتيق[2]، فكبد العدو بخسائر معتبرة في المكان المعروف بعقبة الأشعري ثمَّ انسحب[3].

وفي **يوم 21 نوفمبر**، كانت قوَّات العدو قد وصلت بصعوبة إلى موقع الصَّومعة **(الخروب)** بقيادة **الماريشال كلوزيل**[4]، ومن هذا المكان ظهرت لهم مدينة قسنطينة بعمائرها المتراكبة المشيَّدة على هضبة ذات شكل منحنى يمتدُّ من الشَّمال الغربي نحو الجنوب الشَّرقي، تقدَّمت قوَّات "**كلوزيل**" نحو المدينة، في الظُّروف الجويَّة المترديَّة، وفي

---

[1] عبد الكريم بجاجة، معركة قسنطينة 1836– 1837، المرجع السَّابق، ص 21.

[2] عبد العزيز فيلالي، جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة، 1830– 1850م، دار الهدى لطباعة والنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 2012م، ص 88.

[3] محمَّد العربي الزبيري، مذكَرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشَّركة الوطنيَّة للنشر والتَّوزيع، الجزائر، 1981م، ص 69.

[4] الكونت كلوزيل: Bertrand Claezel ولد يوم 12 ديسمبر 1772 في ميريبوا Mire poix بفرنسا، تولَّى عدَّة وظائف في الجيش والسَّفارة الفرنسيَّة في إسبانيا، أصبح ماريشال فرنسا سنة 1831م، ثمَّ عيِّن مرَّة أخرى في الجزائر سنة 1835م، وعزل منها بعد فشله في حملة قسنطينة 12 فبراير 1837م، أنظر: أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنيَّة الجزائريَّة (1830– 1900م)، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 36.

نهاية هذا اليوم استطاع "**كلوزيل**" الوصول بمقدِّمة جيشه إلى سَطح **المنصورة**، إلا أنَّ أهل المدينة قابلوه بقذائف المدفعيَّة المكثَّفة من أسوار **باب القنطرة** ومن **القصبة**[1]

وكان لمدينة **قسنطينة** الحصينة منفذان رئيسيان:

الأول: باب القنطرة وجسرها الوحيد في الجهة الشَّرقيَّة، يربط الجزء المنخفض من المدينة بسفوح سطح **المنصورة**

الثَّاني: كدية سيدي عاتي، وهي عبارة عن تل مرتفع يقع مقابل الأبواب الثَّلاثة المتواجدة غرب المدينة وجنوبها: **باب الجديد وباب الوادي وباب الجابية، وعلى يسار الكدية تمتدُّ ضاحية عوينة**، تضمُّ عددا من الدَّكاكين الموزَّعة بين باب الجديد والكدية، أنشأها "**صالح باي**" فأصبح هذان المنفذان الميدانان الرئيسيان لساحة الوغى والمعارك بين الطَّرفين، فقطع العدو **وادي الرِّمال** من المكان المعروف اليوم **بمجاز الغنم** متَّجهًا نحو منحدرات باردو، في محاولة لتسلُّق الكدية واحتلالها[2]، وبادر "**ابن عيسى الحاج أحمد باي**" **يوم 22 نوفمبر 1836** في **كدية سيدي عاتي**، فأصاب العدو بخسائر فادحة في الأرواح والمعدَّات وفي صبيحة **يوم 23 نوفمبر** كثَّف العدو رشق المدينة بالمدافع والبطَّاريات وردَّ عليهم "**أحمد باي**" بالقضاء على قوَّات الحراسة واستولى على الجزء الكبير من قافلة التَّموين [3].

وحاول الفرنسيون بدورهم اقتحام **باب القنطرة** من جديد في ليلة **22 إلى 23 نوفمبر**، وصارت تلك الليلة حرب كبير وقتال شهير برمي الكور والبومبة، وأطلقوا كذلك وابلا من قذائف المدافع نحو **باب القنطرة** فتضرر من هذه الطَّلقات، وعمَّت الفوضى في صفوف جيش الحملة وعندما علم الباي بما يجري واستعداد قواة الحملة لمغادرة السَّاحة، أمر بفتح

[1] عبد الكريم بجاجة، معركة قسنطينة 1836– 1837، المرجع السَّابق، ص 15.

[2] المرجع نفسه، ص 16.

[3] المرجع نفسه، ص 17.

الأبواب عند الفجر، ومهاجمة القوَّات الفرنسيَّة من الخلف حتى يتمكَّن هو على رأس فرسانه من مهاجمتهم من الأمام[1]، أمَّا في **يوم 24 نوفمبر 1836** انسحبت صفوف القوَّات الفرنسيَّة التي لم تنتظر وحداتها الموجودة **بكدية عاتي** لتلتحق بباقي القوَّات عند **المنصورة**

ثمَّ تشكِّل طابور حزين قاصدًا **عنَّابة**، تاركًا وراءه الجرحى والمرضى وما بقي من العتَّاد والمؤن التي سلمت بعد تدمير القافلة وقد أمر "**أحمد باي**" بملاحقة الطَّابور الفرنسي حتى قالمة ومناوشته لرفع خسائره إلا أنَّه لم يحاول إبادة الجيش الفرنسي في الوقت الذي كانت لديه الإمكانيات اللازمة لذلك، وكان "**أحمد باي**" يرمي من وراء ذلك إلى أمرين[2]:

– الأمل في عقد مفاوضات في ظروف حسنة تنتهي باعتراف الحكومة الفرنسيَّة باستقلال بايلك **قسنطينة**، وبسلطة "**أحمد باي**" على هذا الجزء الهام من التُّراب الجزائري.

– الحفاظ على حياة "**دوق دي نمُور**" ملك **فرنسا** الذي كان يوجد ضمن الطَّابور الفرنسي[3].

يوم 28 نوفمبر 1836: وصلت القوَّات الفرنسيَّة بصعوبة إلى **قالمة** لتنطلق منها فورًا نحو **عنَّابة.**

وتعتبر هذه الحملة الأولى على **قسنطينة** التي قادها "**كلوزيل**" والعديد من الجنرالات والعقداء، أخطر هزيمة مُني بها الجيش الفرنسي خلال الاحتلال.

لمَّا عاد "**أحمد باي**" إلى مدينته، أمر "**ابن عيسى**" بإصلاح ما أفسدتهُ الحرب في الحصون والأسوار والأبواب، فقام بترميم الحواجز وأمر بحفر خندق وإقامة تحصينات جديدة يسهل بها إغلاق شوارع المدينة في الحال، وأعاد "**أحمد باي**" تسليحها بالمدافع

[1] عبد الله مقلاتي، المشروع الفرنسي الصَّليبي الاحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنيَّة، (1830–1962م)، دار بوسعادة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 2013م، ص 36.

[2] عبد الكريم بجاجة، معركة قسنطينة 1836– 1837، المرجع السَّابق، ص ص 27–28.

[3] مرجع نفسه، ص 28.

وأحاطها بالحصوى والمتاريس من الصُّخور الصلبة، والتَّحصينات المثلَّثة[1]، ثمَّ أمر بتهديم بعض المنازل والدَّكاكين والمسجد باستثناء المأذنة التي كانت قائمة ما بين **سيدي عاتي** وأسوار المدينة، حتى لا يلجأ العدو ويحتمي بها، وقام بهدم البناءات الواقعة ما بين **باب الوادي (البريد المركزي) وباب الجابية (رأس جسر سيدي راشد)**، وقد جرت في فترة الهدوء اتِّصالات ما بين الباي والوالي العام الفرنسي "**كلوزيل**" لكنَّها لم تسفر عن نتيجة بسبب تعنت **فرنسا** وشروطها المجحفة[2].

ب- الحملة الفرنسيَّة الثَّانية وسقوط مدينة قسنطينة:

أعاد الفرنسيون مهاجمة **قسنطينة(أنظر الملحق رقم 4)** لارتباط ذلك بهيمنة **فرنسا** وتنفيذ مشروعها الاستعماري في **الجزائر**، والانتقام لهزيمتهم فجنَّد للحملة الثَّانية **13.000 جندي:** منهم **9.500** ومن المشاة و**2.000** من الفرسان والباقي من الأعوان، وشارك فيها ألمع ضبَّاط **فرنسا** مثل: "**كارامان ودوفلوري، ولامي**" وقد قسَّمت القوَّات المهاجمة إلى **أربع** فرق[3]: الأولى بقيادة "**الدُّوق دونومور"(Due denemour)** والثَّانية جُعل عليها "**الجنرال تريزيل" (Trézel)** [4]، والثَّالثة أشرف عليها "**روتيار" (Ruthiéres)**، والرابعة نُصب على رأسها "**برو**" (Bro)، وتولَّى قيادة الحملة بفرقها الأربع "**الجنرال بيريغو**"

[1] Charles- André Julien , Histoire de l'Algérie contemporaine (1827- 1871), paris, 1964, p 132.

[2] عبد الحميد زوزو، محطَّات في تاريخ الجزائر، دراسات في الحركة الوطنيَّة والثَّورة التَّحريريَّة، (على ضوء وثائق جديدة) دار هومة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 2004م، ص 112.

[3] ناصر الدّين سعيدوني، معاوية سعيدوني، ذاكرة قسنطينة، (مختصر تاريخ قسنطينة عبر العصور)، ك1، البصائر لنشر والتَّوزيع، الجزائر، 2016م، ص 193.

[4] الجنرال تريزيل: ملازم أول عام 1805م، عقيد في معركة واترلو، التي فقد فيها عينه اليسرى. أنظر: عبد الكريم بجاجة، المرجع السَّابق، ص 37.

(Prerrégaux)، باعتباره قائد أركان الحملة وأوكلت قيادة الجيش إلى **الجنرال "داميرمون" (Damrémant)**[1].

سلكت الحملة الثَّانية طريق الحملة الأولى، وقبل شن الهجوم على المدينة بعث **"الجنرال داميرمون"** [2] مبعوثًا خاصًّا إلى سكَّان المدينة يعرض عليهم الاستسلام، عن طريق خطاب جاء فيه: " يا أهل قسنطينة، إنَّ مدافعنا منصوبة تحت أسواركم التي سوف تهدم، وتدخل قوَّاتنا إلى مدينتكم، فإذا أردتم تجنُّب محن كبيرة، فعليكم بالرُّضوخ قبل فوات الأوان..."، لكن أهل المدينة ظلُّوا يدافعون عن أنفسهم ومدينتهم حتى الموت[3]، واصل العدو حصاره لمدينة **قسنطينة** مركِّزًا على المدفعيَّة خاصَّة من **كدية عاتي** حيث انتقلت قيادة أركانه لمعاينة بطَّريات المدافع، وهنا يُقتل **الجنرال "داميرمون"** بقذيفة من مدفع **"علي البومباجي"** ثمَّ **"الجنرال بيريغو" (Prerrégaux)** برصَّاصة القنَّاصة الجزائريين وهو منحني يتفقَّد جثمان قائده ثمَّ تُوفِّي بعد أيَّام[4] وعُوِّض **بالجنرال "فالي" (Valee)**[5].

---

[1] ناصر الدّين سعيدوني، معاوية سعيدوني، المرجع السَّابق، ص 194.

[2] داميرمون: هو الكونت دونيس داميرمون (ontre de his de Damrémont) ولد يوم 8 فيفري 1783 في شومون بالمارن الأعلى (Haute Marne) بفرنسا، دخل المدرسة العسكريَّة فونتان بلو (Fonte Marne) في 16 ماي 1803م، تولَّى رتبة ضابط كبير في لواء الشَّرف (le gion .d'honneur) منذ 1827م، قتل في مدينة قسنطينة يوم 12 أكتوبر 1837م، بقذيفة مدفع أطلقها البومباجي بأمر من الحاج أحمد باي وكانت إصابتهُ مباشرة في المعدة والصَّدر. أنظر: محمَّد قويسم، مجاز الاحتلال الإستدمار الفرنسي بمدينة قسنطينة عام 1837م، العدد 4، المجلَّة التَّاريخيَّة الجزائريَّة، جامعة محمَّد بوضياف، المسيلة، سبتمبر، 2017م، ص 83.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السَّابق، ص 96–97.

[4] محمَّد قويسم، مجاز الاحتلال الإستدمار الفرنسي بمدينة قسنطينة عام 1837م، المرجع السَّابق، ص 85.

[5] الجنرال فالي: هو سيلفيان شارل فالي ولد يوم 17 ديسمبر 1773م، ثمَّ بريان شاتو بفرنسا، درس في مدرسة شالون للمدفعيَّة سنة 1792م، كان أقدر قادة المدفعيَّة في أوروبَّا، شارك بنجاح في أزيد من أربعين عمليَّة حصار في صفوف الجيوش النَّابليونيَّة. أنظر: فرانسوا ماسبير، المرجع السَّابق، ص ص 110– 111.

وبدأت العمليات العسكريَّة لاقتحام مدينة **قسنطينة (أنظر الملحق رقم)** عندما أعطى "**الدُّوق دونومور**" الإشارة للطَّابور الأول بالتَّحرك نحو ثغرة **(لابريش رباب الوادي)**، وتحت وابل من الرَّصاص الكثيف ثبَّت "**الكابيتان غاردوينس**" العلم الفرنسي على السُّور، وبدأ اقتحام المدينة حيث واجه الجنود المهاجمون مقاومة عنيفة، وتحوَّل كل بيت إلى حصن منيع، وتوجَّب كسر الأبواب والاشتباك مع المقاومين المتحصِّنين وراءها، كما تعرَّض الكثير من الجنود لطلقات البنادق من فتحات الأبواب ومن أعلى المنازل، وعند كل انحناءات الأزقَّة[1]، وقد وُصف هذا المشهد الملحمي "**الماريشال سانت آرنو**" [2] الذي شاهد على الحملة بعد يوم من دخول الجيش الفرنسي مدينة **قسنطينة (14 أكتوبر)** في إحدى رسائله بقوله: «**أنَّ لا شيء أكثر رعبًا كما يشهد ذلك قدماء محاربي الإمبراطوريَّة من المقاومة المستميتة لرجال يجب قتلهم مرَّتين، ومدنية يجب أخذها بحد الخناجر تحت نيران كثيفة، بيتًا بعد بيت، شارعًا بعد شارع، وتلك المجزرة من الطَّرفين خلال ثلاث ساعات، عندئذٍ يمكنك تصوّر الدَّم الذي سال...**»[3].

كانت معركة مدينة **قسنطينة**، سواء في الحملة الأولى أو الثَّانية، مكلفة جدًّا للفرنسيين ومحبطة لمعنوياتهم، وهذا ما حاول التَّعبير عنه لقائد الجيش "**فالي**" الذي خلَّف "**دامريمون**" الذي قتل في المعركة، في برقيَّة إلى وزير الحربيَّة الفرنسي "**بطولون**"، إثر الاستيلاء على **قسنطينة**، فقد ركَّز فيها على شجاعة الجيش الفرنسي بهذه العبارة «**العلم الثُّلاثي الألوان يرفرف فوق قسنطينة التي وصل الجيش الفرنسي إلى أسوارها في 6 أكتوبر،**

---

[1] ناصر الدِّين سعيدوني، معاوية سعيدوني، ذاكرة قسنطينة، مختصر تاريخ قسنطينة عبر العصور، ك 1، المرجع السَّابق، ص 195.

[2] المارشيال سانت آرنو: جندي فرنسي ومارشال فرنسا، أصبح القائد العام لجيش الشَّرق، قام بحملة ضدَّ قسنطينة سنة 1841، توفِّي سنة 1854م. أنظر: فرانسوا مسبيرو، المرجع السَّابق، ص 114.

[3] ناصر الدِّين سعيدوني، معاوية سعيدوني، ذاكرة قسنطينة، المرجع السَّابق، ص 196.

وفتح ثغرة (لابريش) في السُّور يوم 11 أكتوبر، وبدأ الهجوم يوم 12 أكتوبر وكانت مقاومة العدو مستميتة، إلَّا أنَّ قوَّاتنا تمكَّنت من إخمادها[1].

وفي الجهة المقابلة كانت التَّحصينات محروسة بالرِّجال، تحت قيادة "**علي بن عيسى الباش حمبه**"، وشيوخ الفرق الذين ذكرهم "**الحاج أحمد**" عند تعرُّضه لمن لبَّى نداء الواجب، ووصل قبل بدء القتال، منهم مجموعة هامَّة تجمَّعت بالقرب من **باب القنطرة**، ومن تبقَّى منهم صعد فوق سطوح المنازل[2]، في الوقت الذي وصلت فيه الفرقتان، وأمرتا باحتلال **كدية عاتيا**، على رأس فرقة الخيَّالة النِّظاميَّة، التي وضعت على الجانب الأيسر لصد هجمات فرسان "**الحاج أحمد باي**"، بينما تسير فوق المشاة في الوسط ثمَّ صعد الجميع، بعد اجتياز **وادي المال ووادي بومرزوق**، من ناحية قنطرة المياه الرُّومانيَّة، لكن المواجهة التي انطلقت من أسوار المدينة قضت على العديد من العساكر، من بينهم النَّقيب "**رابي**" ورغم أنَّ **كدية عاتي** لم تكن محميَّة إلا أنَّ فرق الهندسة العسكريَّة شرعت بعد استيلاء الجيش عليها ببناء حواجز دفاعيَّة استعملت فيها حجارة المقبرة الموجودة هناك[3]، وبعد سقوط المدينة والمقاومة الشَّرسة اندفع النَّاس نساء ورجال وأطفال نحو المنحدرات ولا سيَّما منحدر **الطَّابيَّة**، فارِّين من جنود العدو مستعملين الحبال لنزول إلى **وادي الرِّمال** عبر الجروف، وتمزَّقت بهم الحبال، فسقط العديد من الضَّحايا[4].

---

[1] ناصر الدِّين سعيدوني، معاوية سعيدوني، ذاكرة قسنطينة، المرجع السَّابق، ص 197.

[2] علي خلاصي، قسنطينة مدينة الجسور عبر العصور، ط 1، دار الحضارة للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة، الجزائر، 2015م، ص 281.

[3] المرجع نفسه، ص 282.

[4] عبد الكريم بجاجة، المرجع السَّابق، ص ص 10، 12.

وقد تابع الجيش الفرنسي من **كدية سيدي عاتي** ومن سطح **المنصورة** ومن **القصبة** هؤلاء الفارِّين عبر المنحدرات الصَّعبة فقتلوهم[1]

وقد جاء في مقال للباحث "**واتبلد**" (E.Watbled) من خلال وثائق تركها "**بيربيرغر**" (Berburger) رئيس اللَّجنة العلميَّة خلال الحملة العسكريَّة الفرنسيَّة الثَّانية على **قسنطينة** أنَّ فصيلة من الفيلق الإفريقي الثَّاني مرَّت على الأموات والميتات ودفع الكل إلى الأمام بالحراب، وهذا يُوضِّح مدى القتلى في هذا الهجوم من المدنيين خاصَّةً[2].

وكانت الأيَّام الموالية لسقوط المدينة كئيبة والحياة فيها تبدو مُكدرة وحزينة فاليهود يتجوَّلون عبر أزقَّتها، ثمَّ بدأت عمليَّة النَّهب والاغتصاب من طرف قوَّات العدو، واستمرَّت هذه الأعمال ثلاثة أيَّام كاملة بصفة مطلقة، وحتى انسحاب فيالق الجيش الفرنسي وترك حامية تتكوَّن من **3000 جندي**[3].

وأضاف تم تجنيد اليهود قسرًا للقيام بأعمال التَّنظيف المدينة وجمع الجثث وإلقائها في حفرة كبيرة تجاوز عدد القتلى جميع التَّوقعات، بحيث لم تسعهم الحفرة جميعًا[4].

كما قام اليهود بنهب كنوز الباي لأنَّهم كانوا يعرفون مخابئها وقت الاضطرابات والفوضى التي سادت المدينة في منتصف **أكتوبر 1837م**[5]، وقد وصل بهم الأمر إلى الاستيلاء على كل ما يوجد في البيوت ويقيموا بها نوع من الأسواق الخاصَّة، ويذكر

---

[1] أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلَّفات الرَّحالين الألمان 1830– 1855م، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1989، ص 89.

[2] فرانسوا مسبيرو، المرجع السَّابق، ص 125.

[3] فنَدلين شلوصر، المرجع السَّابق، ص 109.

[4] المصدر نفسهُ، ص 115.

[5] محمَّد الصالح العنتري، فريدة منسيَّة في حال دخول التُّرك إلى قسنطينة استيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مر: وتق، يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 233.

"**سانت آرنو**" وهو أحد الشُّهود أنَّه: «**لن أتوسَّع أكثر في وصف مشاهد النَّهب والفوضى العارمة التي دامت ثلاثة أيَّام، فنلقى عليها وتار النِّسيان كي لا نشوه صورة أمجادنا**»[1]؛ إذن فقد ساد الانحطاط الفكري والتَّدهور الاقتصادي وتمزيق الحياة الاجتماعيَّة في المدينة نتيجة اشتداد قبضة الاستعمار على السكَّان واضطهادهم وتشريدهم[2].

وهكذا فإنَّ مقاومة "**بن عيسى باش**" حانبا، و"**الحاج أحمد باي**"، ومحاولات "**الحاج باي**" نفسه للوقوف في وجه الفرنسيين، لم تجدي نفعًا، ممَّا غرس سلطة الفرنسيين على مدينة **قسنطينة**، فسارعوا إلى تنصيب "**الكوماندان بيدو**" حاكمًا عليها، فاتَّخذ مقر لإدارته "**دارباش خزناجي الحاج أحمد باي**"، ثمَّ بعد أن هدأ الوضع نصبوا عليها "**حمُّودة بن الشَّيخ**" "**محمَّد** الفقون" أملًا في تقريب الإدارة الفرنسيَّة من سكَّان **قسنطينة**[3].**(أنظر الملحق رقم 4).**

ج- موقف سكَّان المدينة من الاحتلال الفرنسي:

تباينت مواقف وآراء السكَّان بين معارض ومؤيِّد للحملة الفرنسيَّة

1- الأتراك:

عند احتلال **الجزائر** قام الأتراك بإرسال سفراء إلى "**الحاج أحمد باي**" يؤكِّدون على تعاونهم معه وامداد بالعون ولكنَّها مجرَّد وعود شفويَّة لا أكثر[4]، أمَّا الأتراك المتواجدين بالمدينة فقد دافعوا عنها واستشهدوا في سبيل الدِّفاع عنها حسب رواية "**أشيل**" وهناك من

---

[1] عبد الحميد زوزو، محطَّات في تاريخ الجزائر، المرجع السَّابق، ص 113.

[2] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشَّركة الوطنيَّة لنشر والتَّوزيع، الجزائر، 1982، ص 143.

[3] ناصر الدِّين سعيدوني، معاوية سعيدوني، المرجع السَّابق، ص 197.

[4] فندلين شلوصر، المرجع السَّابق، ص ص 43، 54.

يوافق الرَّأي الأول ويرى بأنَّ احتلال **قسنطينة** خاصَّة بسبب تواطئ الأتراك، وهو يحمِّلهم المسؤوليَّة وهو الكاتب الجزائري "**مجاهد مسعود**"

فقد أشار "**أحمد باي**" في مذكراته حيث كتب «**لقد قمت منذ زمن طويل باستدعاء جميع الجيوش في مقاطعة قسنطينة، وقد هبَّ جميع القادة لتلبيَّة ندائي، وأذكر منهم: مسعود بن المبارك، رزقي شيخ الحنانشة، الحاج رجب شيخ الحراكته... والدَّور الذي لعبته عائلة بوعكَّاز من خلال فرسان الشَّيخ أحمد بوعكَّاز قاتلوا الفرنسيين أثناء حملتهم الأولى والثَّانية على المدينة قتالًا مستميتًا وهذا ما تبين أنَّ هذه العائلة بقيت وفيَّة لموقفها المعادي للاستعمار الفرنسي**»[1]، وكذلك **عائلة أولاد عز الدِّين** وقفت إلى جانب "**الحاج أحمد باي**" أثناء دفاعه عن المدينة وهذا ما تبيَّن في حماية النِّساء والممتلكات الثَّمينة التي أرسالها "**الحاج أحمد باي**" إلى الشَّيخ "**بورنان عز الدِّين**" [2].

وقد شارك فرسان عائلة "**ابن قانة**" في التَّصدِّي للحملة الفرنسيَّة الأولى على مدينة **قسنطينة عام 1836م**، وقد لعب شيخ العرب "**بوعزيز بن قانة**" دورًا محوريًّا في ترتيب الخطَّة الدِّفاعيَّة وسيِّر المعارك[3].

2- الكراغلة:

تباينت الآراء حول هذه الفئة بين متعاون ومؤيِّد، بين معارض فالكاتب "**مجاهد مسعود**" يرى بأنَّ موقف كراغلة **الجزائر** ككل كان مؤيِّد للاحتلال وسيدلُّ على ذلك

[1] فركوس صالح، الحاج أحمد باي قسنطينة 1826- 1850م، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 2009، ص 66.

[2] المرجع نفسه، ص: 67.

[3] محمَّد العربي الزُّبيري، المصدر السَّابق، ص 76.

بإرسال الرِّسالة التي أرسلها الكراغلة إلى **فرنسا**[1] وقد ذكر "**شلوصر**" شخص من **الكراغلة** اسمهُ الشَّيخ العربي، قام بتبادل الرَّسائل مع الفرنسيين غير أنَّنا لا نستطيع اصدار حكم مطلق بأنَّ كل هذه الفئة متعاونة مع جيش الاحتلال "**فأحمد باي**" من هذه الفئة وقد قاوم الاحتلال الفرنسي، ومن العائلات التي كانت مع الموقف المتعاون مع المستعمر نذكر عائلة "**بوعكَّاز الذواودة**" من خلال أنَّ زعيمهم الشَّيخ "**فرحات بن السَّعيد**" كثَّف من اتِّصالاته بالقادة والمسؤولين الفرنسيين بعد انكسار حملتهم العسكريَّة الأولى على مدينة **قسنطينة** عام **1836م** وهذا كلُّه من أجل أن ينال منصب **شيخ العرب** على الجنوب القسنطيني[2]، كذلك عائلة "**ابن جلَّاب**" المتعاونة مع المستعمر فقد تبادل "**الشَّيخ علي بن محمَّد بن جلَّاب**" عدَّة رسائل مع الحاكم الفرنسي الجنرال "**دروي ديرلون**"[3] دعاه فيها إلى احتلال المدينة[4].

3- اليهود:

كانت هذه الفئة وراء كلَّ مصائب الشَّعب الجزائري وهم السَّبب في احتلالها، لأنَّهم تعاونوا مع المصالح الفرنسيَّة العسكريَّة، بحيث نقلوا لفرنسا كلَّ ما يجري بالإضافة إلى اتِّصالهم الدَّائم بالانكشاريَّة وقد تغطَّى "**أحمد باي**" عنهم في مذكِراته << **اليهود في هذه البلدان كانوا دائمًا قد عكَّروا صفو حياة الشُّؤون السِّياسيَّة التي يدخلون فيها**>>[5] وعند

---

[1] فرانسوا ماسبيرو، ارنست آرنو، المرجع السَّابق، ص 113.

[2] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآرا في تاريخ الجزائر، ج 3، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 12.

[3] الجنرال دروي ديرلون هو حاكم عام في الجزائر، تمَّ اختياره لشغل هذا المنصب من قبل صديقته الماريشال "جيرار" وزير الحربيَّة الفرنسي، عيِّن في هذا المنصب بتاريخ 1834/7/27م، وبعدها استخلفه الماريشال كلوزيل أنظر: Charles- André Julien op.cil pp 118- 127.

[4] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآرا في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 13.

[5] فرانسوا ماسبيرو، ارنست آرنو، المرجع السَّابق، ص: 114 . وأنظر مجاهد مسعود، ص 90.

دخول جيش الاحتلال كان عددهم جدٌّ كبير بالمدينة وخضعوا للسُّلطة الفرنسيَّة ولم يبدو أي ردَّة فعل.

4-السكَّان المحلِّيين:

أمَّا عن موقف سكَّان المدينة من حضر عمَّال موسميين من الاحتلال الفرنسي فقد انقسموا إلى فريقين حسب **شلوصر** فريق أول مؤيِّد لاحتلال المدينة وتمثِّله أقليَّة من أعيان المدينة كانوا على عداء مع **الحاج أحمد باي** وفريق ثاني مثَّلته الطبقة الفقيرة والمتوسِّطة وكانوا معاديين للاستعمار ورافضين لفكرة احتلال المدينة[1] عازمين على مقاومة الجيش الفرنسي مهما كان عدد جنوده

وقد حمل لهم العرب رسائل من القوَّات الفرنسيَّة تحثُّهم على الاستسلام لكنَّهم رفضوا ودافعوا عن المدينة بكلِّ قوَّتهم خلال الحملة الأولى والثَّانية وبعد دخول الفرنسيين لها كانوا غير راضين عليها إلى درجة اصابتهم بالحزن كما يقول "**أشيل**" **[أمَّا السكَّان المحزنون البائسون فكانوا يكظمون الغيض، إذا نظرت لهم توعَّدوك ونذروك بالسُّوء]** وبالتَّالي فالسكَّان عقدوا العزم لمحاربة الفرنسيين لكن عدم توازن القوى أدَّى إلى احتلال المدينة[2].

[1] العلوي محمَّد الطَّيب، مظاهر المقاومة الوطنيَّة الجزائريَّة من (1830- 1914م)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الشَّركة الوطنيَّة للاتِّصال والنَّشر، وحدة الطِّباعة رويبة، الجزائر، 1994م، ص: 56.

[2] فرانسوا ماسبيرو، ارنست آرنو، المرجع السَّابق، ص: 116.

د- النَّتائج المباشرة لاحتلال المدينة:

1- الوضع السِّياسي:

بعد سيطرة الإدارة الاستعماريَّة على مدينة **قسنطينة (أنظر الملحق رقم5)** قرَّرت تعيين حاكم عام يدير شؤون المدينة تحت سيطرتهم ووقع الاختيار على "**سي حمُّودة**" ولد **الفكُّون** وذلك على توفّر فيه هو وعائلته من صفات حسنة كونه من عائلة محبَّة للخير والسَّلام وكلَّ الأهالي يحترمونه[1]،حيث باشر بالعمل مباشرة وقام بترتيب القبائل المخازنيَّة واعطاء كلَّ قبيلة مهمَّة خاصَّة بها وبالتَّالي العودة إلى الأوضاع القديمة؛ أي جمع الضَّرائب وتأديب الرَّافضة للتَّسديد، أمَّ الإدارة العامَّة فقد بقيت تحت تصرُّف "**سي حمُّودة**"[2].

ومن هنا نستنتج أنَّ الإدارة الفرنسيَّة أبقت على الأوضاع الإداريَّة والسِّياسيَّة في **قسنطينة** وإذا كان هناك تغيير فهو طفيف وكانت تهدف في كل الأحوال إلى خلق مجتمع سياسي تابع لها في كل الأمور[3].

2- الوضع الاجتماعي:

فمنذ **1837م** استعمل الجيش الاستعماري القوَّة والعنف ضدَّ الأهالي والقمع وحسب "**سانت آرنو**" قاموا بإبادة الأهالي القسنطنيين خاصَّة الرَّافضين لوجودهم وكانت الجثث مرميَّة في كل أماكن المدينة[4] وبسبب كلَّ تلك الاجراءات التَّعسفيَّة أدَّى ذلك إلى تغيير البنية الاجتماعيَّة فقد غادر العديد من السكَّان المحلِّيين وفضَّلوا التَّوجه إلى المناطق الخالية من السَّيطرة الفرنسيَّة والبعض الآخر فضَّل الهجرة نحو "**تونس**" ودول المشرق العربي وهم الطَّبقة المثقَّفة وأعيان المدينة.

---

[1] محمَّد صالح العنتري، المصدر السَّابق، ص 118.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثَّقافي، ج 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م، ص 61.

[3] عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830- 1900م، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1984، ص 212.

[4] فرانسوا ماسبيرو، سانت آرنو، المرجع السَّابق، ص 120.

الخلاصة:

شهدت **قسنطينة** في أواخر العهد العثماني وبالتَّحديد فترة حكم **أحمد باي** والي تمتدُّ من **1826** إلى غاية **1837م** أوج ازدهارها في مختلف مظاهر الحياة الاقتصاديَّة، الثَّقافيَّة، السِّياسيَّة، الاجتماعيَّة وحتَّى العمرانيَّة حيث عمل البايات على تجميل المدينة وأدخلوا عليها عدَّة تحسينات فشيَّدوا القصور وأقاموا الجسور وأعادوا تخطيط المدينة؛ إضافة إلى ذلك جعلوا من **قسنطينة** عاصمة لبايلك الشَّرق وكان ذلك أول تقسيم إقليمي عرفته **الجزائر** في تاريخها، وبسبب كلَّ الامتيازات التي اكتسبتها المدينة فضلًا عن موقعها الاستراتيجي باعتبارها أكبر بايلك **بالجزائر** وأكثرها سكَّانًا ولهذا السبب اعتبرتها **فرنسا** بمثابة العصب الأساسي والعمود الفقري **للجزائر** لذلك وجَّهت أنظارها لمدينة **قسنطينة** وحدث ما يسمَّى بالحملة الفرنسيَّة الأولى على **قسنطينة** عام **1836** والتي فشلت ثُمَّ حدثت الحملة الفرنسيَّة الثَّانية عام **1837م** والتي من خلالها سقطت **قسنطينة** في يد الفرنسيين.

الفصل الثاني:

السِّياسة العمرانيَّة بمدينة قسنطينة

خلال الفترة الإستعماريَّة

1837– 1945م

الفصل الثاني: السِّياسة العمرانيَّة الفرنسيَّة بمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعماريَّة 1837– 1945م.

أولا: بدايات التَّخطيط العمراني الفرنسي بمدينة قسنطينة.

ثانيا: المؤسَّسات العلميَّة بمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعماريَّة.

ثالثًا: المنشآت العموميَّة بمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعماريَّة.

رابعا: الأحياء السكَّانية بمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعمارية.

لقد تمكَّنت السُّلطات الفرنسيَّة من تحقيق أهدافها في الجانب العمراني حيث عملت على القضاء على النَّمط العربي الإسلامي وأحلَّت محلَّه النَّمط الاستعماري الفرنسي– **الأوروبي**– ممَّا أدَّى بدوره إلى التَّأثير على الجانب الثَّقافي حيث قامت بتهديم المساجد والزَّوايا والمدارس والكتاتيب وتغيُّر وظيفتهم الأساسيَّة، وأقامت على أنقاضها ثكنات عسكريَّة، وإسطبلات للخيول وغيرها من المرافق التي تلبِّي حاجاتها الخاصَّة ولم تكتفي بهذا الحد فقط بل غيَّرت العديد من المنشآت العموميَّة والتي تمثَّلت في: **السَّاحات، الحمَّامات، الجسور...إلخ** ضف إلى ذلك عملت على تغيّر جلَّ الأحياء السكَّانيَّة؛ ومنه بعد تعرُّضنا في الفصل التَّمهيدي إلى دراسة الأوضاع العامَّة في مدينة **قسنطينة** أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي **(1837م)** ونحن من خلال ممَّا سبق سوف ندرس في هذا الفصل أهم التَّحوُّلات العمرانيَّة الفرنسيَّة في مدينة **قسنطينة** خلال الفترة الممتدَّة من **1837** إلى غاية **1945م** من بدايات التَّخطيط العمراني الفرنسي الأول وأهم المؤسَّسات والمنشآت العموميَّة التي مسَّها التَّغيير.

أولا: بدايات التَّخطيط العمراني الفرنسي بمدينة قسنطينة

مع انطلاق الحملات العسكريَّة للاحتلال مدينة **قسنطينة**[1] وفي نفس الوقت بدأت الهندسة العسكريَّة الفرنسيَّة في القيام بالأعمال العمرانيَّة الأولى داخل المدينة[2]، وذلك حسب ما جاء في خرائط ووثائق هيئة أركان الجيش الفرنسي وما ورد كذلك في الخرائط المساحيَّة والصُّور الجويَّة للمؤرِّخين الفرنسيين[3]. حيث انطلقت عمليَّة التَّخطيط العمراني والعمل على توسيعه وإخراجه من المرحلة القديمة إلى مرحلة إعادة البناء والتَّوسُّع على

[1] عبد العزيز فيلالي وآخرون، مدينة قسنطينة، محطَّات في تاريخها الثَّقافي والعمراني، مؤسَّسة عبد الحميد بن باديس، (د.ط)، قسنطينة، (د،س)، ص 140.

[2] ناصر الدِّين سعيدوني، وثائق هيئة أركان الحرب الفرنسيَّة، المرجع السَّابق، ص 18.

[3] المرجع نفسه، ص 20.

حساب الأراضي الزِّراعيَّة وعليه رسم الاستعمار الفرنسي قبل إسقاط المدينة – **فترة قيام الحملات العسكريَّة**– المعالم الأساسيَّة والخطوط الرَّئيسيَّة للنُّمو الحضري للمدينة[1]. حيث قاموا بالعديد من التَّغيُّرات على مستوى النَّسيج العمراني **لقسنطينة** – **والتي تسمَّى تصنيف المؤرّخ "جمال حمدان" لفترات تاريخ حياة المدنيَّة**– وذلك بالاعتماد على الخريطة التي وصفها الضَّابط الفرنسي "**هيبوليت**" فنلاحظ أنَّ تلك التَّغيُّرات العمرانيَّة تركَّزت بالدَّرجة الأولى على المنشآت العسكريَّة حيث قام الفرنسيون مع بداية سنة **1837م** بتهديم القصبة [2] وتحويلها إلى ثكنة عسكريَّة والتي تمَّ تحويلها لاحقًا إلى حي أوروبي عام **1840م** يضمُّ لأول مرَّة مباني مركَّبة وبها عدَّة طوابق للاستقبال المعمِّرين وإسكانهم هناك[3]؛ ثُم عمل الفرنسيون على تنظيم الإدارة بعدها تمَّ احتلال مدينة **قسنطينة** يوم **الجمعة 13 أكتوبر 1837م** وفق النَّمط الأوروبي مع الحفاظ على بعض التَّنظيمات الدَّولة العثمانيَّة [4] – **سابقًا**– وذلك من أجل كسب تأييد السكَّان وعليه قامت السُّلطات الاستعماريَّة بإصدار **مرسوم 9جوان 1844م** والذي بموجبه تمَّ تقسيم قسنطينة إلى قسمين [5]: قسم مخصَّص للسكَّان المحليين والقسم الآخر تمَّ تخصيصه للمعمِّرين (الأوربيين)، كما نصَّ هذا القانون على منع إقامة وحقَّ التَّملك للسكَّان المحلِّيين في الجهة المخصّصة للمعمِّرين[6]، وبعد هذا التَّقسيم شرعت **فرنسا** في مصادرة أملاك السكَّان في القسم الذي تمَّ تخصيصه للمعمِّرين

---

[1] لعروق محمد الهادي، المرجع السَّابق، ص 85.

[2] القصبة: هي عبارة عن بناء قديم في شكل قلعة صغيرة محصَّنة تستعمل بمثابة ثكنة للحامية التركيَّة أنظر: محمد الهادي العروق، ص 85.

[3] عبد العزيز فيلالي و آخرون ، مدينة قسنطينة ، محطات في تاريخها الثقافي والعمراني ،المرجع السابق ، ص 141.

[4] الدَّولة العثمانيَّة: نشأت كإمارة في البداية من إمارة الغزو في الشَّمال الغربي للآسيا الصُّغرى وهم من أصل قبائل التّركمانيَّة، تأسَّست 1289م. أنظر: سامح ألتر عزيز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشَّماليَّة، تر: محمود علي عامر، ط 1، دار النَّهضة، لبنان، 1989، ص 85.

[5] عبد العزيز فيلالي ، مدينة قسنطينة، المرجع السابق، ص 150.

[6] محمد الهادي لعروق، المرجع السَّابق، ص 87.

وكذلك قامت **فرنسا** بعدَّة أشغال حيث قامت ببناء الأسوار وأحاطتها بمناطق مخصَّصة لمراقبة الجيش وتحركاته، وأحاطت ثكنة **القصبة** بأسوار عالية، وبالإضافة إلى ذلك تمَّ تهديم كل المباني المجاورة للمستشفى العسكري والسِّجن الحربي والمحكمة العسكريَّة وذلك تلبيةً للاحتياجات التَّوسُّع الاستعماري [1]، ممَّا دفع بهم كذلك إلى شق أهم وأطول الطُّرق العصريَّة للمدينة والذي يصل بين المدخلين الرَّئيسين لها والمتمثّل في شارع "**جورج كليمنصو**" **(عين المهيدي حاليا)** ليربط بين **ساحة لابريش وباب القنطرة** والتي تم بناء مخزن الحبوب بجوارها [2].

بعد مرور **10 سنوات** تقريبًا برز في **قسنطينة** ما يُسمَّى بالحي الأوروبِّي – **ناتج عن تشويه النَّسيج العمراني الفرنسي للمدينة**– الذي أقيم في منطقة القصبة ومنطقة سكَّانيَّة قديمة وهي المخصَّصة للسكَّان المحلِّيين والتي ظلَّت كما كانت في العهد العثماني [3]؛ بعد ذلك شرعت سلطات الاحتلال في إقامة مجموعة من المباني العموميَّة عام **1849م** وأعيد بناء جسر القنطرة سنة **1846م** وكان ذلك احتفالًا بزيارة إمبراطور **فرنسا لقسنطينة**[4].

وفي هذه الفترة اتَّخذ هذا الإمبراطور قرارات هامَّة والتي تمثَّلت في اختيار **قسنطينة** عاصمة إقليم الشَّرق الجزائري، ثمَّ بدأت **فرنسا** تقوم بعمليات التَّشجير حيث تمَّ تشجير جبل وحش سنة **1846م** وذلك من أجل إحاطة المدينة بحزام أخضر[5].

[1] محمد الهادي لعروق، المرجع السَّابق، ص 87.

[2] قشي فاطمة الزَّهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع، المرجع السَّابق، ص 290.

[3] معاوية سعيدوني، في عبقريَّة المكان القسنطيني، (د، ط)، ك 2، البصائر، 2016 م، ص 210 .

[4] المرجع نفسه، ص 215.

[5] معاشي جميلة، المرجع السَّابق، ص 197.

وفي سنة **1870م** عملت السُّلطات الاستعماريَّة على تدشين الخط الحديدي **قسنطينة – سكيكدة الذي يربط المدينة بالسَّاحل– لغرض تجاري واقتصادي**– وإنشاء قناة نقل المياه من المنابع للمدينة لتلبيَّة أغراض وغايات المستعمر[1].

وعليه وبعد مرور **100 عام** على احتلال المدينة، امتدَّت حركة السِّياسة العمرانيَّة نحو اتجاهين هما الاتِّجاه الغربي والشَّرقي؛ حيث أصبح مخطّط المدينة عبارة عن نواة وهي المدينة القديمة، كما قامت بزيادة في مساحة السَّكن أين أقيم حي المنظر الجميل غرب المدينة وفي شرقها أقيم حي **القنطرة**، وعليه أصبحت المدينة تشكل عنصرًا أساسيًّا من النَّاحية العسكريَّة والإداريَّة وبالتَّالي أصبحت عاصمة إقليميَّة هامَّة بعدما أصبحت تحتوي على أهم مخزن للحبوب بالشَّرق الجزائري.

وعلاوة عن ذلك قامت السُّلطات الفرنسيَّة ببناء المطاحن والمصانع – **التي تعتبر من أول معالم الخريطة الصِّناعيَّة للمدينة** – ثم قاموا – **الفرنسيون**– بناء جسور جديدة لربط المناطق القديمة بالأحياء السكنيَّة الجديدة، ضف إلى ذلك تمَّ إزالة الأسوار المحيطة بالمدينة القديمة وقاموا بإنشاء **كورنيش** واسع يعوِّضها ويحيط بالمدينة القديمة من جميع الجوانب[2].

خصَّصت السُّلطات الاستعماريَّة الفرنسيَّة، **حي سيدي مبروك** للسَّكن العسكري، وتمَّ تحويل **منطقة الكدية** إلى منطقة عصريَّة تضمُّ أهم المباني الإداريَّة للمدينة، ضف إلى ذلك إنشاء العديد من المؤسَّسات التَّعليميَّة والثَّقافيَّة والتي من أهمّها: **معهد الموسيقى، ثانويَّة للذُّكور وأخرى للإناث**، ودراسة للثَّقافة العربيَّة كذلك تمَّ بناء المعبد اليهودي في منطقة المخصَّصة لليهود وتمَّ تحويل **قصر الباي** إلى كنيسة[3].

---

[1] محمد الهادي لعروق، المرجع السَّابق، ص 89.

[2] Govrenement Général de l'Algérie, Op. cit, p 39.

[3] محمد الهادي العروق، المرجع السَّابق، ص 87.

لقد أحدث التَّدخل الفرنسي في النَّسيج والتَّخطيط العمراني تشويهًا عمرانيًّا، مما قضى على النَّسق العمراني للمدينة بصفة عامَّة؛ أما بصفة خاصَّة – **غاية وهدف فرنسا** – فإنَّ جل هذه المخطَّطات العمرانيَّة الفرنسيَّة كانت تصبُّ بالدَّرجة الأولى في صالح الفرنسيين من أجل تحديد غاياتهم ومصالحهم الخاصَّة في جميع المجالات التِّجاريَّة والصِّناعيَّة وغيرها[1].

وممَّا سبق فإنَّهُ قد تمَّ اعتماد أوَّل مخطَّط تنظيم وتهيئة خاص بمدينة **قسنطينة** كان وفق قرار مؤرخ في **15 جوان.2 سبتمبر 1852م** [2]، بعد إعادة تنظيم ما كان يعرف بلجنة تنظيم الشَّوارع وتصحيح الأرضيَّة **(connisien d'alignement et de nivellement)** والتي كانت الهيئة المسؤولة عن التَّخطيط العمراني، وكانت أغلب التَّخطيطات الأولى تتعلَّق حسبما يتَّضح من محاضر المجلس البلدي، بتنظيم بعض الشَّوارع والسَّاحات **(dignement)** وتبليطها **(pavage)** [3]؛ واتِّخاذ إجراءات لتحسين مداخيل البلديَّة في الأسواق والفنادق والمخازن والدَّكاكين قبل أن تتوسَّع الاهتمامات إلى تزويد المدينة بمياه الفسقيَّة **(غريون)** وتوسيع شبكة الصَّرف الصِّحي وتوزيع الغاز، وبناء المدارس، وتجميل الفضاءات الحضريَّة، والعمل على تهيئة المساحات الخضراء، وتشيد المباني العامَّة وتسهيل المواصلات في محيط المدينة[4]. وكانت جلَّ التَّحويرات العمرانيَّة تتم تحت إشراف سلاح الهندسة العسكريَّة[5] .

---

[1] Govrenement Général de l'Algérie, Op. cit, p 13

[2] Ernest Mercier, Histoire de constantine, imprime avec le concours de la sociéte Archéologique, constantine, 1903, p 548.

[3] Idem, p 549.

[4] التِّجاني بشير، التَّحضير والتَّهيئة العمرانيَّة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 2002م، ص 19.

[5] عز الدِّين بومزو، الضباط الفرنسيين في إقليم الشَّرق الجزائري أرنست مارسي نموذجا، رسالة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، ص 29.

لقد عرفت بداية عام **1853م** حركة بناء كبيرة في **قسنطينة**، إذ شيَّدت العديد من المباني الجديدة على الطِّراز الكلاسيكي في " **الحي الأوروبي**" وأعيد تخطيط واجهات شارع "**دامريمون**" – **والذي سوف نتطرق إليه بالتَّفصيل في المبحث الموالي**– وتمَّ تسطيح وتهيئة **رحبة الجمال** [1]، كذلك فتح شارع **فرنسا** والذي يعتبر من أهم المشاريع التي تعكس مقاربة التَّخطيط التَّنظيمي الجديد – شارع **19 جوان 1965** حاليًا)[2].

هذا وقد ظلَّت التَّحويرات التي طالت المدينة الإسلاميَّة هنا وهناك دون مشروع ومخطَّط شامل، وذلك راجع إلى الهيمنة العسكريَّة وفرضها قيودًا على التَّخطيط العمراني لدواعي دفاعيَّة ممَّا أدَّى إلى غياب النَّظرة الشَّاملة والأهداف الواضحة[3]، فاختصر التَّخطيط في السَّنوات الأولى للاحتلال على عمليات محدودة من أجل تنظيم بعض الشَّوارع[4] الرَّئيسيَّة المستقيمة قدر الإمكان لتسع لمرور العربات [5]؛ ولتصطفَّ على المتاجر التي تلبِّي حاجيات السكَّان الأوروبيين وليتمكَّن الجيش الفرنسي من السَّيطرة على أحياء المدينة المختلفة[6].

ورغم الصُّعوبات والأزمات التي كانت تكبح وتيرة المشاريع العمرانيَّة وتطور مدينة **قسنطينة** الاستعماريَّة من قبيل القحط والوباء والتي أثرت على اقتصاد الإقليم والمدينة ووحَّدت من زخم الأشغال العامَّة والتَّحويرات العمرانيّة بها خلال الفترة ما بين **(1837– 1945م)** [7]، بدأت الاهتمامات بالمدينة تشقُّ طريقها في مجال التَّخطيط العمراني وبدأ

---

[1] قشِّي فاطمة الزَّهراء، مدينة وموروثات، المرجع السَّابق، ص 145.

[2] المرجع نفسه، ص 149.

[3] معاوية سعيدوني، في عبقريَّة المكان القسنطيني، ك 2، المرجع السَّابق، ص 228.

[4] المرجع نفسه، ص 229.

[5] قشي فاطمة الزهراء ، مدينة و موروثات ، المرجع السَّابق، ص 146.

[6] مرجع نفسه، ص 147.

[7] محمد الهادي لعروق، المرجع السَّابق، ص 89.

المجال الحضري يتحوَّل ليحقق رغبة المجتمع المدني الأوروبِّي ومتطلبات طريقة عيشه في إقامة مدينة تكون فضاءً استعراضيا وليس فقط مجالًا وظيفيًّا ونفعيًّا[1].

وعليه فإنَّ بدايات التَّخطيط العمراني مسَّت مختلف مظاهر الحياة العمرانيَّة نذكر منها: المنشآت العموميَّة والمؤسَّسات العلميَّة والأحياء السكَّانيَّة[2] وغيرها ... والتي سوف نتطرَّق إلى ذكرها بالتَّفصيل في المباحث الموالية.

ثانيا: المؤسَّسات العلميَّة بمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعماريَّة:

عرفت **قسنطينة** خلال العهد العثماني نهضة علميَّة وثقافيَّة واسعة، نظرًا لما تميَّزت به من مؤسَّسات علميَّة، حيث قام العثمانيون بالاعتناء بالجانب الثَّقافي والعلمي كغيرهم من الشُّعوب الإسلاميَّة إذ شيَّدوا المراكز العلميَّة، وكان ذلك بهدف الحث على الطَّلب العلم ونشره على أوسع نطاق والقضاء على الجهل وتشجيع المجتمع القسنطيني على حفظ القرآن الكريم [3]؛ ومع دخول السُّلطات الاستعماريَّة الفرنسيَّة مدينة **قسنطينة** أحدثوا هناك عدَّة تحويلات جذريَّة على مظهرها العمراني وذلك من أجل تلبيَّة حاجيات الفرنسيين؛ فمنها ما تمَّ تهديمه وتقويضها بثكنات عسكريَّة وغيرها، ومنها ما أضيف له تعديلات وتم ترميمه ومنها من اندثر وزال، ومن بين هذه المراكز العلميَّة [4] نذكر: **المساجد، الأوقافّ الزَّوايا، المدارس، المكتبات، الكتاتيب.** وعليه تمَّ تخصيص هذا المبحث لدراسة البعض من هذه المؤسَّسات وأهم التغيُّرات الاستعماريَّة التي طرأت عليها.

[1] معاشي جميلة، المرجع السَّابق، ص 197.

[2] المرجع نفسه، ص 196.

[3] يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنيَّة والدُّوليَّة، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 154.

[4] المرجع نفسه، ص 155.

1– المساجد [1]:

اختلف المؤرِّخون في تحديد عدد المساجد في **قسنطينة** خلال العهد العثماني، فحسب "**الورثيلاني**" كان هناك **خمسة مساجد** خطبة و**70 مسجدًا** صغيرًا [2]، أمَّا "**صالح العنتري**" في كتابه "**تاريخ قسنطينة**" فقد ذكر أنَّ عدد مساجد **قسنطينة** كان أكثر من **100 جامع** [3]، أمَّا "**فايست**" فقال أنَّ عدد المساجد **بقسنطينة** أكثر من **100 مسجد**[4]، وفي فترة حكم "**صالح باي**" فإنَّ الإحصائيات اختلفت حول عدد المساجد وقد ذكر أنَّ عددها حوالي **75 مسجدًا** و**7 مساجد** تقع خارج المدينة [5]. ومن بين المساجد التي عرفت بها **قسنطينة** نذكر: **الجامع الكبير، جامع سوق الغزل، جامع سيدي الكتَّاني، جامع القصبة، جامعة رحبة الصُّوف، سيدي الأخضر**[6]... وعليه فإنَّ السُّلطات الاستعماريَّة أحدثت عدَّة تغيُّرات على المساجد فهناك ما تمَّ تحويله حسب أغراضها وحاجتها وهناك من هدّمت نهائيًا من بقيت أجزاء منها، **ومن أهم المساجد التي تمَّ تغيُّرها من طرف السُّلطات الفرنسيَّة نذكر** [7]:

– **الجامع الكبير:** هو الجامع المعروف حاليًا باسم **(الجامع الكبير)** يقع بالبطحاء السُّويقة **بشارع بن مهيدي** على يمين **القنطرة** القديمة التي تربط بين المدينة ومحطَّة السكَّة

---

[1] حسب ابن منظور ويعني حبس وسجد بمعنى خضع ومنه سجود الصَّلاة وتتمثَّل وظيفته في أداء فريضة الصَّلاة. أنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ط 18، بولاق، مصر، 1900م، ص 187. وكما جاء في قوله تعالى: يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا وأشربوا إنَّه لا يحبُّ المسرفين. صدق الله العظيم. أنظر: سورة الأعراف، الآية 31.

[2] الورثيلاني، المصدر السابق، ص412.

[3] صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، المصدر السَّابق، ص 35.

[4] زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830–1900، المرجع السَّابق، ص 211.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثَّقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998م، ص 248.

[6] محمد عثمان، المرجع السابق، ص 93.

[7] كمال غربي، المرجع السَّابق، ص 93.

الحديديَّة[1]، ويعتبر من أقدم مساجد المدينة حيث كان تحت خدمة عائلة **الفكُّون**؛ ودرس به الشَّيخ "**عبد الكريم الفكُّون**" ويقع هذا المسجد على يمين المحراب ويتكوَّن **7** درجات له باب مزيَّن بقوس مزيَّنة بزخارف نباتيَّة [2] أنظر **(الملحق رقم6)** وفي مؤخِّرة المنبر نجد مسند على شكل قوس نصف دائري عليه كتابتين بالخط الكوفي جاء فيها " **بسم الله الرحمن الرَّحيم صلَّى الله على محمَّد**" [3]، كما احتوى كذلك على العديد من النَّوافذ حوالي **9** نوافذ [4]، وله **أربعة** أبواب خشبيَّة مفتوحة في الجدار الفاصل بين بيت الصَّلاة والصَّحن؛ ومن أهم العلماء الذين درسوا في هذا المسجد نذكر: "**المكِّي البوطالبي**"، "**الشَّيخ محمَّد بن عيسى الشَّاذلي البوزيدي**" [5]؛ وقد هدَّمت منارة هذا المسجد من أجل توسيع شارع الحي الأوروبِّي وفي عام **1855م** [6] أحدث الفرنسيون عدَّة تغيُّرات للأجزاء من الجامع والأبنية المحيطة به وذلك من أجل فتح الطَّريق السُّلطاني، بالإضافة إلى إصلاحات أخرى والتي تمثَّلت في تغيُّر سقفه وأبوابه وتمَّ طلاء جدرانه وتمَّت صباغتها بالدُّهون[7]؛ عملت السُّلطات الاستعماريَّة – الفرنسيَّة على تجديد منارة المسجد – **مقدّمة الجامع**– من جهة باب المدخل الكبير المؤدِّي إلى **شارع بن مهيدي** حاليًّا [8].

[1] Cherif Megmora, le registre du caïd de bold de constantine, in R.N.M.H.GN 16 , p 49.

[2] عبد الكريم الفكُّون، المصدر السَّابق، ص 11.

[3] كمال غربي، المرجع السَّابق، ص 94.

[4] المرجع نفسه، ص94.

[5] محمَّد مهدي بن علي شعبب، أم الحواضر في الماشي والحاضر، المصدر السَّابق، ص235.

[6] المرجع نفسه، ص235.

[7] زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830–1900، المرجع السابق، ص 211.

[8] المرجع نفسه، ص212.

– **جامع صالح باي (أو سيدي الكتَّاني):** أمر صالح باي بناءه عام **1776م** [1]، يقع في ساحة "**سوق العصر**" –**حاليًا**– والذي كان يعرف في زمن الاستعمار بساحة (Negrier)[2] يقع شمال المدينة في الجهة السُّفلى **للقصبة؛** تميَّز هذا الجامع بثورة فنيَّة وفخامة الصُّنع ويعتبر من المساجد الخاصَّة بالمذهب الحنفي [3]؛ وكانت بجوار هذا المسجد المدرسة الكتَّانيَّة [4] – **والتي سوف أتطرَّق إليها في المباحث الموالية**– والتي بدورها اشتهرت في الفترة الاستعماريَّة وأصبحت لاحقًا بالمدرسة الشَّرعيَّة عام **1850م**[5]، عملت السُّلطات الاستعماريَّة على فصل السُّوق عن الجامع ومع مطلع سنة **1847م** أصبح المسجد يعرف بـــ"**المعهد الكتاني**"[6]؛ وعندما زار "**نابليون**" مدينة **قسنطينة** سنة **1864 ق م** قام بعدَّة إصلاحات على هذا المسجد بدائرة العليا فوق الباب الخارجي من الجهة الشَّرقيَّة ومن جهة الشَّمال يلي **المدرسة الكتَّانيَّة** مقر قصر العدليَّة الفرنسيَّة[7]؛ ويتميَّز هذا الجامع بشكل مستطيل ويتكوَّن من طابقين ويقع بيت الصَّلاة في الطَّابق العلوي **(أنظر ملحق رقم7)** ويحتوي المنبر على كتابة "**نتشت**" على لوحة رخاميَّة والتي تعلو مدخل المنبر الرُّخامي وهي كالتَّالي: **(لا إله إلا الله محمَّد رسول الله)**[8]؛ كما يذكر الأستاذ الدكتور "**عبد القادر دحدوح**" عن التَّغيُّرات الأخرى التي طرأت على المسجد والمتمثِّلة في الواجهتين

[1] محمد عثمان، المرجع السَّابق، ص19.

[2] كمال غربي، المرجع السَّابق، ص 103.

[3] فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، المرجع السَّابق، ص 69.

[4] المرجع نفسه، ص69.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص 82.

[6] المرجع نفسه، ص 83.

[7] كمال غربي، المرجع السابق، ص 103.

[8] المرجع نفسه، ص 104.

الخارجيتين الشرقيَّة والجنوبيَّة[1]؛ والملاحق التي تقع أسفل بيت الصَّلاة وفي الميضأة التي تقع في الطَّابق العلوي الذي فتح في الرُّكن الغربي الجنوبي الخاص بالنِّساء والميضأة التي تقع في الطَّابق العلوي[2].

– **جامع رحبة الصُّوف:** تمَّ إنشاؤه في الفترة الإسلاميَّة السَّابقة في بلاد المغرب [3] **إلا** أنَّ السُّلطات الفرنسيَّة عملت على تعطيله وقامت بتحويله إلى مخزن للشَّعير تحت حكم الإدارة العسكريَّة[4]، وفي سنة **1848م** جعلته **فرنسا** ملجأ للإيواء ضحايا المجاعة الأوروبِّيين[5]؛ كما كتب الفرنسيون على باب الجامع " **الجمهوريَّة الفرنسيَّة الأم الرَّؤوف للفقراء والأيتام**"[6]؛ وفي عام **1852م** هدّمت منارته وبعد مرور عدَّة سنوات اختفى هذا المسجد وتمَّ تحويله إلى مستشفى مدني وهناك من قال أنَّه تمَّ تحويله إلى مستشفى عسكري ومع بداية الحرب العالميَّة الثَّانية تمَّ تحويله إلى مدرسة ابتدائيَّة للتَّعليم الفرنسي تحت اسم "**مدرسة علي خوجة**". وما زالت هذه المدرسة موجودة إلى اليوم[7]**(أنظر الملحق رقم8).**

– **جامع القصبة:** ويعود بناءه إلى العهد الحفصي[8]، قامت السُّلطات الاستعماريَّة بتعطيله عن ويفته وتم تحويله إلى بناية عسكريَّة –**مخزن للأسلحة**– وفي **1850م** تمَّ تحويله إلى

---

[1] عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009–2010م، ص70.

[2] معاشي جميلة، المرجع السَّابق، ص 198 .

[3] المرجع نفسه، ص 200.

[4] Ernest Mercier, o p , cit, p 96

[5] Idem, p 97.

[6] محمد المهدي بن علي شغيب ، المصدر السَّابق، ص 249.

[7] المرجع نفسه، ص 250.

[8] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السَّابق، ص81.

مخزن للأدوية، وعليه أصبح مخزناً للعتاد الهندسي، وهناك من قال أنَّه تمَّ تحويله إلى مستشفى عسكري[1] **(أنظر الملحق رقم 9)** .

– **جامع سوق الغزل:** أمر بناءه **الباي حسين**[2] في سنة **1730م** من ماله الخاص في **حي سوق الغزل**[3]؛ استولت عليه السُّلطات الاستعماريَّة بعد سنتين من احتلال المدينة أي **يوم 3 مارس 1839م؛** وتمَّ تحويله إلى كنيسة[4]، وذهب البعض الآخر إلى أن الفرنسيين كانوا يسكنون في قصر الباي إلا أنَّهم انحرجوا من مجاورة المسجد لهم وبالتَّالي انتزعوه من المسلمين[5] وحوَّلته القيادة العسكريَّة الفرنسيَّة إلى كاتدرائيَّة وذلك عام **1876م**، وبقي على ذلك الحال[6]. **(أنظر ملحق رقم 10)**

– **الجامع الأخضر:** أنشأه **الباي حسن** المعروف **ببوحنك**[7] ويعتبر من مساجد المذهب الحنفي[8]؛ ويطلق عليه عدَّة أسماء منها: **الجامع الأعظم، جامع سيدي لخضر؛** يتميَّز هذا الجامع بمحراب يعود إلى العهد العثماني وهو عبارة عن شكل قوس عرضه **1.38سم** وعلى يمينه نجد ركيز على شكل متوازي مستطيلات[9] **(أنظر ملحق رقم11)** وله خمسة أروقة وتمَّ إلحاق مدرسة بهذا الجامع بناها "**صالح باي**" – **مدرسة سيدي لخضر**– وقد

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السَّابق، ص 82.

[2] الباي حسين: تولى الحكم في قسنطينة 1712م، أمر بناء مسجد سوق الغزل عام 1730م. أنظر: محمد المهدي بن علي شعيب، المصدر السَّابق، ص 213.

[3] محمد عثمان، المرجع السَّابق، ص18.

[4] Ernest Mercier, o p , cit, p 106.

[5] Idem, p 107.

[6] محمد عثمان، المرجع السَّابق، ص 18

[7] الباي حسن: تولى الحكم بعد صالح باي، (1792–1795) حكم مدة عامين ونصف كان يفقه جميع المجالات. أنظر: بن شعيب علي المهدي، المرجع السَّابق، ص 58.

[8] قشي فاطمة الزهراء ، مدينة وموروثات ، المرجع السَّابق، ص 144.

[9] كمال غربي، المرجع السَّابق، ص 110.

حوَّلته **فرنسا** إلى مقر لحلقة اللغة العربيَّة الخاصَّة بالضبَّاط المكاتب العربيَّة وموظفي للإدارة المدنيَّة[1].

– ولم تكتفي السُّلطات الاستعمارية الفرنسيَّة بهذه التَّغيُّرات التي أحدثتها على المساجد بل لجأت إلى القضاء على جزء كبير منها ومن بين هذه المساجد المندثرة[2] نذكر:

– **جامع عمر الوزَّان:** كان موقفه **برحبة الجمال** حيث المسرح البلدي الآن، وفي السَّنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي قرَّرت السُّلطات الفرنسيَّة إزالة الجامع للإقامة[3] منشآت فرنسيَّة على أنقاضه[4].

– **جامع سيدي عبد الرَّحمان المناطقي:** كان من أكبر مساجد المدينة وأوسعها وموقفه قبالة **فندق الزيت** وقد عملت **فرنسا** على إزالته تماما وحلَّت محلَّه البنايات القائمة هناك مع فندق الزَّيت[5].

– **جامع سيدي بن عيناس:** يقع بالنَّاحية السُّفلى من **رحبة الجمال** في نهج **أشال**، ولم يبقى له أي أثر في الوقت الحالي[6].

– **جامع سيدي إبراهيم الرَّاشدي:** كان موقفه بجانب موقف السَّيارات بشارع **بن مهيدي** وبقرب من دار جريدة النَّصر، اندثر ولم يبقى له أثر اليوم[7].

---

[1] كمال غربي، المرجع السَّابق، ص 112.

[2] مريوش أحمد، المرجع السَّابق، ص 23.

[3] المرجع نفسة ،ص 24.

[4] كمال غربي، المرجع السَّابق، ص 148.

[5] محمد المهدي بن علي شغيب، المصدر السَّابق، ص 251.

[6] المرجع نفسه، ص 252.

[7] كمال غربي، المرجع السَّابق، ص 150.

- **جامع سيدي الهوَّاري:** يقع بنهج **فارنسة** المنحدر من **زنقة المنحدر 19 جوان (نهج فرنسا سابقا)** في اتجاه رحبة الصُّوف جنوبًا[1]، معقد الحوت، وقد آخذه اليهود حيث اختلسه اليهود كما اختلسوا زاوية التِّلمساني وتمَّ تحويلهم إلى مراكز صهيونيَّة[2].

وأمَّا بالنِّسبة للمساجد التي تمَّ تحويلها عن أغراضها ويرجع ذلك للنَّوايا الاستعمارية المعادية للإسلام، إلا أنَّ هذه المساجد لم يتمَّ ذكرها في القرارات البلديَّة وإنَّما ذكرها مؤرِّخو المدينة من العرب والفرنسيس أمثال: "محمَّد صالح العنتري" صاحب كتاب " تاريخ بايات قسنطينة" و"أرنيست ميرسي" مؤرخ المدينة في الفترة الاستعمارية[3]، ومن بين هذه المساجد نذكر:

- **جامع سيدي بركات العروسي:** يقع بناحيَّة الكازينو - **(رحبة الزَّرع القديمة)**- وهو أول جامع دخله الجيش الفرنسي أثناء احتلاله للمدينة في يوم **الجمعة 15 رجب 125ه الموافق لـــ1 أكتوبر 1837م** ولم يبق له أثر في الوقت الحاضر[4].

- **جامع سيدي بوقصيعة:** يقع بالشَّارع الفسيح حاليا - **(شارع غرة نوفمبر)**- بين الحديقتين العموميَّتين الواقفتين وراء دار البريد وراء دار العدالة، دخله الجيش الفرنسي أثناء زحفه على المدينة حيث تمَّ تدميره نهائيا ولم يبق له أثر[5].

- **جامع سيدي جليس:** يقع بساحة **سيدي جليس** المعروفة إلى اليوم بهذا الاسم وفي عام **1851 م** هدَّمته السُّلطات الفرنسيَّة وأقامت على أنقاضه مدرسة لتعليم الفرنسيَّة والعربيَّة،

---

[1] محمد المهدي بن علي شغيب، المصدر السَّابق، ص 252.

[2] المرجع نفسه، ص 252.

[3] محمد عثمان ، المرجع السَّابق، ص 32.

[4] المرجع نفسه، ص 33.

[5] المرجع نفسه، ص 152.

وأطلقوا عليها تسمية **(مدرسة جول فيري)**[1].

– **جامع سيدي صفار:** من أقدم المساجد يقع من زاوية التِّلمساني في اتجاه **القنطرة** وتمَّ تحويله من قبل السيِّدة ما كموهانا إلى روضة أطفال ورفعت على صومعته صليب[2].

– **جامع سيدي علي بن مخلوف:** كان موقفه حيث قصر البلديَّة الآن، وعلى أنقاضه بني هذا القصر ونقلت رفاة صاحبه إلى **جامع الأربعين شريفا**[3].

– **جامع سيدي الرماح:** تمَّ تحويله إلى مدرسة للبنات المسلمات، وأصبح تابع للإدارة الاستعمارية التي بدورها أعطتها إلى إحدى السيِّدات الفرنسيَّات فهذه الأخيرة فأقامت ما يسمَّى بورشة لتعليم الخياطة والطَّرز لخدمة السِّياحة والاقتصاد الفرنسي[4] – **وليس للتَّعليم المسلمات كما ادَّعت السُّلطات الفرنسيَّة**–

– **أما المساجد التي بقيت قائمة في قسنطينة إلى اليوم ولم يلحقها الكثير من التَّغيير نذكر منها:**

– **جامع سيدي عفَّان:** موقفه بالحي العربي العتيق، وما زال المسجد قائما لليوم.

– **جامع سيدي محمَّد بن ميمون:** موقفه بالنَّجارين عند ملتقى نهج فيوقاردران في الفترة الاستعمارية – أدخلت عليه إصلاحات عام **1924**[5].

[1] كمال غربي، المرجع السَّابق، ص 153.

[2] محمد المهدي بن علي شغيب، المصدر السَّابق، ص 251.

[3] المرجع نفسه، ص 252.

[4] Ernest Mercier, o p , cit, p 549.

[5] Idem, p 549.

–**جامع سيدي بو عنَّابة:** موقفه أسفل بطحاء **آل فكُّون**، وهو نفسه زاوية العيساوة حاليا، وهناك من يقول أنَّه زاوية وليس مسجدًا، وذلك بسبب تسميته سيدي التي تعود عادة على شيخ زاوية معيَّنة[1].

– **جامع سيدي عبد المؤمن:** موقفه **بحي السويقة (الحي العربي)** وكان اسمه في العهد الفرنسي " **بريقو**" وكان يعرف بالزَّاوية القادريَّة.

– **جامع سيدي بومعزة:** موقفه بنهج الأربعين شريف، وصار فرعًا تابعًا للجامع الأخضر وكان العلامة "**عبد الحميد بن باديس**"[2] يلقى فيه الدُّروس[3].

– **جامع سيدي قيس:** ويسمّى بالزَّاوية العماريَّة، ويقع في درب بن شريف قبالة دار **آل بن شريف.**

– **جامع الأربعين شريف:** يعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا موقفه (نهج **الشِّيخ عبد الحميد بن باديس)** وأدخل عليه الفرنسيون تغيُّرات حيث أضافوا إليه مكاتب المحكمة الشَّرعيَّة الإسلاميَّة .

– **جامع سيدي قمُّوش:** ويعرف باسم "**جام ابن باديس**" في حي الطَّابية حيث يقع في زنقة الخط، ويعتبر من أملاك **آل باديس بقسنطينة** منذ القديم وبعد الاحتلال الفرنسي أخذته – **هذا المسجد**– الذي كان حبسًا، واستولت عليه، وكان **الشَّيخ عبد الحميد بن باديس** الدُّروس وتقام فيه اليوم الصَّلوات الخمسة وتعليم القرآن للصِّغار[4].

---

[1] كمال غربي، المرجع السَّابق، ص 140.

[2] هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس ولد في مدينة قسنطينة في 4 ديسمبر 1889م ويعد من أعيان المدينة. للمزيد أنظر: محمد عثمان، المرجع السَّابق، ص 55.

[3] كمال غربي، المرجع السَّابق، ص 130.

[4] المرجع نفسه ، ص 129.

2- الزَّوايا:

أمَّا فيما يخصُّ الزَّوايا[1] فلم تسلم هي الأخرى من أيدي السُّلطات الاستعماريَّة الفرنسيَّة[2]، وعليه كان في مدينة **قسنطينة** العديد من الزَّوايا تقوم بتعليم القرآن والدُّروس العلميَّة والصَّلوات المكتوبة، وقد ورد ذكر هذه الزَّوايا في القرارات البلديَّة، ونذكر من بين هذه الزَّوايا ما يلي[3]:

أ- زاوية آل الفكُّون: تقع **بحي الحزازين** وتعرف بالزَّاوية التِّيجانيَّة الفوقانيَّة أو العلويَّة تميُّزًا لها عن **زاوية ابن نعمون** ويوجد **بالزَّاوية التِّجانيَّة** قبر **الشَّيخ" عبد الكريم الفكون** وهو من أهم علماء مدينة **قسنطينة**[4] وأشهرهم الذين ينتمي إلى سلالة بايات المدينة، كما تقع على **نهج السويقة** وهي على حالها وباقية بموضعها إلى اليوم [5].

ب- زاوية النجَّارين: وتسمَّى كذلك **بزاوية حنصالة** وموقعها **بحي النجارين** تقام فيها الصَّلوات الخمسة ويوجد بها بيت مخصص لتعليم القرآن للأطفال وظلَّت هذه الزَّاوية على حالها إلى هذا اليوم.

ج- زاوية بن رضوان: أصبحت هذه الزَّاوية مقر للمحكمة الإباضيَّة تقع بحي البراد وعملت **فرنسا** على نقل رفات صاحبها "**محمَّد بن رضوان**" وذلك بهدف تسهيل السَّيطرة على أوقاف هذه الزَّاوية[6].

---

[1] جميلة معاشي، المرجع السَّابق، ص 85.

[2] الزوايا: هي عبارة عن مجمَّعات من البيوت والمنازل المختلفة الأحجام والأشكال، تضمُّ بيوت الصَّلاة وغرف لتحفيظ القرآن الكريم، واتَّسمت بالمحافظة على الإسلام والتراث العربي. أنظر: مربوش أحمد، المرجع السَّابق، ص 23.

[3] كمال غربي، المرجع السَّابق، ص155

[4] المرجع نفسه، ص 177.

[5] محمد المهدي بن علي شغيب، المصدر السَّابق، ص 35.

[6] كمال غربي، المرجع السَّابق، ص 181.

د- **زاوية بن نعمان:** تعدُّ من منشآت "**محمَّد نعمان باي**" وتحتوي على مقابر، إلا أنَّ الاستعمار الفرنسي قام بتهديمها وأقاموا على أنقاضها دار الإسعاف الصِّحي[1].**(أنظر الملحق رقم 12)**

هـ- **زاوية بحي محجوبة:** وهي زاوية تقع بمسجد صغير في **قسنطينة** معروفة **بن محجوبة** وبعد سنة **1865م** تمَّ تغيرها وحلَّ محلَّها منزل رقم **13 (الواقع على الطَّريق الوطني بن مهيدي حاليًا)**[2].

و- **زاوية التِّلمساني:** تقع **بنهج قسطنطين،** واستولى الجيش الفرنسي على هذه الزَّاوية وأصبحت تابعة للفرقة الهندسيَّة العسكريَّة إلَّا أنَّهم تخلُّو عنها فيما بعد، وبعد عام **1880م** استولى عليها اليهود بحكم عملهم وسيطرتهم على أغلب المكاتب الإداريَّة لدى الحكومة الفرنسيَّة، ثم جعلوها معبدًا لهم.

ز- **زاويـــة بن جلُّول:** وتعرف باسم" **زاويـــة الـــزواوي**" إلا أنَّ هذه الأخيرة اختفت من دون

ذكر السَّبب في ذلك[3].

3- المدارس:

عرفت مدينة **قسنطينة** عددًا كبيرًا من المدارس إذ يقول "**عبد القادر دحدوح**" أن عدد المدارس بها وصل إلى **97 مدرسة**[4]، منها **7 ثانويات** والباقي عبارة عن كتاتيب، فبعدما تمَّ احتلال المدينة وحسب ما جاء في التَّقرير الذي كتبته **الجنرال بيدوا** عن التَّعليم حيث

[1] أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السَّابق، ص149.

[2] محمد المهدي بن علي شغيب، المصدر السَّابق، ص 40.

[3] المرجع نفسه، ص 41.

[4] عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة، ج1، المرجع السَّابق، ص 95.

قال بأن التَّعليم كان منتشرًا **بقسنطينة**، وكانت تضمُّ العديد من المدارس في مختلف المستويات حيث بلغ عددها حوالي **90** مدرسة ابتدائية وكانت تحوي حوالي **1400** طفلا وكانت هذه المدارس تابعة للمسجد أو الزَّاوية[1]؛ وكانت نفقاتها من الأوقاف[2].

.وبعد مرور **10** سنوات على الاحتلال الفرنسي لمدينة **قسنطينة** أصبح عدد المدارس بها حوالي **30 مدرسة**[3]. حيث دمرت جلها من طرف الاستعمار الفرنسي وأحدثت فرنسا عدة تغيرات على المدارس في **قسنطينة** بهدف القضاء على التعليم وطمس هذه المنارات العلمية التي أبهرت المستعمر لكثرتها[4]. وهذا ما سنحاول توضيحه في الفقرات الموالية ومن بين هذه المدارس نذكر:

أ- المدرسة سيدي الأخضر: أنشأها صالح باي بجوار **مسجد سيدي الأخضر** عام **1779م** بجانب **الجامع الأخضر**، تشتمل هذه المدرسة على **مسجدا وخمسة من البيوت** منها بيت للمدرسة وأربعة لطلبة ومائضة **وبيت** لوضع الأمتعة، ومسير مداخيل ومصاريف المدرسة وكيل مكلف من طرف الباي[5]، كان الطَّلبة في هذه المدرسة يتوزَّعون كالتَّالي: اثنين في كل غرفة وحدَّدت أجرة المدرّس في هذه المدرسة بـــ: **30 ريالا** في السنة، وأجرة الوكيل بـــ**8 ريالات** والبواب بـــ: **7 ريالا** لكل طالب من الطلبة المجاورين **6 ريالات** سنويًّا[6]؛ وتتزين هاته المدرسة بكتابة تجمع عددا كبيرًا من الحكم والنصائح والإرشادات تدعوا الطَّلبة إلى التَّقوى والصَّبر والورع ومحاربة الأهواء وتنتهي بتاريخ بناء المدرسة[7].

---

[1] أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص125.

[2] فيلالي عبد العزيز، مدينة قسنطينة: تاريخ معالم وحضارة، دار الهدى، الجزائر، 2007م، ص51.

[3] عبد العزيز فيلالي ومحمَّد الهادي العروق، المرجع السَّابق، ص 44.

[4] المرجع نفسه، ص45.

[5] محمد المهدي بن علي شغيب، المصدر السابق، ص240.

[6] المصدر نفسه ، ص 241.

[7] عبد القادر دحدوح ، مدينة قسنطينة ،ج1 ، ص _87.

وجاء في نص الكتابة ما يلي: " **فاز بالسَّعادة من أخلص العبادة... رحم الله إمرءًا جعل الصَّبر مطيَّة زاده والتَّقوى عند وفاته... رحم الله من قصر الأمل وبارد الأجل وأغتنم المهل وتزوَّد من العمل... ذكر الله نور الإيمان ومطردة الشَّيطان... ذكر الله شعار المخلصين وشيمة المتَّقين... العاقبة في الذِّكر حياة القلوب وفي رضى الله نيل المطلوب... وفي الطَّاعة كنوز الأرباح وفي الغروب عن الدُّنيا درك النَّجاح... ذكر الله مجالسه... العز لله... خاف الهوى تسلم وأعرض عن الدُّنيا تغنم** [1]**... ذكر الله ينير البصائر ويؤنس الضَّمائر... ذكر الله أجل العادة وأجمل مادة... جهاد النَّفس ثمن الجنة... فمن جاهد نفسه ملكها وهي أكمل ثواب الله لمن عرفها... جاهد نفسك وقدِّم توبتك وأغلب شهوتك امنع طاعة غضبك يكمل عقلك وتستكمل ثواب ربِّك... طوبى للمنكسرة قلوبهم من أجل الله... طوبى لمن شغل قلبه بالفكر ولسانه بالذكر... يا رب وأجعل رجائي غير منكسر لديك وأجعل حسابي غير منخرم... العز لله... قد تم بناء هذه المدرسة في ذي الحجَّة سنة 1193 والحمد لله رب العالمين**"[2].

استحدث "**صالح باي**" نظاما دقيقا يتقَّيد به المدرِّسون والطَّلبة ويخضع له العاملون بأماكن الدَّرس والعبادة [3]؛ كما كان على المدرِّس أن يقرأ ثلاثة أوقات في اليوم وهي:

1- الدَّرس الأول: يبدأ من الصُّبح إلى السَّاعة الحادية عشر.

2- الدَّرس الثَّاني: من الزَّوال إلى العصر.

3- الدَّرس الثَّالث: وكان بين العصر والمغرب.

---

[1] كمال غربي، المرجع السابق، ص194.

[2] المرجع نفسه، ص 196.

[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص295.

وكان يجب على الطَّالب أن يتلو **أربعة أحزاب من القرآن الكريم،** ويشترط أن يكون غير متزوِّج وأن ينام باستمرار في المدرسة ولا يسمح بالخروج إلا للضَّرورة[1].

وبعدما سقطت **قسنطينة** في قبضة الاستعمار الفرنسي عام **1837م** استولوا على هذه المدرسة وأوقافها وحوَّلت عن غرضها وجعلوها لحلقة اللُّغة العربيَّة التي أقاموها لأنفسهم حيث يتم تدريس العربيَّة لمن يتولون شؤون المسلمين كضبَّاط المكاتب العربيَّة[2] وموظفي الإدارة المدنيَّة، ويعلمون الجزائريين الفرنسيَّة[3].

ب– المدرسة الكتَّانيَّة: تأسَّست هذه المدرسة على يد "**صالح باي**" عام **1775م** وذلك راجع للتَّبرك بالولي الصَّالح "**سيدي عبد الله بن هادي**" المعروف **بسيدي الكتَّاني،** وقبل تأسيس هذه المدرسة سبقها تأسيس –بناء– مسجد سيدي الكتَّاني وهي مدرسة مكمِّلة للمسجد الكتَّاني[4]، للتَّعرف على المظهر الخارجي **للمدرسة الكتَّانيَّة (أنظر ملحق رقم13)** وكان لهذه المدرسة قصيدة شعريَّة وهي كالتَّالي:

<<بسم الله الرَّحمان الرَّحيم صلِّى الله عليه سيِّدنا محمَّد
طاب الزَّمان توالى نفعه للمسلمين وزاد في عليانه
ملك يوم الصَّالحات بعزمه فاختار آخره على دنياه
أحي دروس العلم بعد دروسها وبنى لها دارًا زكي مبناه
هي مدرسة لاحت أشعَّة نورها لم لا وهي في الدَّار في معناه
جاءت بها نفس المعظم صالح ذاك المجاهد يبتغي مولاه

[1] كمال غربي، المرجع السَّابق، ص195.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السَّابق، ص 85.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السَّابق، ص44.

[4] قاصري محمد السعيد، المرسة الكتانية بقسنطينة صرخ ثقافي يصارع النسيان، مجلة عصور جديدة، ع18، الجزائر، 2015، ص45.

فالله يرزقه السَّعادة دائما وينيله يوم القيام مناه

قد بين التَّاريخ في قول لنا فخر المحامد بالهنا مبناه>>[1]

وتقع هذه المدرسة في حي سوق العصر الذي سمي بعد الاستقلال **ساحة بوهالي السعيد**، وبعد احتلال **قسنطينة** عام **1837م** ضمَّت هذه المدرسة إلى أملاك الدُّولة بدعوى أنَّها من أملاك الباي الخاصَّة، ويقال أنَّها المدرسة الكتَّانيَّة بنيت على النَّمط التُّركي الإسلامي حيث يتوسّطها باب يعود إلى عام **1864م**[2]، وضعه **نابليون الثالث**[3] الذي قام بترميمها عام **1865م**، إذ أولاها اهتمامًا كبيرًا وعين الشَّيخ "**محمد بن عيسى الشاذلي البوزيدي**" مسؤولا عنها[4]، وبعد الحرب العالميَّة الثَّانية تم تحويل المدرسة إلى مراكز للإذاعة ثم اشتراها اليهود وجعلوها مقر لمحكمتهم؛ ولممارسة الطُّقوس فيها[5]، ثم تم ترميمها عام **1964م** وهي الآن تعرف بدار الافتاء[6].

وكانت هذه بمثابة مستوى التَّعليم الثَّانوي والعالي وكانت هذه المدرسة تضاهي المدارس الأجنبيَّة العليا المعاصرة لها[7]؛ ممَّا جعل المدرسة تلعب دورًا هامًّا في المجال

---

[1] كمال غربي، المرجع السابق، ص128.

[2] محمد عثمان، المرجع السابق، ص22.

[3] نابليون الثالث، هو لويس نابليون رئيس الجمهورية الفرنسية الثانية تقلد في 1848 منصب رئاسة الجمهورية الثانية. أنظر:. Hocine l'hadj Mezhoura, Napoleon 's project of the ARAB Kingdom in Algeria (1852-1870), p 224

[4] كمال غربي، المرجع السابق، ص197.

[5] محمد عثمان، المرجع السابق، ص22.

[6] المرجع نفسه، ص23.

[7] صالح فركوس، الوجيز في تاريخ الثقافة الجزائرية: من العهد الفينيقي إلى نهاية الاستقلال (814 ق.م 1962م)، المعارف للطباعة، (د.ط)،(د.م)، 2015م، ص229.

الثَّقافي، خاصَّة حين انتعشت بعدما جعلت مقرًّا للدِّراسات الشَّرعيَّة – الفرنسيَّة– منذ عام **1851م**[1].

4– الأوقاف:

يعرف الوقف – **كما سبق وقد أشرت إليه**– على أنه عبارة عن حبس العين المملوكة وتسبيل منفعتها على وجه الدَّوام من أهل لتبرع على معين أو على جهة عامَّة في غير معصيَّة الله تعالى، أو هو حبس العين على ملك الواقف والتَّصدق بالمنفعة، ويقال تحبيس الأصل أي منفعة الأصل أي العين: كالدُّوار والشَّجر والأرض، والسَّيارة أو ما يشبه ذلك، لأنَّ الوقف يكون في المنقول والعقار[2].

لقد كانت مدينة **قسنطينة** قبل الاحتلال الفرنسي تحتوي على أزيد من **100** مسجد وزاوية[3]، وبعدما تم احتلال المدينة – **قسنطينة**– عملت السلطات الاستعمارية على مصادرة البعض من المساجد – **السابقة الذكر**– وكان ذلك منذ أن وقعت فرنسا معاهدة الاستسلام التي نصَّت على احترام الأملاك والدِّين وكل ما يخصُّ الجزائريين بصفة عامَّة[4]، إلا أنَّه حدث العكس تمامًا فبعد شهرين من الاحتلال أصدر "**كلوزيل**" الحاكم العام الفرنسي في **8 سبتمبر 1830م** مرسوما يسمح للفرنسيين بالتَّصرف في الأملاك الدِّينيَّة [5].

وفي **31 أكتوبر 1838م** أقر هذا المرسوم بالسَّماح للسُّلطات الاستعماريَّة بالتَّصرف في الأوقاف بصفة رسميَّة[6]، وعليه كان الموظفون المسؤولون على تنظيم الوقف في **قسنطينة**

---

[1] أحمد بن عبد العزيز الحداد، من فقه الوقف، ط2، إدارة الشؤون الإسلامية، إدارة البحوث، 2013م، ص ص،17–18.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص 151 .

[3] المرجع نفسه، ص152.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص 125.

[5] المرجع نفسه ، ص 126.

[6] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5 ، المرجع السَّابق، ص 153.

كغيرهم – **أي كباقي الأقاليم الأخرى للمدن الجزائريَّة**– فكان **لقسنطينة** أوقاف عامَّة وأوقاف خاصَّة[1]؛ ومع بداية الاحتلال كانت هناك أوقاف تمثَّلت في أوقاف مكَّة والمدينة وفيها نوعان: وقف مكَّة تحت إدارة النَّاظر والنَّوع الثَّاني تحت إدارة الوكيل وقد استمر الوضع في بداية احتلال المدينة على هذا النَّحو[2]، إلا أنَّه بعد فترة استولت السُّلطات الاستعماريَّة على أوقاف مكَّة والمدينة وعين قائد الدَّار على رأسها ويسهر على تسيير أموالها ووضعهم في الخزينة العامَّة للدُّولة الفرنسيَّة[3].

أما الأوقاف الخاصَّة فقد كانت تحت تصرُّف الناظر–**(المساجد والزوايا والقباب)**– وكانت مداخيلها تصبُّ في الخزينة الفرنسيَّة تحت حكم قائد الدَّار[4]، ففي بداية الفترة الاستعماريَّة كان لكل بناية وكيل ومع مرور الوقت تقلَّصت صلاحياتها بسبب إهمال الفرنسيين للأوقاف الخاصَّة وبعد ذلك قرَّر المجلس الإداري للمدينة وضع هذه الأوقاف تحت تصرُّف مصلحة أملاك الدَّولة المكلَّفة بصيانة المساجد والأوقاف العامة[5] ثم عملت السُّلطات الاستعماريَّة على تكليف موظَّفين خاصِّين بحصر الأوقاف في **قسنطينة** [6]؛ ومن أهم المساجد المصادرة في **قسنطينة** في العهد الفرنسي نذكر: **الجامع الكبير، جامع صالح باي (جامع سيدي الكتاني)، جامع رحبة الصُّوف، جامع القصبة، جامع سوق الغزل، الجامع الأخضر**[7].

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5 ، المرجع السَّابق، ص 170.

[2] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982م، ص120.

[3] المرجع نفسه، ص 121.

[4] العربي صالح، البيئة الحضارية داخل الأنسجة العمرانية العتيقة والتنمية المستدامة، حالة قسنطينة، (د.د.ت)، (د.م)، 2010، ص127.

[5] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث، المرجع السابق، ص167.

[6] Ernest Mercier, o p , cit, p 529.

[7] Idem, p 529.

أما فيما يخصُّ الزَّوايا التي تمت مصادرتها من قبل السُّلطات الاستعماريَّة نذكر منها: **زاوية آل فكُّون، زاوية نعمون، زاوية حنصالة، زاوية بن رضوان، زاوية بن نعمان، زاوية التِّلمساني، زاوية يحي محجوبة، زاوية بن جلول**[1].

أما الأضرحة فلم نجد عنها المعلومات الوافرة كونه لم يذكر عنها الكثير[2] ومن بين الأضرحة المصادرة والتي تمَّ ذكرها نذكر: **ضريح السَّيدة الزهراء بنت موسى بن عيسى،** والذي هدم عام **1848م** لفتح الطَّريق ضف إلى ذلك **ضريح حسن بن علي بن ميمون بن القنفذ –لم يعرف عنه شيء–**[3].

بالغت السُّلطات الاستعماريَّة في نهب خيرات المدينة حيث استفادت السُّلطات الفرنسيَّة من أموال الوقف التي كانت تعيل عائلات المدينة، حيث استخدمتها في مشاريعها من بيع العقارات للكولون وتسليم الأراضي للشَّركات الفرنسيَّة الأوروبيَّة واستغلالها في المشاريع العامَّة دون تعويض أصحابها وقد بلغت قيمة أملاك الأوقاف التي تمَّ الاستيلاء عليها وتوزيعها على الأوروبيين في عام **1891م** بإقليم قسنطينة بـــ **554,078 فرنك**[4]؛ وكانت لهذه المصادرات آثار سلبية على الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة الوقفيَّة[5]؛ ولتدارك هذا الوضع نظرًا لهذه السِّياسة الاستعماريَّة التي أهلكت الأهالي أنشأت **فرنسا** ما يعرف بالمساعدات الخيريَّة لامتصاص غضبهم[6] –**الأهالي**– وكان من نتائج مصادرة الوقف في مدينة **قسنطينة** ما يلي:

– فقدان المسلمين لمصادرة دخلهم فهناك عائلات عديدة تسترزق من أموال الوقف.

---

[1] قشي فاطمة الزهراء، معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة الإنسانيات، ع19–20، 2013، ص110.

[2] بونابي الطاهر، ملامح النشاط العلمي والروحي والثقافي بقسنطينة أواخر العهد العثماني، مجلة عصور جديدة، ع 18، 2015م، ص118.

[3] Ernest Mercier, o p , cit, p81.

[4] صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المرجع السابق، ص15.

[5] فيلالي عبد العزيز، الصلات الثقافية والفكرية بين تلمسان وقسنطينة، مجلة الآفاق وأفكار، ع3، 2012، ص95.

[6] أحمد بن مبارك العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تح: رابح بونار، الجزائر، 1980، ص85

– ازدياد عدد الفقراء.

– تراجع التعليم وخاصة التَّعليم الدِّيني الذي كان يقدِّم في المساجد والزَّوايا[1].

ثالثا: المنشآت العموميَّة بمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعماريَّة

1– السَّاحات:

بعد مرور السَّنوات الأولى من احتلال مدينة **قسنطينة** أي خلال الفترة الاستعماريَّة الممتدَّة من **(1837– 1945م)** انصبَّ اهتمام الإدارة الاستعماريَّة على تصحيح مورفولوجيَّة ساحات المدينة القديمة المتعرِّجة والمنحدرة [2]، حيث أشرف على هذه العمليَّة سلاح الهندسة العسكريَّة **(Génie militaire de l'armée d'Afrique)** بعدما اكتسب خبرة في هذا المجال[3]؛ وعليه أدخلت السُّلطات الاستعماريَّة عدة تعديلات على ساحات مدينة **قسنطينة** ومن بين السَّاحات التي مسَّتها التَّحويرات العمرانيَّة نذكر:

أ– ساحة القصر (palais):

استمدَّت هذه السَّاحة اسمها من قصر "**أحمد باي**" الذي يحدُّها من جهة الشَّمال، والتي تعتبر قلب هذا الحي الأوروبِّي نظرًا لموقعها الذي يتوسَّط الشَّوارع الرَّئيسيَّة وهي تتربَّع على مساحة كبيرة بين شارعي **دامريمون وكارامان** وتتَّصل **بساحة نومور (لابريش) – التي سوف نتطرق إليها فيما بعد– بشارع القصر**[4]؛ كما كانت تحتضن مقر السُّلطة السِّياسيَّة **(مقر الجنرال قائد الفرقة أعلى سلطة عسكريَّة في المدينة–قسنطينة)**، ومقر

---

[1] فيلالي عبد العزيز، جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830–1850م، المرجع السابق، ص45.

[2] معاوية سعيدوني، في عبقرية المكان القسنطيني، ك2 ، المرجع السابق، ص 218

[3] المرجع نفسه، ص 222.

[4] عبد القادر دحدوح، قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية، ط1، نوميديا للطباعة والنشر، الجزائر،2015، ص120.

السُّلطة الدِّينيَّة المتمثِّلة في مقر بنك **الجزائر**[1]، ولم تكن تبعد بكثير عن مبنى البريد الواقع على **شارع دامريمون،** ضف إلى ذلك كانت ساحة القصر مركز الحياة الاجتماعيَّة الأوروبيَّة في السَّنوات الأولى للاحتلال[2]، وكان يطلُّ عليها أهم أوروبِّيين **هما: مقهى مورو ومقهى شارل** وفيها كان يعلن عن وصول البريد من **فرنسا والجزائر**[3].

ب– ساحة نومور: تحتل مكان باب **الوادي** والباب الجديد، وكان باب **فالي** الذي عوَّض **باب الوادي** يفصل بين ساحة **تومور** الشَّهيرة بساحة **لابريش** (أنظر الملحق رقم14) وساحة **فالي**[4]، ونظرًا لموقع **ساحة نومور** عند أهم مداخل المدينة، كانت أكثر ساحات **قسنطينة** نشاطًا؛ فقد كانت تدخل وتخرج منها في القرن **19م** كل العربات[5] الأوروبيَّة والقوافل العربيَّة والمسافرون[6]، كما كانت نقطة التقاء شوارع مهمَّة في المدينة الفرنسية – **قسنطينة في ظل الاستعمار الفرنسي**– وهي شوارع **كامب وكارامان** والبريد والجادَّة الغربيَّة (boulevard de louest)[7]

ج– ساحة فالي (square valée): وهي التي كانت تحمل اسم الجنرال الذي استولى على **قسنطينة** في **1837م**، وهي بجانب **ساحة نومور** وتتَّصل بها وتعتبر همزة وصل بين سور المدينة **وكدية عاتي**؛ تنتشر بها قطع حجريَّة عديدة لشواهد القبور والأقبية[8]. كما تمَّ غرس فيها الأشجار التي كانت ترسم ممرَّات ضمنها وتشكيلات هندسيَّة خماسيَّة، وقد

---

[1] Ernest Mercier, o p , cit, p 363.

[2] Idem, p 363.

[3] معاوية سعيدوني، المرجع السابق، ص 223.

[4] قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة مدينة وموروثات، المرجع السابق، ص 146.

[5] المرجع نفسه، ص147.

[6] Ernest Mercier, o p , cit, p 363.

[7] Idem, p 364.

[8] قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة مدينة وموروثات، المرجع السابق، ص 149.

اختبرت هذه السَّاحة رمزيَّة الانتقال من المدينة الاسلاميَّة إلى المدينة الفرنسيَّة[1]، فقد حلت مكان المقبرة الإسلاميَّة القديمة التي أقيمت فوقها بطَّاريَّة **لابريش** خلال الحصار الفرنسي الثاني **(1837م 1838م)** ولا يبعد عن مئذنة **مسجد بوقمبية** الذي هدمه "**أحمد باي**"، وقد دفن أسفل هذه المئذنة في **1837م** الضبَّاط االفرنسيون الذين قتلوا في موضع **لابريش (كومب، فيو، سيريني)**، والذين دفنوا فيما بعد في **القصبة**[2].

أما بالنِّسبة للسَّاحات الأخرى الواقعة داخل المدينة نذكر منها:

د–ساحة نيفرييه (place Négrier): والتي كان لها دور عمراني مهم جدا قبل الاحتلال الفرنسي واستمرَّ بعده، وكانت تعرف كذلك **بساحة الفندق (caravansérail)** أو **ساحة القوافل (Place des caravanes)** وأطلق عليها اسم أحد الجنرالات الذي حكموا مقاطعة **قسنطينة**[3]، ويقال أن البدء في تسطيحها تمَّ في عام **1850م** وكانت هذه السَّاحة تشكِّل مثلثا كان يحدُّه من الجنوب الحي اليهودي، ومن الغرب مسجد "**صالح باي**"– **(جامع سيدي الكتَّاني)** وبنايات المقتصديَّة العسكريَّة ومبنى المحكمة العسكريَّة، التي أقيمت على عقارات كانت ملكا "**لصالح باي**"[4] ودكاكين صنَّاع المجوهرات ومن جهة الشَّرق كان يقع متحف المدينة الذي نقل فيما بعد إلى **كدية عاتي**[5]، وقد غرس في هذه السَّاحة أشجار ونصبت بها نافورة ماء ومقاعد للجلوس على شاكلة السَّاحات الحضريَّة الأوروبيَّة[6]، ممَّا جعلها أحد أهم المنتزهات المدينة الأوروبيَّة في الفترات المبكِّرة، وكانت هذه السَّاحة تعتبر استمرارًا **لحي الكتَّانيَّة وسوق العصر** الذي ركَّز عليه "**صالح باي**" جهوده العمرانيَّة في شرق المدينة، ممَّا تخلق نوعًا من التَّوازن في المنظومة العمرانيَّة القسنطينيَّة التي تتركَّز أبرز

[1] معاوية سعيدوني، في عبقرية المكان القسنطيني، ك1، المرجع السابق، ص224.

[2] المرجع نفسه، ص 224.

[3] Ernest Mercier, o p , cit, p 534.

[4] Idem, p 535.

[5] Idem, p 363.

[6] Idem, p 363.

مكوِّناتها الأخرى في الجهة الغربيَّة والجنوبيَّة الغربيَّة[1]، فقد كانت أيضا من أحد المراكز التِّجاريَّة في المدينة يرتادها بائعو الخردة وتباع فيها بالمزاد المجوهرات والماشية والأثاث العربي تحت رقابة أمين الدلالين وأمين الفضَّة[2].

هـــ– ساحة رحبة الصُّوف:

وهي من أكثر ساحات **قسنطينة** داخل الأسوار نشاطا– وقد أصبحت تعرف بساحة **الغاليت (Place des Galettes)** بين **شارعي كومب وشارع فيو**– وقد استمرَّ دورها الاقتصادي في وسط المدينة خلال الفترة الاستعمارية[3].

و– ساحة رحبة الجمال: تقع غرب المدينة الإسلاميَّة[4]؛ والتي اتَّخذت في الفترة الاستعماريَّة مقر فرقة **الرماة (Tirailleurs)** وفي شمالها يوجد مسجد صغير تمَّ هدمه وأقيمت مكانه

بنايات مدرسة البلديَّة[5].

ز– ساحة سيدي الجليس: وتقع بين شارعي **فيو وبيريفو.**

ح– ساحة القنطرة: تقع شرق المدينة تمتدُّ بين الأسوار، وهي تنفتح على خانق **وادي الرمال** وتتَّصل **بشارع بيريفو** ومسجد **سيدي الصَّفَّار**، وتقام بها سوق غير بعيد عن الباب الذي يحمل نفس الاسم لباب **القنطرة**[6].

ولقد صاحب هذه التَّحويرات العمرانيَّة الأولى الممتدَّة ما بين **(1837 – 1858)** بناء

---

[1] ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، ذاكرة قسنطينة(مختصر تاريخ قسنطينة عبر العصور) ، ك1، المرجع السابق، ص273.

[2] معاوية سعيدوني، في عبقرية المكان القسنطيني، ك2، المرجع السابق، ص225

[3] محمد عثمان، المرجع السابق، ص28.

[4] بشير التيجاني ، المرجع السابق ، ص 93.

[5] Ernest Mercier, o p , cit, p 365.

[6] Idem , p 365.

العديد من الأبواب على النَّمط الأوروبِّي **– وهو ما سنتطرق إليه في الجزء الموالي–**[1].

إضافة إلى السَّاحات كان هناك العديد من الأبواب وخلال الفترة الاستعماريَّة ما بين **(1837– 1945)** عملت السُّلطات الاستعماريَّة على إزالتها، ومن بين هذه الأبواب نذكر[2]:

2/الأبواب:

باب الحنانشة: الذي يسمح بالخروج من شمال المدينة عبر **وادي الرِّمال** ويؤدِّي إلى الينابيع التي تصبُّ في أحواض مسبح **سيدي مسيد.**

باب الرواح: يمتدُّ عبر سليم مثير للدوار، ويؤدِّي إلى النَّاحية الشَّماليَّة من **وادي الرمال** ويوصل هذا الباب إلى منابع **سيدي ميمون** التي تصبُّ في المفصل.

باب القنطرة: ويربط المدينة بالضفَّة الجنوبية لوادي الرمال.

باب الجايبة: ينفتح على الطَّريق الممتد إلى **سيدي راشد** ويقع على ارتفاع **510 متر**[3].

باب الجديد: ويقع شمال ساحة **(أول نوفمبر حاليا)** وتمَّ هدمه سنة **1925م** من قبل السُّلطات الاستعماريَّة للأغراض تخدم مصالحها الشَّخصيَّة.

باب الواد" أبواب ميلة": وكان يوجد مكان قصر العدالة حاليًا وكان عبارة عن نقطة التقاء كل من المدينة الأصليَّة والمدينة الأوروبيَّة. حيث كانت تتَّصل به المدينة بخارجها، ثم حلَّ محلَّه ساحة **نومور (لابريش)**؛ وقد كان يسمح بوصول إلى روابي **كدية عاتي**[4].

ولقد كانت هذه الأبواب تقوم بوظيفة التَّحصين للمدينة ضدَّ الغرباء وبدأ تختفي بالتَّدريج إلى أن أزال الاحتلال الفرنسي أثارها كليًّا[5].

---

[1] محمد عثمان، المرجع السابق، ص29.

[2] المرجع نفسه، ص28.

[3] قشي فاطمة الزهراء ، مدينة و موروثات ، المرجع السابق، ص95.

[4] معاوية سعيدوني، عبقرية المكان القسنطيني ، ك2، المرجع السابق، ص225.

[5] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص7.

– أما بالنسبة إلى نصب الأموات فيعود بناءه إلى سنة **1934م**؛ وقد شيِّد تخليدًا لموتى **فرنسا** الذين سقطوا في الحرب العالمية الأولى ومن جهة السَّطح يستطيع الزَّائر أن يمتِّع ناظريه بصورة جميلة لهذا النصب[1]، وأقيم عليه تمثال النَّصر الذي يبدو كطائر خرافي يتأهَّب للتَّحليق، ومن خصوصيات هذا النَّصب أنه يقع في وسط المسافة بين الجزائر وتونس ممَّا يعدُّ نقطة التقاء البلدين[2].

ومن بين المنشآت العموميَّة بمدينة **قسنطينة** خلال الفترة الاستعماريَّة الممتدَّة ما بين **(1837– 1945م)**، والتي أدخلت عليها **فرنسا** تحويرات عمرانيَّة نجد الأسواق والتي نذكر من بينها:

3– الأسواق:

أ– **سوق ساحة نومور:(قرب باب فالي)** وكان هذا السُّوق يقام كل يوم حتى السَّاعة العاشرة صباحًا، وكانت السُّوق مغطَّات في بناية جميلة بساحة **الغالين (رحبة الصُّوف).**

ب– **سوق الزَّرع:** وتقع خارج المدينة أسفل **كدية عاتي** وكانت من أكبر أسواق الحبوب في **الجزائر** وتفقد فيها سنويًّا **تسعة إلى عشرة ملايين** صفقة ويبيع فيه عام **1856م.**

ج– **سوق الخضار:** فكانت تقام كل صباح حتى السَّاعة العاشرة **بساحة نومور.**

د– **سوق الجلد:** (الخاصَّة بالعرب) وكانت تنعقد **بشارع بريفو.**

هـ– **سوق البرانيس:** ويوجد **برحبة الجمال**[3].

وكانت **ساحة نيفرييه (سوق العصر)** مكان للبيع بالمزاد، مثلها مثل ساحة **فالي** وساحة القصر القريبة منها وكانت بها المجوهرات والأحجار الثَّمينة واللُّؤلؤ والحياك والسُّروج المطرَّزة والملابس والزَّرابي والمرايا والأثاث العربي من الساعة **11 صباحا** إلى الساعة

[1] عبد القادر دحدوح ، قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية، المرجع السابق، ص119.

[2] المرجع نفسه، ص119.

[3] Ernest Mercier, o p , cit, p 381.

2 بعد الظهر، وقد افتتح مكتبان بهذه السُّوق لمراقبة الصَّفقات التِّجاريَّة وهما: مكتب أم الدلَّالين ومكتب أمين الفضَّة[1].

أما حمَّامات المدينة وهي كثيرة ومتعدِّدة والتي يعود تاريخ بنائها إلى العهد العثماني محافظة على شكلها وهندستها ويبلغ عددها حوالي **20 حماما** [2] ومازال سكَّان المدينة يقصدونها ويفضِّلونها عن الحمَّامات العصريَّة ومن بين هذه الحمامات نذكر: **حمَّام قوج، حمَّام بوليزايم، حمَّام بن حاج مصطفى، حمام بن شريف، حمام أولاد سيدي الشِّيخ، حمَّام بن نعمان، حمَّام سيدي راشد بالسّويقة، حَّمام بلبجاوي** ومازالت جلَّ هذه الحمَّامات كما هي محافظة حتى على مواقعها إلى اليوم الحالي[3].

4– الجسور:

نظرا لتضاريس المدينة الوعرة وأخدود **وادي الرمال** العميق الذي يشقُّها أقيمت عليها **7 جسور** لتسهيل حركة التَّنقل وللرَّبط بين الأماكن –**لذلك اشتهرت قسنطينة فيما بعد بمدينة**– وهناك ما بناه الرُّومان ثم رمَّمه الأتراك وهناك من يعود بناءه إلى السُّلطات الاستعماريَّة الفرنسية[4] ما بين **(1837–1945)** ومن بين هذه الجسور نذكر:

أ– جسر باب القنطرة: من أقدم الجسور بناه الرُّومان ثم رمَّمه الأتراك عام **1792** وهدَّمه الفرنسيون وبنوا على أنقاضه الجسر القائم حاليا عام **1863م.(أنظر الملحق رقم15).**

ب– جسر سيدي راشد: قام بتصميمه المهندس الفرنسي **إيرو**، ويحمله **27 قوسا**، يبلغ قطر أكبرها **70** متر، ويقدر علوه **105 متر**، طوله **447** مترو عرضه **12 متر**، بدأت حركة المرور به سنة **1912م**، وهو أعلى وأضخم جسر حجري في العالم[5].

---

[1] Ernest Mercier, o p , cit, p 382.

[2] محمد عثمان، المرجع السابق، ص 42.

[3] المرجع نفسه، ص43

[4] عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2000م، ص201.

[5] المرجع نفسه، ص202.

ج– جسر سيدي مسيد: صمَّمه وبناه المهندس الفرنسي **فرديناند أرنودان** عام **1912م** ويسمى أيضا بالجسر المعلَّق يقدر ارتفاعه **175** متر، وطوله **168** متر، وهو أعلى جسور المدينة.

د– جسر ملاح سليمان: بناه الفرنسيين في الفترة ما بين **1917– 1925** وهو ممر حديدي خصص للرَّاحلين فقط، ويبلغ طوله **15 متر** وعرضه **2,5 متر**، يربط ما بين شارع محطَّة السِّكك الحديديَّة ووسط المدينة[1].

رابعا: الأحياء السكانية بمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعمارية

1/ الشَّوارع:

خلال الفترة الممتدَّة ما بين 1837– 1945م بدأت تتَّضح معالم الحي الأوروبِّي من خلال تحرير المجال الحضري القديم خلال العشر السَّنوات التَّالية لمرسوم إنشائه وطبقًا لدراسات لجنة تنظيم وتهيئة الشَّوارع **(Connission d'alignement et de nivellement des rues)**[2] تم فتح بعض الشَّوارع المستقيمة والرَّئيسة خاصَّة في الجهة الشَّماليَّة الغربيَّة للمدينة، حتى أصبح هذا الحي يتربَّع على حوالي نصف مساحة المدينة الأصليَّة، وقد زالت من واجهات بعض شوارع المنازل العربيَّة التي كانت قائمة به ومن أهم هذه الشَّوارع التي اكتست واجهاتها طابعًا أوروبِّيا نذكر[3]:

أ– شارع كومب (rue combes)

والذي قسَّم المدينة إلى جزئين من باب **فالي** إلى **الوهد**، وهو الشَّارع الرَّابط بين ساحة **نومور** (Place Nemours) **(لابريش) (ساحة أول نوفمبر حاليا) ورحبة الصوف** وكانت تطلق على **شارع كومب** أسماء مختلفة في بعض المقاطع مثل شارع الميزابين وشارع

[1] محمد عثمان، المرجع السابق، ص42.

[2] Ernest Mercier, o p , cit, p 516.

[3] Idem, p 364.

السرَّاجين العرب، وشارع اليهود، شارع الفكاهين وشارع إسرائيل[1]، ممَّا يدلُّ على التَّركيبة المعقَّدة للمدينة والتَّداخل والتَّشابك بين مكوِّناتها وكان **ب- شارع كاهور**(rue cahoreau) **(شارع حملاوي حاليا)** يربط بينه وبين شارع لوبلان **(rue leblanc)**[2] وقد قدم لويس بياس في منتصف **القرن 19م** وصف **لشارع كومب**؛ حيث قال بأنَّ هذا الشَّارع تمازجت فيه خصائص "**الحي الأوروبي**" الذي أوجدته أولى التَّحويرات العمرانيَّة، وجو المدينة الإسلاميَّة، وممَّا جاء في هذا الوصف كذلك "أن **شارع كومب** ضيِّق وطويل جدا ينطلق من منحدر من **ساحة نومور (لابريش)** تطلُّ عليه دكاكين باعة الأقمشة الميزابيين واليهود والعرب[3]، ومحلاَّت الحدَّادين، وصنَّاع الأحذية والسرَّاجين والطرَّازين، والقهواتيين؛ وفوق هذه الدكاكين الخالية من الطَّابق[4] الثَّاني والتي يغطِّيها القرميد، وأضيف له ما يشبه مستودعًا كبيرًا مسقَّفًا بألواح مثقوبة للإضاءة السِّلع[5]؛ وفي المقطع الذي ينفتح فيه الشَّارع **-كومب-** على السَّماء يمكن رؤية **مئذنتي الجامع الكبير والجامع الأخضر**[6].

ج- شارع بيريفو:

يربط **باب الجابية بباب وساحة القنطرة** من الجنوب الغربي إلى الشَّمال الشَّرقي فكان يعتبر في بداية الاحتلال من شوارع المدينة الإسلاميَّة أو ما كان يطلق عليه "**الحي العربي**" لوقوعه في القسم الجنوبي للمدينة [7]، وكانت تربطه العديد من الشَّوارع العريضة تصل المدينة الإسلاميَّة بالمدينة الأوروبيَّة، ومن أهمَّها: **شوارع فونتانيليس**

---

[1] معاوية سعيدوني، في عبقرية المكان القسنطيني ، ك1 ، المرجع السابق، ص 273.

[2] المرجع نفسه ، ص273.

[3] أحمد بن المبارك العطار، المرجع السابق، ص 53.

[4] المرجع نفسه، ص 54.

[5] أحمد بن المبارك العطار، المرجع السابق ، ص 54 .

[6] المرجع نفسه ، ص 55.

[7] Ernest Mercier, o p , cit, p 317.

(Fontanilhes) وروو (Rouaud) وفيو(Vieux) وهاكيت (Hakkette)[1].

د– **شارع دامريمون:** الذي يربط مقرَّ الولاية **(Préfecture)** بأقصى **القصبة**، ويطلُّ هذا الشَّارع في شرقه جزءًا من القصبة على المدينة[2].

كانت هذه الشَّوارع تخترق المدينة انطلاقا من باب الوادي القديم **(ساحة فالي وميدان نومور)** وتتَّجه إلى الجهة الشَّرقيَّة وتضاف إليها بعض الشَّوارع الأقل أهميَّة إلا أنَّها تشترك معها في طابعها الأوروبِّي وهي: **شارع سيريني (Sérigny) وشارع دي مويون** (desmoyen) الذي كان همزة وصل بين شارعي **دامريمون وكارامان؛ وممرَّ كاروس (Passage carrus)** الواصل بين شارعي **كومب وكارامان** والمفتوح داخل بناية جميلة ذات أقواس والذي تنتشر على جانبين الدكاكين المتواصفة[3].

– وبعد استمرار عملية التَّخطيط العمراني الاستعماري تم اختيار ضاحيَّة القنطرة لإقامة محطَّة هناك، على الضفَّة اليمنى **لوادي الرمال** المقابلة لباب **القنطرة؛** والذي تأكِّد بذلك دوره التَّاريخي كمدخل الشَّرقي للمدينة؛ والحصول على دعم "**نابليون الثالث**" خلال زيارته للمدينة عام 1864م وكذا في العالم الموالي 1865م بدأ العمل [4] في حفر نفق لتصل السكَّة الحديديَّة مباشرة إلى المحطَّة وانتهت الأشغال في هذا النَّفق عام 1867م وتمَّ بناء المحطَّة عام 1870م[5]؛ ممَّا دفع بهم إلى الإسراع في شق الشَّوارع المستقيمة الصَّالحة لمرور العربات عبر المدينة القديمة بين **باب الوادي وباب القنطرة** وخاصَّة منها شارع **فرنسا** وبعده الشَّارع الوطني **(الطريق الجديدة)** أفسح شوارع المدينة الأوروبية[6]؛ وكان

---

[1] Ernest Mercier, o p , cit, p 518.

[2] محمد المهدي بن علي شغيب، المصدر السابق، ص 95.

[3] نفسه، ص95.

[4] الهادي لعروق، المرجع السابق، ص159.

[5] Ernest Mercier, o p , cit, p 122.

[6] Idem, p : 123.

شق هذه الشّوارع ضرورة ملحّة بالنّسبة للسّلطات الاستعماريّة حتى يسهل الوصول إلى محطّة القطار بشكل مباشر وحتى تكون على اتّصال مباشر بمخزن الزّرع الكبير الذي كان يقع خارج المدينة في جهة **باب الوادي** وأسفل **كدية عاتي**[1].

- وفي نفس الوقت بدأت المدينة تستقطب الزّوّار الأجانب، فأسّست الفنادق والتي كان أهمّها: **فندق فرنسا بشارع البريد، فندق المستعمرات بساحة نومور (باب فالي)، فندق الشّرق في بداية شارع كومب**[2]، ضف إلى ذلك انتشرت المقاهي في **قسنطينة** على النّمط الأوروبّي ومن أهمّها: **مقهى مورو(Moreau)** الذي كان الأكبر في **الجزائر**، و**مقهى شارل (Charles)** وكلاهما **بساحة القصر**، وكانت المقاهي إلى جانب الأسواق[3] -**(التي تطرقت إليها سابقًا)**- من أهم مراكز الحياة القسنطينية العامّة بشقّيها الأوروبّي والعربي[4].

ومن بين الأحياء نذكر كذلك:

هـ- حي السّويقة:

وهو عبارة عن تجمّع سكّاني وتقاطع شوارع ضيّقة تتواجد به محلّات تقليديّة يباع فيها كل ما لذّ وطاب[5]؛ ويوجد بها العديد من الأحياء القديمة من بينها "**القصبة**" وبالإضافة إلى **سوق العصر**، بلاطها من الحجارة الملساء وظلّت على حالها إلى يومنا هذا ولم تمسّها التّخطيطات العمرانيّة الاستعماريّة[6].

---

[1] معاوية سعيدوني، في عبقرية المكان القسنطيني ، ك2 ، المرجع السابق، ص 269.

[2] Ernest Mercier, o p , cit, p : 376.

[3] Idem, p : 379.

[4] الهادي لعروق، المرجع السابق، ص 160.

[5] محمد عثمان، المرجع السابق، ص 37.

[6] المرجع نفسه، ص 39.

انصبت جهود جيش الاحتلال الفرنسي إلى إقامة المنشآت الدفاعيَّة وكان ذلك بعدما تمَّ تهيئة محيط مدينة **قسنطينة**[1]؛ وتم بناؤها في مرتفعات **سيدي مسيد وكدية عاتي وبيلفو (bellevue) والمنصورة،** وكانت أهم المنشآت العسكرية للتحكم في محيط المدينة الشرقي ثكنة المنصورة (**73 هكتار**)[2]. وتمَّ إنشاء ثكنة أخرى في **هضبة بيلفو** في أنسب الأراضي للبناء خارج المدينة؛ كما أقيمت ثكنتان أخريان على جانبي طريق **سطيف،** بينما انتشرت في الأراضي المهجورة مواقع أخرى لسلاح المدفعيَّة ولمخازن البارود ومنها مركز أراضي **البوليفون** التي تمَّت تهيئتها في عام **1882م** وأشرف على تهيئتها سلاح الهندسة العسكريَّة[3].

وممَّا سبق فإنَّ التَّوسُّع العمراني خلال هذه الفترة (**1837- 1945م**) سار في اتِّجاهين هما جنوب غربي باتِّجاه ضواحي **كدية عاتي** وشمال شرقي باتِّجاه ضواحي **القنطرة**[4].

1/ التَّوسع العمراني الفرنسي باتِّجاه الكودية coudait:

أ- تسويَّة هضبة الكودية:

بعدما زار "**نابليون الثالث**" الإمبراطور الفرنسي مدينة **قسنطينة سنة 1865م** قام بإصدار العديد من القرارات الهامَّة والتي من بينها: تدمير **هضبة الكودية** بهدف إنشاء مركز عصري جديد على أنقاضها، إلا أنَّ مشروعها تأخَّر إلى عام **1885م** بسبب تضارب آراء الأطراف المسؤول على ذلك **(سلطات بلدية قسنطينة، مقولين، السلطات**

[1] Ernest Mercier, o p , cit, p 71
[2] Idem, p 74

[3] معاوية سعيدوني، في عبقرية المكان القسنطيني ، ك2 ، المرجع السابق، ص 268.

[4] علي بن شغيب محمد المهدي، المصدر السابق، ص 95.

العسكرية)[1]؛ ومع مطلع سنة 1910م انطلقت أشغال التَّسوية وعليه تمَّ تقسيمها إلى مشروعين:

المشروع الأول: وجاء فيه ردم وتسويَّة كل جزء من أجزاء الهضبة على مساحة مسطَّحة تتوافق مع مستوى الطُّرق التي تحيط بها بحيث تصل أشغال التَّسوية إلى غاية **ساحة فالي vally**[2]**؛** إلا أنَّه بعد دراسة هذا المشروع من طرف المهندسين اتَّضح لهم أنَّ المساحة المتحصَّل عليها عبارة عن انحدارات كثيرة؛ لذلك تمَّ اعتبار هذا المشروع غير صالح فلجأوا إلى المشروع الثَّاني: وتمثَّل هذا المشروع في ردم جزء فقط من الهضبة وبذلك سوف تتقلَّص كميَّة الأتربة[3]؛ وبالتَّالي أخذ هذا المشروع بعين الاعتبار وتمَّ تنفيذه وتمَّ تحويل الكدية من قبل السُّلطات الاستعماريَّة إلى مركز إداري وثقافي جديد في المدينة المتكوّن من مباني إداريَّة هامَّة[4].

ب- تسويَّة ضاحيَّة سان جان Saint Jean :

وفي عام 1870م فكَّر المهندسين بالتَّوسُّع نحو الهضاب المجاورة **لهضبة الكودية** بهدف تسويَّتها وجعلها قابلة لبناء العديد من المباني[5] فتقرَّر تسويَّة **ضاحية سان جان**[6] ، وبدأت أشغال تسويَّتها سنة 1873م وبعد تسويَّتها احتوت على العديد من المباني السكَّانيَّة،

---

[1] علي بن شغيب محمد المهدي، المصدر السابق ، ص 96.

[2] المرجع نفسه ، ص 97.

[3] أسيا ليفة، وإبراهيم بن يخلف، مدينة قسنطينة القديمة، تراث عمراني مهدد للزوال، جامعة الجلفة، ع10، جانفي ص95.

[4] المرجع نفسه، ص 95.

[5] أسيا ليفة، التهيئة الحضرية وتسيير المدن الكبرى، مشروع مقدم لنيل شهادة مهندس دولة في التهيئة العمرانية، كلية علوم الأرض والجغرافيا، جامعة قسنطينة، 1997، ص 32.

[6] ضاحية سان جان Saint Jean : تقع في سفح الجنوب الغربي لهضبة الكدية، أنظر: المرجع نفسه، ص 32.

واحتوى طابقها الأرضي على مراكز تجاريَّة تباع بها سلع، وبضائع ثمينة مستوردة من البلدان الأجنبيَّة [1]. (أنظر ملحق رقم16)

3/ التَّوسع العمراني باتِّجاه القنطرة Kantara:

أ– تسويَّة هضبة المنصورة Mansourah:

تقع هذه الهضبة قرب الصَّخرة وتتميَّز بمجال ريفي واسع حيث خصَّصت في الفترة العثمانيَّة لتربية المواشي وزراعة الحبوب، إلا أنَّها في الفترة الاستعماريَّة وبحكم ارتفاع الهضبة الشَّرقيَّة مقارنة بارتفاع الصَّخرة وإشرافها على المدينة بـــ **750م**، وضع الفرنسيين منشآتهم العسكريَّة بها قصد مراقبة الأهالي والسَّيطرة على المدينة القديمة، وبعد انتهاء أشغال تسويَّة هذه الهضبة خصَّص منها **10 هكتار** لإنشاء الحي العسكري[2].

[1] أسيا ليفة، التهيئة الحضرية وتسيير المدن الكبرى، المرجع السابق ، ص 33.

[2] أسيا ليفة وإبراهيم بن يخلف، المرجع السابق، ص 96.

الخلاصة:

ممَّا سبق نستنتج أن السِّياسة العمرانيَّة الفرنسيَّة بمدينة **قسنطينة** كانت عبارة عن مرحلة انتقالية في المنظومة العمرانيَّة، بدءا بالتَّخطيط العمراني في الفترة الاستعماريَّة الأولى ثم انتقل التَّخطيط العمراني خارج حدود المدينة القديمة حيث مسَّ هذا التَّغيير مختلف المؤسَّسات العلميَّة والمنشآت العموميَّة وحتى المباني السكَّانية والطُّرق والأحياء كل هذه الأشياء عملت **فرنسا** على تهيئتها عمرانيًّا فمنها ما تمَّ تهديمه وإقامة ثكنات عسكريَّة على أنقاضه ومنها ما ظلَّ على حاله ولم يمسه التَّغيير الاستعماري؛ وعليه فإنَّ صورة المدينة تغيرت بشكل تدريجي منذ احتلال المدينة؛ في الفترة الممتدة من (1837 إلى غاية 1945م)؛ وعليه فقد استطاعت السُّلطات الفرنسيَّة تحقيق أهدافها في الجانب العمراني ولم تكتفي بالسَّيطرة عليه فقط بل أصدرت عدة قوانين ومن أهمِّها قانون التَّجنيس الذي أحدث خلل في المجال الاجتماعي لمدينة **قسنطينة؛** وهذا ما سنعالجه ونقف على أهم التَّطورات السِّياسيَّة التي طرأت على الجانب الاجتماعي للمدينة خلال 1837- 1945م في الفصل الموالي.

الفصل الثالث:

الوضع الاجتماعي في مدينة قسنطينة أثناء الاحتلال الفرنسي

الفصل الثالث: الوضع الاجتماعي في مدينة قسنطينة أثناء الاحتلال الفرنسي

أولا: وسائل وأساليب السِّياسة الفرنسيَّة في المجال الاجتماعي.

ثانيًا: تغيير البنية السكَّانيَّة .

ثالثًا: أهداف السِّياسة الفرنسيَّة في الميدان الاجتماعي.

رابعا: مقارنة تطورات الوضع الاجتماعي بين الفترة العثمانية والفترة الفرنسية.

استطاعت القوّات الفرنسيَّة من بسط نفوذها على البايلك رسميًّا ابتداء من **13 أكتوبر 1837**، أمَّا عن التَّركيبة السكَّانيَّة اختلطت بسبب الأساليب والوسائل التي استعملتها **فرنسا**.

يسلّط هذا الفصل الضَّوء على التطور الاجتماعي لمدينة **قسنطينة** خلال الفترة الاستعماريَّة من خلال التَّطرُّق إلى الوسائل والأساليب المستعملة في هذا المجال وكيف تطوَّر سكَّان **قسنطينة** بعد سقوطها في يد الاحتلال، إضافة إلى التَّركيبة السكَّانيَّة للقسنطينيين التي أصبحت فيما بعد متكوِّنة من فئات اجتماعيَّة مختلفة بسب الهجرة إلى المدينة، وكذلك سنتحدَّث عن أهداف السِّياسة الفرنسيَّة للقضاء على عادات وتقاليد السكَّان المحلِّيين وعلى تغيير البنية الاجتماعيَّة والمهنيَّة بالمدينة بعد احتلالها.

أولا: وسائل وأساليب السِّياسة الفرنسيَّة في المجال الاجتماعي

في سبيل تحقيق **فرنسا** لسياستها في المجال الاجتماعي، اعتمدت الإدارة الاستعماريَّة على جملة من الوسائل، لتفكيك روابط المجتمع الجزائري في مدينة **قسنطينة**، وقامت بتطبيق هذه السِّياسة منذ أن احتلَّت **الجزائر**.

أ ــ الوسائــل :

1- الجيش:

كان الجيش وسيلة فعَّالة في تطبيق السِّياسة الفرنسيَّة التي كان هدفها القضاء على العنصر المحلِّي بمختلف الطُّرق وذلك بالقتل والاغتصاب والتَّهجير والاضطهاد للسكَّان، وهذا ما أكَّده "**سانت آرنو**" في قوله: << فيما وراء القصبة أطل **أشيل** من

فوق الأسوار المشرفة على الشّعاب **وادي الرِّمال** فشاهد أجسادًا بشريَّة مهمَّشة على صخور الوادي إنَّها أجساد مئات من النِّساء اللَّاتي حاولن الفرار من المدينة[1]

كما تطرَّق أيضا الكاتب الجزائري "**محفوظ سمائي**" إلى أعمال القمع والإبادة التي ارتكبت في حق الأهالي والتي جعلتهم يهاجرون من المدينة بحثًا عن الأمن[2]

وكان هدف الجيش الأول هو خلق تفرقة بين الفئات الاجتماعيَّة وكسر الرَّوابط الأصيلة التي تجمع السكَّان فيما بينهم وكان هذا كلُّه بالقوَّة العسكريَّة، وتجلَّى فرض السَّيطرة واخضاع السكَّان المحلِّيين[3].

2- تشكيل قوَّات عسكريَّة محليَّة:

لتحقيق المخطَّطات الاستعماريَّة، سعى جيش الاحتلال الفرنسي إلى تشكيل قوَّات عسكريَّة **قسنطينة**، لدعم الحركة الاستعمارية وذلك عن طريق استمالة الفئات الاجتماعيَّة وكسبها لصالحها[4].

وقد تمَّت عمليَّة تجنيد الجزائريين من **كراغلة** وأتراك ومن القبائل المجاورة للمدينة بعد احتلال المدينة في **13 أكتوبر 1837**، ويذكر "**شارل أندري جوليان**" أنَّ الجيش الفرنسي حاول استقطاب أكبر عدد ممكن وذلك نظرًا لقوَّة ودهاء أولئك المحتلِّين مستغلين الظُّروف القاسية التي كان يعيشها المجتمع الجزائري من جراء الاحتلال[5]

---

[1] ماسبيرو فرنسوا، المرجع السّابق، ص ص 114- 115.

[2] محفوظ سمائي، الأمَّة الجزائريَّة نشأتها وتطورها، تر: محمَّد الصَّغير بناني، عبد العزيز بوشغيَّب، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص 74.

[3] بسَّام العسلي، المقاومة الجزائريَّة لاستعمار الفرنسي الجزائري، دار النَّفائس للطِّباعة والنَّشر، 2010م، ص 60.

[4] بسَّام العسلي، جهاد الشَّعب الجزائري، ج 1، دار العزة والكرامة للكتاب، الجزائر، 2009م، ص 248.

[5] Charles- André Julien, op. cit, p 228.

وخلال الفترة الممتدَّة من **17 نوفمبر إلى 9 ديسمبر 1837** بلغ عدد المجنَّدين **650** عنصرًا من المشاة و**40** فارس من الصَّبايحيَّة وسمي أولائك المجندون فيلق الأتراك القسنطيني[1].

3- الصَّبايحيَّة:

كان من بين الأهالي التي عملت **فرنسا** على تجنيدهم[2] منذ بداية الاحتلال الصَّبايحيَّةSphis والتي قامت فرنسا بتدريبهم ضمن الإطار العسكري الحديث المنظم من الضبَّاط وتجمُّع هذه الفرق العسكريَّة ضمن الجيش الإفريقي، وقد تمَّ تأسيس لواء الصَّباحيَّة في مدينة قسنطينة يوم **21 جويلية 1845م** المشكلة من سرايا وبعدها سمي لواء الصَّبايحيَّة لعمالة **قسنطينة** باللِّواء الثَّالث للصَّبايحيَّة[3]، غير أنَّ هذه الفرق خلال الحروب لم تكن ترضي الضبَّاط الفرنسيين وفي هذا الصَّدد قال عنهم **"الجنرال كاترو بيرد"** لنا بين الأهالي سوى أعداء ... ليس لنا بين العرب أصدقاء[4].

أمَّا فيلق **قسنطينة** فكان مشكل من الأتراك، وتمَّت عمليَّة اندماجه في سلك الجيش الإفريقي من بداية **1841** إلى غاية **1852** وقد ساعدت هذه الفرق على توسيع الاستعمار وبناء المستوطنات وإقامة المنشآت العسكريَّة كالحصون[5] كذلك

[1] محمَّد الصَّالح، بجاوي، متعاونون ومجنَّدون جزائريون في الجيش الفرنسي، 1830- 1910م، دار القصبة للنَّشر، الجزائر، 2009م، ص 201.

[2] مصطفى الأشراف، الجزائر الأمَّة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، م و ل، الجزائر، 1883م، ص: 93.

[3] محمَّد الصالح بجاوي، المرجع السَّابق، ص ص 169، 171.

[4] مصطفى الأشرف، المرجع السَّابق، ص 94.

[5] محمَّد صالح بجاوي، المرجع السَّابق، ص 175.

قاموا بتأسيس **فرقة الرُّماة الجزائريين في كل مقاطعة** المتكوِّنة من المجنَّدين الجزائريين خيَّالة ضمن الجيش الفرنسي والتي تأسَّست في **1849/12/17م** من طرف الفرنسيين[1].

وبالتَّالي فالجيش كان من بين الأساليب النَّاجحة ضمن المخطَّطات الفرنسيَّة، وعليه يمكن القول أنَّ الجيش الفرنسي عمل **لاستيلاء على الأرض والمساكن وتعميرها بالعنصر البشري الأوروبي**[2] .

4- المكاتب العربيَّة:

المكتب العربي هو حلقة وصل بين الجيش الأوروبي الذي استقر **بقسنطينة** منذ **1830** والأهالي التي تسكن المنطقة[3].

بلغ عدد المكاتب العربيَّة في مقاطعة **قسنطينة 18 مكتب وملحقان و39 ضابطًا سنة 1855م**، ويتشكَّل جهاز مؤسَّسة المكاتب العربيَّة من مجموعة من الموظَّفين: **ضباط مرسَّمين وآخر متربِّصين، مترجمين، قضاة، خوجة، شواش وفرنسا وصبايحيَّة**[4]، وقد بلغ عدد المكاتب بمقاطعة **قسنطينة** في سنة **1865م، 15 مكتب** وذلك لتسهيل تطبيق السِّياسة الاستعماريَّة الفرنسيَّة وفي كل منطقة ريفيَّة يسيِّرها القياد الجزائريين الذي كسبهم قادة المكاتب العربيَّة عن طريق الوظائف والمحافظة

[1] محمَّد الصالح بجاوي، المرجع السَّابق، ص 176.

[2] منوَّر أحمد، الأدب الجزائري باللِّسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعيَّة بن عكنون، الجزائر، 2007م، ص 30.

[3] صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، مديريَّة النَّشر لجامعة قالمة، 2010م، ص 74.

[4] المرجع نفسه، ص 73.

على المصالح، إضافة إلى ذلك كانت هذه المكاتب تهتمُّ بجمع الضَّرائب واخضاع القبائل للسُّلطة الاستعماريَّة وتقليص من نفوذ الأسر الكبيرة[1].

كما تناولت أعمال ضبَّاط المكاتب العربيَّة دراسات حول العادات والتَّقاليد لمختلف سكَّان المدينة **كالأتراك العرب، القبائل** إضافة إلى إحصاء الحرف ثمَّ وصف مختلف أوجه الحياة اليوميَّة وجمع المعلومات حول العائلات إلى جانب إحصاء السكَّان ومناطق تواجد المياه الضَّروريَّة للتحرُّكات الجيش[2] وكما كانت هذه المكاتب وسيلة فاعلة لاحتلال المناطق المتبقِّية[3].

إذن فإنَّ أهداف تشكيل المكاتب العربيَّة تتمثَّل في استخلاص الضَّرائب، تقليص من نفوذ رؤساء الأسر الكبيرة، إضافة إلى تولِّي أمور القضاء، مساعدة القادة العسكريين بالبلاد في إدارة الأهالي وتنفيذ أوامرهم مع توجيه السِّياسة الاستعماريَّة[4] .

5- الاعتماد على العائلات الكبرى:

لعلَّ أبرز إجراء قام به **الماريشال فالي**" لاستقطاب هذه العائلات إلى الصف الفرنسي وأهم إجراء باشره لتحقيق هذا الغرض تمثل في إصداره للمرسوم الشَّهير المعروف بـــ: "**مرسوم الماريشال فالي في 1838/9/30م**" يعتبر هذا المرسوم أول خطوة عمليَّة لبداية العلاقة الرَّسميَّة للإدارة الاستعماريَّة الفرنسيَّة مع العائلات الكبرى ذات النُّفوذ الواسع في مقاطعة **قسنطينة** والعائلات المخاطبة بأحكامه منح زعمائها لقب "**الخليفة**"،

---

[1] صالح فركوس، إدارة المكاتب العربيَّة والاحتلال الفرنسي للجزائر في ظل شرق البلاد، 1844- 1871، منشورات جامعة باجي مختار، عنَّابة، 2006، ص ص 19 – 20.

[2] بوعزَّة بوضرساية، سياسة فرسنا البربريَّة في الجزائر، 1830- 1930م، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010م، ص 95.

[3] المرجع نفسه، ص 96.

[4] صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السَّابق، ص 73.

وهؤلاء الزُّعماء هم "**علي بن عيسى**" الخليفة السَّابق للحاج" **أحمد باي**" والذي عيَّنه خليفة على منطقة السَّاحل، **والشَّيخ المقراني** زعيم عائلة **المقراني** الذي عيِّن على منطقة مجانة بالغرب القسنطيني، والشَّيخ " **فرحات بن السَّعيد الذوادي**" زعيم عائلة "**بوعكَّاز الذواودة**" الذي عين على رأس منطقة **الزيبان** بالجنوب القسنطيني وأسند له منصب شيخ العرب[1]، وتمَّ تقليد وتنصيب هؤلاء الخلفاء من قبل المارشيال "**فالي**" تبعًا للتَّقاليد والبروتوكولات التي كانت سائدة خلال الحقبة العثمانيَّة مثل إجراء وضع البرنوس الأحمر وأداء اليمين وتلاوة التَّعهد بالوفاء والإخلاص **لفرنسا** وللعلم الفرنسي في كل الأحوال، والالتزام بدفع الضَّريبة المفروضة على كل خليفة، والالتزام بمؤازرة الجيش الفرنسي وتزويده بكل الفرسان كلَّما تطلَّب الأمر ذلك[2] وقد استغلَّ هؤلاء الخلفاء هذه الصَّلاحيات الواسعة التي منحها لهم هذا المرسوم، فتعسَّفوا في استخدام سلطتهم، واستغلُّوا السكَّان وتجاوزوا الحدود التي رسمها أحكام هذا المرسوم، حيث لم تمارس عليهم رقابة وذلك عكس ما كان عليه الوضع أيَّام "**أحمد باي**" الذي كان يعاقبهم إن زاغوا[3] أمَّا محاوره تتمثَّل فيما يلي:

1/ يمارس الخليفة مهامه وسائر الصَّلاحيات التي تخوِّلها له أحكام هذا المرسوم في المناطق التي تتقدَّم فيها الإدارة المباشرة للسلطات الفرنسيَّة[4]

2/ توكَّل للخليفة مهمَّة تنظيم التَّشريفات، ويشاركه في ذلك **القايد.**

3/ يتولَّى الخليفة مهمَّة اختيار شيوخ القبائل في حدود قيادته، ويقوم بتعيينهم وتقليدهم دون الأخذ بعين الاعتبار راي القائد العام الأعلى لمقاطعة **قسنطينة.**

---

[1] دوتي نور الدِّين، المغرب العربي والاستعمار الفرنسي، سراس للنَّشر، تونس، 1997م، ص 12.

[2] Charles- André Julien, op. cit, p : 148.

[3] Idem, p148 .

[4] العيَّاشي روابحي، الإدارة الاستعماريَّة وعلاقتها بالعائلات الكبرى في مقاطعة قسنطينة 1837م– 1871م، رسالة مقدَّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التَّاريخ الحديث والمعاصر، كليَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، جامعة قسنطينة، 2014م– 2015م، ص 80.

4/ يباشر الخليفة مهمَّة جباية الضَّرائب والمغارم التي فرضتها الإدارة الفرنسيَّة على السكَّان الجزائريين، أمَّا شيوخ القبائل والقيَّاد فقد أوكلت لهم مهمَّة جباية المغارم والضَّرائب الأخرى.

5/ استحداث سرايا من فرسان الصبايحيَّة تابعة للخليفة وتعضده في مباشرة مهامه الحربيَّة، وتعهَّدت الإدارة الاستعماريَّة بضمان دفع أتعاب وأجور فرسان هذا الحرس، وكانت كل سريَّة تتألَّف من **مائة فارس وأربعة عسكريين** من رتبة ضابط صف يتميَّزون بلباسهم الخاص الذي هو برنوس أزرق اللَّون.

6/ يحافظ رؤساء الأهالي على نفس التَّرتيبات والإجراءات التي كان معمول بها في عهد الحاج "**أحمد باي**" فيما يتعلَّق بالألبسة الخاصَّة بالتَّشريفات والمسائل المتعلِّقة بها وفي هذا فإنَّ الخلفاء يرتدون الخلقة، بينما يرتدي قائد الحراكتة و"قايد عامر الشراقة القندورة وشيخ العرب "**فرحات بن السَّعيد**" يرتدي القفطان[1].

ومن أهم القيادات المشمولة بمرسوم **فالي:** قيادة عائلة **المقراني:** لقد تمَّ تقليد الشَّيخ **أحمد المقراني** بصفة رسميَّة كخليفة على مجانة من قبل الماريشال **فالي**[2] وكانت قيادة **المقراني** من أكبر القيادات في مقاطعة **قسنطينة،** حيث أنَّ الفرنسيين كانوا قد منحوا المقرانيين قيادة أكثر اتِّساعًا من القيادة التي كانوا يبسطون عليها سيادتهم خلال الحقبة العثمانيَّة، وقيادة **المقراني** تنحصر ما بين **فرجيوه** شرقا، ومقاطعة **التِّيطري** غربًا، وقيادة شيخ العرب بالجنوب القسنطيني؛ إذ كانت **قبيلة هاشم**

[1] العيَّاشي روابحي، الإدارة الاستعماريَّة وعلاقتها بالعائلات الكبرى في مقاطعة قسنطينة 1837م– 1871م، المرجع السَّابق، ص 82.

[2] يحي بوعزيز، ثوارات سكَّان الزواغة وفرجيوة والبابور ضدَّ الاستعمار الفرنسي وقضيَّة الحاج عز الدِّين، الثَّقافة، مجلَّة تصدِّرها وزارة الثَّقافة والسِّياحة بالجزائر، عدد 40، سنة 1977م، ص 50.

من أهم القبائل في قيادة **المقراني**، حيث كانت تتكوَّن من زهاء **1200 خيمة**، وبإمكانها تزويد الخليفة بحوالي **800 فارس**[1].

قيادة عائلتي بوعكَّاز الذواودة وابن قانة:

"**فرحات بن السَّعيد الذواودي**" كان من الزُّعماء الأهليين الأوائل الذين تعاونوا مع الفرنسيين منذ البداية، ونتيجة لذلك قلَّدوه منصب شيخ العرب، وفي **1839/1/14م**، أصدر المارشيال "**فالي**" قرار تولي "**بوعزيز بن قانة**" في منصب شيخ العرب قائدًا على قبائل أولا "**عبد النُّور**" خلفًا "**للسيد بن زكري**" الذي تمَّ توظيفه مع صديقه "**فرحات بن السَّعيد**".

قيادة عائلة بوعكَّاز بن عاشور:

كانت عائلة "**بوعكَّاز بن عاشور**" تبسط سيادتها على المنطقة الجبليَّة للوادي الكبير **وفرجيوة والبابور**، وكانت عائلة أولاد "**عز الدِّين**" تقاسمها السِّيادة في هذه المناطق.

وذكر "**مرسيي**" أنَّ "**الماريشال فالي**" عندما أسند قيادة "**فرجيوة**" إلى "**أحمد بلحملاوي**" بمقتضى مرسوم **1838/09/30م**، لم يقطع صلته بالشيخ "**أحمد بوعكَّاز**"، حيث كان يتواصل معه بطريقة سريَّة[2] عن طريق شيخ البلد **بقسنطينة** "حمُّودة الفقون"، وفي مقابل ذلك كان لا يثق في الشَّيخ **أحمد للحملاوي**[3] وأنَّ توقيف "**أحمد بلحملاوي**" كان يعني بضرورة انتقال منصب خليفة "**فرجيوة**" إلى الشَّيخ "**أحمد بوعكَّاز**"، ورغم أنَّ الفرنسيين أسندوا له هذا المنصب، إلى أنَّه كان يرفض الاتِّصال بهم لكنَّه في الوقت نفسه يعترف بهم! وكان الفرنسيون يعملون جادِّين من أجل استقطابه والتَّعاون معهُ.

---

[1] يحي بوعزيز، ثوارات سكَّان الزواغة وفرجيوة والبابور ضدَّ الاستعمار الفرنسي وقضيَّة الحاج عز الدِّين، المرجع السابق، ص 51.

[2] صالح فركوس، إدارة المكاتب العربيَّة والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844– 1871م، المرجع السَّابق، ص 88.

[3] Ernest Mercier, Histoire de constantine, o p. cit , p 470.

وفي ضوء ما تقدَّم يتبيَّن أنَّ "**الماريشال فالي**" تمكَّن بواسطة مرسومه أن يضبط قيادة كل عائلة من العائلات المذكورة، وبين حدودها الإقليميَّة، ويعيَّن على رأسها زعيم من هذه العائلات لعلَّه يساعده على فرض الحكم الاستعماري في هذه المناطق البعيدة نسبيًّا عن سيطرة ورقابة إدارة بلاده[1].

وهكذا نرى أنَّ الفرنسيين تعاملوا مع هذه العائلات حسب مصالحهم وأهوائهم في التَّسلط والاستغلال، وخلقوا نزاعات وخلافات بينهم، بل وبين الإخوة وأبناء العمومة في العائلة الواحدة، كل ذلك لتوهين العرى والرَّوابط القويَّة التي كانت تربط بين هذه العائلات منذ أزمنة سحيقة لكي يبقوا هم دون سواهم أصحاب اليد الطُّول في السِّيادة والسُّلطة وبالفعل نجحوا في ذلك وحقَّقوا مبتغاهم لأنَّه نتج عن هذه الاستراتيجيَّة المقتية حدوث فجوة سحيقة من الجفاء والبغضاء بين هذه العائلات فجَّرت حروب بينهم، وأدَّت بحياة الكثير منهم، وبالمقابل زادت من قوَّة الفرنسيين الذين سيطروا على مفاصل البلاد[2].

يقول الرَّائد " **سيروكا**" في مقدِّمة عمله التَّاريخي المتعلق **بقسنطينة 1830– 1855** **<<... إنَّ معرفة تاريخ وعداوة وثأر هذه العائلات في هذه البلاد المغلوبة، تؤهلنا أكثر لإحكام سيطرتنا عليهم، كما أنَّ معرفتنا الدقيقة لتاريخ الجزائر تجنبنا الوقوع في الزلَّات>>**[3]، ففي بداية الاحتلال توسَّطوا بهذه العائلات، ومنحوهم الألقاب والمقابل المادي والاعتبار المعنوي بهدف تثبيت أركان الحكم الكولونيالي، حيث رأى أنَّ أحسن وسيلة للتَّعامل معهم في ارضاء طموحاتهم، لأنَّ زعماء هذه العائلات كان لهم غرور كبير

[1] Ernest Mercier, Histoire de constantine, o p. cit , p 470.

[2] أبو قاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مج 5، المرجع السَّابق، ص 14.

[3] العيَّاشي روابحي، الإدارة الاستعماريَّة وعلاقتها بالعائلات الكبرى في مقاطعة قسنطينة 1837م– 1871م، المرجع السَّابق، ص 100.

واعتزاز بالنَّفس خارق للعادة، فأدركوا أنَّه ليس من اللَّائق اقصاؤهم وعدم الالتفات إليهم، ويتم ذلك بمنحهم وظائف إدارية، لكنَّ بشرط أنَّ تحقق هذه الوظائف المخطَّطات الفرنسيَّة[1]

إنَّ الإدارة الاستعماريَّة الفرنسيَّة لم تكن تهدف من وراء هذه العمليَّة إلى تبجيل هذه العائلات كما تدَّعي، أو احداث تطور في البنية الاجتماعيَّة لسكَّان **قسنطينة**، وإنَّما كان هدفها المركزي هو السَّيطرة على البلاد والعباد، فشرعوا في التَّخلص منهم بصورة تدريجيَّة وطبَّقوا أسلوب الإدارة المباشرة بدل الأسلوب غير المباشر الذي يركِّز على خدماتهم>>[2]، وعملت الإدارة الاستعماريَّة الفرنسيَّة على تقليص وتجزئة القيادات التي كانت هذه العائلات تبسط عليها حكمها بطريقة ممنهجة وبطيئة، حيث جزأت الخلافة الواحدة إلى عدَّة أجزاء، وأشركت عائلات أخرى في منافسته لهذه العائلات في حكم هذه القيادات[3].

وهذا من أجل إضعاف نفوذها وخلق جو متوتّر داخل هذه القيادات والتَّدخل في شؤونها، وكان هدف الفرنسيين من وراء ادخال عناصر من عائلات أخرى –**أقلَّ خطورة**– ومنحهم السُّلطة هو منافسة هذه العائلات لأنَّ ولاء هذه العناصر الجديدة يكون بالضَّرورة لإدارة الفرنسيَّة التي عيَّنتهم، والغريب في الأمر أنَّ الفرنسيين درجوا على تسمية هذه العمليَّة بـــ"**الإصلاح الدِّيمقراطي**" حكم هذه العائلات كان مرحلة ضروريَّة جاءت كوصفة علاجيَّة لنظام حكم "الأرستوقراطية العربيَّة" الذي تبنَّاه هؤلاء "**الأجواد**" والذي تميِّز بكثير من القصور[4] وبهذا فإنَّ الفرنسيين حاولوا تطبيق المفاهيم الأوروبيَّة على المجتمع القسنطيني، طبَّقت إذن الإدارة الاستعمارية عمليَّة تذويب بطيئة" لهذه

---

[1] أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنيَّة الجزائريَّة 1830– 1900م، ج 1، المرجع السَّابق، ص ص115– 116.

[2] المرجع نفسه ، ص ص 326– 327.

[3] المرجع نفسه، ص 327.

[4] العيَّاشي روابحي، الإدارة الاستعماريَّة وعلاقتها بالعائلات الكبرى في مقاطعة قسنطينة 1837م– 1871م، المرجع السَّابق، ص 103.

الأرستقراطية العربيَّة حتى أنهكتها[1]، ويضيفون أنَّ هذه التطوُّرات أدَّت إلى خلق برجوازيَّة ريفيَّة موازية أدارت ظهرها لهذه الأرستقراطيَّة ورفضت حكم الأجواد التَّقليدي، واضطراب المعاملات الماليَّة بسبب عدم مقدرتهم على التَّأقلم مع الأوضاع الماليَّة الجديدة ونحو ذلك[2] خلال عامي **1846 و1847م**، باشرت الإدارة الاستعمارية تجاه هذه العائلات عمليَّة سلخ عشرة قبائل من قيادة **المقراني** وألحقتها بدوائر وقسمات أخرى، وفي عام **1849** تمَّ استحداث وتجزئة قبيلة في الحضنَّة والجنوب من قيادة المقراني[3]، وفي عام **1853م** قام الفرنسيون بتجزئة قبيلة **أولاد نايل** الخاطفة لقيادة **المقراني** إلى **ثلاث** فروع، ونصبوا على رأس كل فرع قايد **(لا ينتمي إلى عائلة المقراني)**، وعمومًا يُمكن القول أنَّ الإدارة الاستعماريَّة الفرنسيَّة انتهجت هذه السِّياسة الخرقاء ضدَّ هذه العائلات التي تعاونت معها في البداية من أجل اضعافها وتوجيه اهتماماتها صوب الصِّراع مع العناصر الجديدة التي أضحت تنافسها في الحكم لكي يخلو لها السَّبيل لتثبيت ركائزها وانجاح مشروعها الاستعماري.

ب ــ الأساليب :

بعد دخول جيش الاحتلال إلى **قسنطينة** أدَّى إلى تغير الأوضاع الاجتماعيَّة عن طريق أساليب السِّياسة الفرنسيَّة وأصدرت الإدارة الاستعماريَّة مجموعة من القوانين منذ بداية الاحتلال لتحقيق أهدافها في المجال الاجتماعي، ونذكر منها ما يلي:

1/ تشريع القوانين:

1– قانون مصادرة الأوقاف وكان في **8 سبتمبر 1830م** وفي سنة **1838م** صدر قانون **31 أكتوبر 1838م** الذي يؤكِّد على حريَّة الإدارة الاستعماريَّة في التَّصرف بالأوقاف

[1] أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنيَّة الجزائريَّة 1830– 1900م، ج 1، المرجع السَّابق، ص ص 327– 328.

[2] دوتي نور الدِّين، المغرب العربي والاستعمار الفرنسي الجزائري، المرجع السَّابق، ص 14.

[3] أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنيَّة الجزائريَّة 1830– 1900م، ج 1، المرجع السابق، ص 119.

الاسلاميَّة[1] وبمصادرة الأوقاف زادت نسبة العقود في المجتمع لأنَّها كانت تشكِّلُ مورد رزق لفئة الفقراء.

2- قانون 9 جوان 1844: وأدَّي هذا القانون إلى تقسيم المدنيَّة إلى قسمين أوروبي في الشَّمال وآخر خاص بالأهالي في الجنوب ويميِّز هذا القانون بين السكَّان[2].

3- قانون 24 فيفري 1862، وحاول هذا القانون دمج الجزائريين وتجنيسهم تطبيقًا للمقولة التَّالية "بما أنَّ دستور **فرنسا** المحرر في **4 نوفمبر** يلحق **الجزائر** الحاقًا تامًّا بفرنسا فالمسلم الجزائري هو فرنسي.

4- قانون 14 جويلية 1865: وينصُّ هذا القانون على كل مسلم من الأهالي يصبح فرنسي، لكنَّه يستمرُّ خاضعا لأحكام التَّابعة للقانون الاسلامي ويمكن استدعائه لأداء الخدمة الوطنيَّة.

5- قانون كريميو: صدر هذا القانون في **24 أكتوبر** وينصُّ على منح الجنسيَّة للأهالي أي يهود **الجزائر** وبذلك يتمتَّعون بنفس الحقوق والواجبات وامتيازات الجزائريين[3].

6- قانون الأهالي: صدر هذا القانون في **28 جوان 1881م** ويعرف بقانون الأهالي أو **الاندينيجيا** وهو قانون استثنائي يطبَّق على المواطنين المسلمين تضمَّنت سلسلة من العقوبات التي شرَّعها قانون عرف بقانون الأهالي ومن أهم بنوده:

---

[1] سعيدوني نصر الدِّين، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة بالجزائر أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي، المرجع السَّابق، ص 100.

[2] رابح تركي، الشَّيخ عبد الحميد ابن باديس، ط 1، المؤسَّسة الوطنيَّة للفنون المطبعيَّة وحدة الرِعاية، الجزائر، 2009م، ص 87.

[3] فركوس صالح، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السَّابق، ص 66.

- يسجن كل من سكن في منطقة نائيَّة ويحطِّم بيته[1] منع الأهالي من التَّنقل بين الأقاليم والمناطق دون رخصة
- شرع مبدأ المسؤوليَّة الجماعيَّة عند وصول أي مسؤول أوقادة في أي مكان وتطبيق العقوبات الجماعيَّة كذلك.

2/ التَّجنيس:

اعتمدت الإدارة الفرنسية على التجنيس كأسلوب لتنفيذ مخططاتها ورفع نسبة المستوطنين في **الجزائر** وقد شمل هذا التجنيس ثلاث فئات أجمالها ما يلي:

أ- تجنيس الأهالي:

حاولت الإدارة الاستعمارية تجنيس الجزائريين وإدماجهم ذلك **أصدرت قانون 24 فيفري 1862** الذي يقول بما أن دستور **فرنسا** المحرر ف **4 نوفمبر 1848** يلحق **الجزائر بفرنسا** الحاقا تماما فإن المسلم الجزائري هو فرنسي، إنما المسلم الجزائري لا يمكن اعتباره وطنيا فرنسيا مدام يحافظ على قانونه الخاص في الاحوال الشخصية[2].

وفي **14 جويلية 1865**، صدر قانون ينص على أن الأهالي المسلمين يصبحون فرنسيين ويخضعون إلى قوانين الأحكام الاسلامية[3].

لكن سكان مدينة **قسنطينة** قد عارضوا هذه القوانين ورفضوا التجنيس فقد جاء في عريضة من أعيان **قسنطينة** في **10 جويلية 1887** موجهة إلى البرلمان الفرنسي وهذا مقتطف منها **نحن الموقَّعون أسفله مسلمو سكَّان الجزائر قد وصلنا مشروع القانون الذي**

[1] يحي بوعزيز، سياسة التَّسلُّط الاستعماري والحركة الوطنيَّة 1830- 1954م، د.و.م.ج، الجزائر، 2007، ص 38.

[2] رابح تركي، الشَّيخ عبد الحميد ابن باديس، المرجع السَّابق، ص 86.

[3] المرجع نفسه ، ص 87.

قدَّمه السيِّدان توتى، ميشلان والذي يهدف إلى إدماج المسلمين بالجملة في الأمة الفرنسية عن طريق ما يسمى بالتجنيس.

وقد رفض السكَّان التَّجنيس بحجَّة أنه يتعارض مع الشَّريعة الاسلاميَّة كما أن تقلِّد المناصب والوظائف غير ممكن بالنسبة للجزائريين لأنهم أميين ولا تتوفَّر فيهم الشُّروط وأضافوا سبب آخر وهو التعليم الفرنسي لن يتيح لهم فرصة تعلم القرآن وهذه دوافع رفضهم للتَّجنيس[1] وبلغ عدد المجنَّسين في **الجزائر** سنة **1875** حوالي **371** جزائري وهي قليلة جدا.

ويرجع ذلك إلى رفض السكان هذا التجنيس أما عن النسبة المجنَّسة فكانت مشكلة من العناصر المتعاونة مع **فرنسا** وتتوالى على خدمة جيش الاحتلال منذ البداية وحافظوا على مصالحها واكتسبت مجموعة من الامتيازات على حساب السكَّان[2].

ب- تجنيس اليهود:

لقد كان لسقوط الإمبراطوريَّة الثانية بقيادة "**نابليون الثَّالث**" وقيام الجمهوريَّة الثالثة في **4 سبتمبر 1870م**، وتعيين اليهودي "**كريميو**" كمكلّف بشؤون **الجزائر** هو الذي قام بإصدار قانون تجنيس يهود الجزائر بالجنسيَّة الفرنسيَّة وذلك في **24 أكتوبر 1870** وعرف هذا القانون باسمه[3].

[1] جمال قنان، نصوص سياسيَّة في القرن التَّاسع عشر 1830- 1914م، ديان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 2009م، ص ص 187، 196.

[2] المرجع نفسه، ص 198.

[3] صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السَّابق، ص 66.

نصَّ على تجنيس اليهود مع احتفاظهم بأحوالهم الشَّخصيَّة كممارسة شعائرهم الدِّينيَّة[1] والهدف من اصدار هذا القانون هو تمتُّع اليهود بنفس حقوق وامتيازات المستوطنين بعد أن كانوا فئة منبوذة داخل المجتمع.

بعد اصدار القانون قامت حكومة **باريس** اصدار المرسوم الثَّاني الذي أعطى يهود **الجزائر** حق المواطنة الفرنسيَّة واصبحوا يشكِّلون عنصر استيطاني بحكم الامتيازات التي منحت لهم على أساس أنَّهم أصبحوا مواطنين فرنسيين وبذلك فاليهودي **كريميو** قد حقق هدفًا بإصدار هذا القانون، وهو ارتقاء فئة اليهود اجتماعيًّا[2] أمَّا هدف **فرنسا** من اصدار هذا القانون هو عزل الشَّعب الجزائري وزيادة أعمال العنف واضطهاده[3].

ويمكن القول أنَّ قرار تجنيس اليهود قد عمل على رفع نسبة المستوطنيين في **الجزائر** وزيادة صلاحيتهم على حساب الأهالي.

كما أصدرت فرنسا قانون آخر في **1889** بمنح الجنسيَّة للجالية الأوروبيَّة في **الجزائر** قصد تكثيف العنصر الفرنسي.

ثانيًا: تغيير البنية السكَّانيَّة:

1/التَّركيبة السكَّانيَّة للقسنطنيين:

ذكرت الأستاذة "**كريمة بن حُسين**" أنَّ المجتمع القسنطيني يتألَّف من **ثلاثة** عناصر متمايزة هي: **المسلمون، الأوروبيون، اليهود**[4].

---

[1] صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق م– 1962، دار العلوم للنشر والتَّوزيع، عنَّابة، 2003، ص 226.

[2] بوعزَّة بوضرساية، سياسة فرنسا البربريَّة في الجزائر، المرجع السَّابق، ص 98.

[3] المرجع نفسه، ص 99.

[4] كريمة بن حسين، الحياة السِّياسة في قسنطينة بين 1930– 1939م، المرجع السابق، ص 8.

أ- المسلمون:

يعتبر سكَّان **قسنطينة** مزيجا من عناصر مختلفة من الأمازيغ والعرب والأتراك والكراغلة **(أنظر ملحق ص17)**، هذه العناصر كانت متمايزة في عهد الحُكم العثماني إلا أنَّ هذا التَّمايز زال بعدما تمَّ احتلال **قسنطينة** عام **1837م** ومن ثمَّ أطلق عليهم اسم الأهالي، خاصَّة بعد اصدار **فرنسا** لقانون الأهالي ثمَّ أعقبه مرسوم "**كريميو**" الذي منح الجنسيَّة الفرنسيَّة ليهود **الجزائر**، وبقدر ما كانت هذه القوانين ظالمة وجائرة في حق المسلمين، فقد كانت بفعل حاصل نعمة لأنَّها وحَّدت هذه الأعراق وجعلتهم في عنصر واحد يعرفون عند المستوطنيين والإدارة الاستعماريَّة بالأهالي، فعنصر المسلمون ينقسمون من حيث العرق والدِّين إلى ثلاث قطاعات متمايزة وهي[1]:

ب- العائلات الحضريَّة القديمة:

وهي التي سكنت المدينة منذ القدم وتعرف بأصالتها العريقة وتقاليدها وقيمتها الرُّوحيَّة والعلميَّة وذات مكانة اجتماعيَّة مرموقة، وهي عائلات بورجوازيَّة لها أملاكها في المدينة وفي الأرياف أمثال: عائلات "**ابن الفقون**"، "**ابن باديس**"، "**ابن نعمون**"، **ابن عبد المؤمن**"، "**ابن الشَّريف**"، "**باشتارزي**" **وغيرها**[2] وبقيت هذه العائلات محافظة على إرثها الحضاري وقد تقلَّد بعض أفرادها وظائف في الإدارة الاستعماريَّة، والحرف التَّقليديَّة والتِّجارة.

ج- العائلات البورجوازيَّة الجديدة:

ويطلق عليهم البرَّانيَّة بمعنى الوافدون من مختلف المناطق من ميزابيين **(الصّحراء)** والقبائل الصُّغرى **(القبايل)**، والجرابة **(تونسيون من جزيرة جربة)**، وهذا بعد الحرب

[1] كريمة بن حسين، الحياة السِّياسة في قسنطينة بين 1930- 1939م، المرجع السابق، ص 9.

[2] عمَّار بوطبَّة، المرجع السَّابق، ص 9.

العالميَّة الأولى، وكانت طبائعهم خشنة بحكم طبيعة منشئهم وبالمقارنة مع البلديَّة وأولاد البلاد وكانت هذه العائلات أكثر تأثُّرًا بالحضارة الغربيَّة بفعل قابليتها لتقليد الأوروبيين في ملبسهم ومأكلهم ومسكنهم وطريقة عيشهم.

د- العائلات الصَّغيرة ذات الحرف والمهن الصَّغيرة:

وهي سواد المجتمع، بحيث تعيش في ظروف قاسية من حيث المسكن والعمل والمستوى المعيشي نهل الطَّبقة الفقيرة المحرومة، وهي التي توافدت عبر مراحل تاريخيَّة إلى المدينة بحُكم أن الاستعمار قد استولى على أراضيه أو على الأقل الأراضي التي كان يعمل فيها عند أصحابها[1].

إذن فقد ظهر أثر السِّياسة الفرنسيَّة على التَّركيبة التُّركيَّة فقد أدَّت إلى اختفاء العديد من العناصر بعدما تربَّعت على الهرم السكَّاني قبل الاحتلال خاصَّة الطَّبقة الأرستقراطيَّة[2] **(كراغلة، أتراك).**

كما تراجعت طبقة الحضر **وهاجر** العديد منهم إلى المناطق التي لم تحتل بعد إضافة إلى التَّهجير القسري لفئة التجَّار والعمل على هدم محلَّاتهم ودكاكينه[3]، والفئة الوحيدة التي لم تتأثَّر من السِّياسة الاستعماريَّة وهي فئة البرانيَّة وقدَّر عددهم في سنة **1846م** حوالي **17394** وكانوا موزَّعين على عدَّة مناطق.

بالإضافة إلى ذلك توافد على المدينة فئة أخرى مشكَّلة من سكان الرِّيف الذين تأثَّروا جرَّاء الأزمات التي حلَّت بالمدينة مثل أزمة **1838م**، كما بدأت الأقليَّة الأوروبيَّة تتوافد

[1] كريمة بن حسين، المرجع السَّابق، ص 10.

[2] Pagand bernande, la madina de constantine de la cité traditionnelle au centre de l'Agglomération, université de Poitier de partement de géographie, 1988, p 202.

[3] Idem, p 202.

على **الجزائر** مع بداية الاحتلال وكان بعد **1848م** ومع استقرار الأوضاع وتراجع المقاومة عرفت هذه النِّسبة ارتفاع ملحوظ[1]

وتمكَّنت هذه الفئة من السَّيطرة على أهم النَّشاطات الاقتصاديَّة في البلاد وبعدها احتلَّت مركز اجتماعي مميَّز نظرًا لاحتكارها للمال والسُّلطة وتميَّزت هذه الفئة بالانغلاق على نفسها والتَّعصب والعنصريَّة اتِّجاه الجزائريين بسبب موقفها العدائي.

2/ تِعدَادَ السكَّان

لقد بلغ عدد سكَّان **قسنطينة** قبيل الاحتلال الفرنسي ما بين **15000و 30.000 ألف نسمة**، والأرجع أنَّ عدد سكَّان كان **25000 ألف** عند احتلال المدينة[2].

لكن خلال الفترة الممتدَّة من **1837إلى 1848م** تراجع عدد سكَّان المدينة حيث قدَّر عددهم بعد سنة من الاحتلال أي سنة **1838 بحوالي 20.430 شخص**[3].

وتراجع السكَّان كان نتيجة لسقوط العديد من الضَّحايا أثناء مقاومتهم لاحتلال الفرنسي حيث قدَّر عددهم الرَّحالة الألماني "**غانز**" بما يزيد عن **خمسمائة شخص**[4]، إضافة إلى هجرة الكثير من السكَّان فور احتلال المدينة وبعد احتلالها، وكانت هذه الهجرة خاصَّة في أوساط القادة الدِّينيين والسِّياسيين[5]

أمَّا عدد أفراد الجالية الأوروبية في المدينة فكانوا بداية الاحتلال أي **سنة 1837** وذلك حسب "**سانت آرنو**" حيث ذكر أنَّ أفراد الجيش الفرنسي الذين تركوا بالمدينة، وبلغ عددهم

---

[1] كريمة بن حسين، الحياة السِّياسة في قسنطينة بين 1930– 1939م، المرجع السَّابق ، ص 9.

[2] المرجع نفسه، ص 11.

[3] Pagand bernande, o p. cit, p 198.

[4] أبو العيد دودو، المرجع السَّابق، ص 89.

[5] أبو قاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 4، المرجع السَّابق، ص 193.

3 آلاف شخص[1] وقد قدَّر عدد سكَّان كامل المقاطعة سنة **1846**م بحوالي **19.429 مسلمًا** أمَّا نسبة سكَّان المدينة[2] **64**٪ فقدَّر عدد السكَّان **12.271** نسمة أي **63**، أمَّا في سنة **1840**م فقد قدَّر عدد أفراد الجالية الأوروبيَّة بمدينة **قسنطينة** بحوالي **2000** شخص[3]

وبذلك فهذه المرحلة قد شهدت تراجع سكَّان المدينة لكن ليس بنسبة كبيرة نتيجة تواجد العديد من البرَّانيَّة على المدينة من المناطق المجاورة بعد استيلاء السُّلطات الفرنسيَّة على أراضيهم وإضافة إلى إرهاقهم بالضَّرائب[4]، أمَّا الأوروبيّين خلال هذه المرحلة فقد كانوا قليلي العدد نتيجة عدم استقرار الأوضاع من جراء المقاومة

أمَّا المرحلة الثَّانية الممتدَّة من **1848** إلى **1852**م فقد شهدت بداية هذه المرحلة تراجعًا في عدد السكَّان بحيث بلغ عددهم في سنة **1849** حوالي **9.434 نسمة**[5].

3- حركة السكَّان:

1/ الجدول التَّالي يبيِّن حركة المواليد والوفيات بمدينة **قسنطينة**، وقد تضاءل السكَّان المدينة بنسبة **2.55** ونلاحظ من خلال هذا الجدول ارتفاع نسبة الوفيات أكثر من المواليد:

المواليد				الوفيات			
السَّنة	ذكور	إناث	المجموع	رجال	نساء	أطفال	المجموع[6]
1848	365	312	677	319	267	649	1235
1849	430	381	811	606	478	773	1857

[1] فرانسوا مسبيروا، المرجع السَّابق، ص 116.

[2] صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السَّابق، ص 141.

[3] Kaddache Mahfoud, o p, cit, p 62.

[4] Pagand bernande, o p. cit, p 202.

[5] Idem, p 203.

[6] صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر، الحديث والمعاصر، المرجع السَّابق، ص 102.

1850	/	/	773	402	311	673	1386
1851	/	/	1119	338	308	733	1379

وبالتالي تراجع السكَّان الأهالي خلال هذه المرحلة كان نسبة كبيرة نتيجة غياب الرِّعاية الصِّحيَّة وانتشار الأمراض المعدية، أمَّا عدد الأوروبيين فقد ارتفع نتيجة سقوط عرش "**لويس فيلبيا**" **1848**م إضافة إلى تشجيع ضبَّاط المكاتب العربية لعمليَّة الاستيطان[1]

وخلال هذه المرحلة **الثَّالثة** الممتدَّة من **1852** إلى **1870**م عرف عدد السكَّان تراجعًا ملحوظًا بسبب غياب الرِّعاية الصحيَّة بحيث كانت نسبة الوفيات أكثر من نسبة المواليد بين سنتي **1862** إلى **1872**م والجدول التَّالي يُبيِّن ذلك:

السَّنة	الولادات		الوفيات		الحصر[2]	
	857	48%	908	50%	−51	2%
1862	697	39.2	878	49.3	−181	10.1
1863	611	34.6	1087	61.7	−476	27.1
1864	587	34.2	1112	64.9	−525	30.7
1865	540	32.5	1199	72.2	−659	39.7
المجموع	3292		5184	58.3%	−1892	12.6
المعدّل السَّنوي		37%		42.7		20.6%
1866	673	30.1	952	132	−279	
1867	635	28.8	1662	72	−2334	46.7

[1] الجيلالي صاري، الكارثة الدِّيمغرافيَّة 1867– 1868م، المؤسَّسة الوطنيَّة للاتِّصال والنَّشر والإشهار وحدة رويبة، الجزائر، 2008م، ص 105.

[2] المرجع نفسه، ص 131.

1868	439	21	2773	60.3	−834	111
1869	502	27	1336	78.3	−584	45
1870	542	29.3	1125	52.6	−861	31.5

وقد بلغ عدد سكَّان مدينة **قسنطينة** بحوالي **154.503** نسمة وذلك في سنة **1866**[1]، أمَّا عدد الأوروبِّيين فقد شهدت ارتفاعًا وكان عددهم أكثر من عدد الأهالي وفي سنة **1860** استحوذت الأقليَّة الأوروبيَّة على كامل الصَّخرة، وقدَّرت الكثافة السكَّانيَّة بـــ: **6000 نسمة** في الهكتار الواحد وتعدَّت في بعض الحالات **1026 نسمة** في الهكتار خاصَّة في **حي القصبة**[2].

أمَّا في سنة **1866م** فقد وقعت مجاعة بالمدينة وذلك حسب "**محمَّد الصَّالح العنتري**"[3]، حيث أدَّت هذه المجاعة إلى هلاك الكثير من السكَّان، والجدول التَّالي يبيِّن ذلك:

من 25 إلى 30 سبتمبر	**1985 نسمة**
من أول إلى 8 أكتوبر	**1167 نسمة**
من 9 إلى 15 أكتوبر	**867 نسمة**
من 16 إلى 22 أكتوبر	**544 نسمة**
من 23 إلى 29 أكتوبر	**453 نسمة**
من 30 إلى 5 نوفمبر	**518 نسمة**
من 6 إلى 12 نوفمبر	**183 نسمة**

[1] فركوس صالح، المكاتب العربيَّة في مقاطعة قسنطينة، رسالة دكتوراه في التَّاريخ المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، معهد العلوم الاجتماعيَّة، قسم التَّاريخ، 2001م، ص 190.

[2] Pagand bernande, o p. cit, p 211.

[3] محمَّد الصَّالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المرجع السَّابق، ص 54.

من 13 إلى 19 نوفمبر	**250 نسمة**
من 20 إلى 26 نوفمبر	**69 نسمة**
من 27 إلى 3 ديسمبر	**98 نسمة**
من 4 إلى 10 ديسمبر	**39 نسمة**[1]

من خلال الجدول نلاحظ أنَّ تعدُّد الضَّحايا في الشَّهر الأول أي **أكتوبر** كان مرتفعا لكن بعد ذلك شهد تراجعا ملحوظًا، ويعود ذلك إلى تظافر جهود الأهالي مع الفرنسيين لتجاوز هذه المحنة وهذا حسب شهادة "**محمَّد الصَّالح العنتري**"[2].

وأدَّت هذه المجاعة إلى توافد سكَّان الأرياف على المدينة إلى درجة أنَّ الطُّرقات امتلأت بهم، كما أدَّت إلى ارتفاع الأسعار وانتشار الجراد الذي أتلف المحصول إضافة إلى موت الماشية[3] إلى درجة أنَّ هذه المجاعة وصفت بالسَّوداء، كما شهدت هذه السَّنة **1866** توافد الأوروبيين على المدينة حيث بلغ عددهم حوالي **15561 نسمة**[4]، ولم يتأثَّر الأوروبيين بهذه المجاعة نتيجة ظروفهم الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة الحسنة، إضافة إلى الرِّعاية الصِّحيَّة التي كانوا يخطُّون بها.

أمَّا "**نوشي**" فنجده قد قدَّم تعداد للسكَّان المقاطعة في سنة **1866م** بحوالي **902763 نسمة**، وفي سنة **1869م** بحوالي **724689 نسمة** لاستنتاج عدد ضحايا الكارثة والذي

[1] صالح فركوس، إدارة المكاتب العربيَّة في مقاطعة قسنطينة، المرجع السَّابق، ص 189.

[2] محمَّد الصالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السَّابق، ص 60.

[3] المرجع نفسه، ص ص 56 – 57.

[4] حيمود رتيبة، الألغاز الشَّعبيَّة في مدينة قسنطينة، دراسة احصائيَّة تحليليَّة، رسالة ماجستير في الأدب، تخصُّص أدب شعبي، جامعة منتوري قسنطينة، 2006، 2005، ص 44.

قدَّر بـــ **178074 نسمة**، ومع أنَّه قد قدَّر عدد سكَّان المدينة بـــ: **1100.000 نسمة** سنة **1866م**[1].

وإضافة إلى المجاعة قد انتشرت لمدينة وباء "**الحمَّى الصَّفراء**" وقدِّرت حصيلة هذا الوباء في **قسنطينة** ب **1649** حالة وفاة من الأهالي[2].

وبذلك فقد عرفت هذه الفترة تراجعًا ملحوظًا في عدد السكَّان نتيجة للكوارث التي حلَّت بالمدينة كالأمراض والأوبئة، إضافة إلى القحط والمجاعة[3] حيث حلَّ **وباء الكوليرا** بالمدينة في **1867**، والمجاعة بين سنتي **1866** إلى **1868م**، **وباء الطَّاعون والعمي الصغراء** سنة **1869م** حيث حصدت هذه الأوبئة الكثير من الضَّحايا[4] إضافة إلى تدهور الأوضاع الاقتصاديَّة من جراء الاحتلال الذي عمل على القضاء الشَّبه كلِّي على البرجوازيَّة المحليَّة، والاستيلاء على الأملاك إلى جانب انحطاط الصِّناعات التَّقليديَّة والحرف وهو ما أدَّى إلى غلاء المعيشة[5].

ويمكن القول أنَّ هذه المرحلة قد عرفت تراجعًا ملحوظًا في عدد السكَّان الأهالي نتيجة تحسُّن أوضاعها المعاشيَّة والصحيَّة.

أمَّا المرحلة الأخيرة فتمتدُّ من **1870** إلى سنة **1887م**، وعرفت هذه المرحلة أيضا مواصلة في تراجع عدد السكَّان في البداية لكن بعدها عرف عددهم ارتفاعا لكن ليس بنسبة كبيرة وحيث سجَّلت هذه المرحلة توازن بين عدد السكَّان الأهالي، والأوروبِّيين وذلك بداية من سنة **1876م** والجدول التَّالي يبيِّن ذلك:

---

[1] الجيلالي صاري، الكارثة الديمغرافيَّة 1867– 1868م، المرجع السَّابق، ص 136.

[2] المرجع نفسه، ص 137.

[3] محمد الهادي لعروق ، المرجع السابق ، ص 119.

[4] المرجع نفسه، ص 120.

[5] محمَّد الصَّالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السَّابق، ص ص 45– 49.

السَّنوات	مسلمين	فرنسيين[1]
1871	17559	10989
1876	17900	17248
1881	21164	19864
1885	23510	21710

واستمرَّ الوضع خلال الفترة الممتدَّة من **1877 إلى 1878م** إلى ما هو عليه، ورغم انتشار المجاعة والجفاف فإنَّنا نلاحظ أنَّ تعدُّد السكَّان خلال هذه المرحلة لم يسجِّل تراجعًا وذلك بسبب توافد نسبة معتبرة من البرَّانيَّة الذين توافدوا على المدينة خلال السَّنوات الثَّانية **1870** م وبعدها من **1878** إلى **1888م**[2].

إضافة إلى ذلك نجد أنَّ نسبة الوفيات قد تراجعت بداية **1870م** مقارنة مع نسبة الولادات بالمدينة والجدول التَّالي يبيِّن ذلك:

السَّنة	الوفيات	الولادات
1870	819	1580
1871	843	1339
1872	1028	1722

ونلاحظ من خلال هذا الجدول تراجع نسبة الوفيات بسبب تحسن وضع الأهالي كما شهدت هذه المرحلة ارتفاعًا في نسبة المستوطنين الأوروبِّيين وذلك لسببين أولها تهجير

[1] Pagand bernande, o p. cit, p 213.
[2] Ibid , p .243

سكَّان الألزاس واللوريين[1] إلى **الجزائر**، إضافة إلى حصول يهود المدينة على الجنسيَّة الفرنسيَّة أمَّا الأهالي ورغم تراجع عددهم من جراء الأوبئة والأمراض فإنَّ ذلك لم يؤثِّر على عدد السكَّان نتيجة توافد البرَّانيَّة على المدينة وهو ما أدَّى إلى تحقيق توازن بين عدد السكَّان الأهالي والمستوطنين.**(أنظر الملحق رقم 18)**

4/ الهجرة:

عنصر من العناصر الرَّئيسيَّة للدِّراسة الدِّيمغرافيَّة المرتبطة بتغيُّر حجم السكَّان، وتغيُّر خصائصهم الدِّيمغرافيَّة والاجتماعيَّة، تحقَّقت الهجرة على أساس عوامل الطَّرد من الأرياف نتيجة الحرب إبَّان الاحتلال **(أنظر الملحق رقم 19)** ومن هنا كانت الهجرة عنصر هامًّا وفعَّالًا في نمو سكَّان المدن الجزائريَّة والتي استعملتها الإدارة الفرنسيَّة في تطبيق سياستها واحتواء المجتمع الجزائري والقضاء عليه، وبذلك تتمكَّن من تحقيق أهدافها الاستعماريَّة ومن هنا يبرز دور الجالية الأوروبيَّة في **قسنطينة**[2].

أ ـــــ الهجرات الأوروبيَّة:

1- تتمثَّل في الجالية الأوروبيَّة التي تدعم التَّواجد العسكري ضدَّ أي حركة مناهضة لاستعمار **(المقاومة الشَّعبيَّة)**

2- أنَّها تكون مصدرًا لتزويد الإدارة الاستعماريَّة بالموظَّفين[3].

3- أنَّها تشرف بالكفاءة الفنيَّة على تحضير المواد الأوَّليَّة قصد ارسالها إلى فرنسا ثمَّ أوروبَّا والجالية الأوروبيَّة بحكم ارتباطها بالسُّوق الفرنسيَّة هي وحدها التي تستطيع أن

[1] Pagand bernande, o p. cit , p 244.

[2] محمَّد الهادي لعروق، المرجع السَّابق، ص 126.

[3] سعيدي مزيان، النَّشاط التبشيري للكاردينال لافجيري في الجزائر 1867- 1892م، ط 1، دار الشروق للطِّباعة، 2009، الجزائر، ص ص 112- 113.

تغيِّر هدف الفلاحة الجزائريَّة التي بقيت حتى الوقت فلاحة لاكتفاء الذَّاتي المحلِّي بالدّرجة الأولى بحيث تجعلها تخدم السُّوق الفرنسيَّة، بإدخال مزروعات تحتاجها هذه السُّوق بعبارة أخرى فإنَّ الأوروبِّيين هم الذين يعملون على تحقيق تقسيم العمل الدوَّلي الاستغلالي.

4- وجود الجالية الأوروبيَّة في **قسنطينة** يعني خلق وسيط بين المنتجات الصِّناعيَّة الفرنسيَّة الحديثة والتَّعب القسنطيني الذي مازال يعتمد على صناعة يدويَّة.

لذلك حاولت السُّلطات الفرنسيَّة الاستعماريَّة زرع فئة اجتماعيَّة أوروبيَّة يكون لها تأثير على المجتمع المحلِّي وذلك ما عبَّر عنه قادة الاحتلال منذ البداية حيث قال **الجنرال** " **كلوزيل**" [1] **<<عليكم أن تعلموا أيضًا أنَّ هذه القوَّة العسكريَّة ما هي إلا وسيلة ثانويَّة وذلك لأنَّه لا يمكن أن تغرس العروق هنا إلا بواسطة الهجرة الأوروبيَّة فقط>>**[2]، وقد نشطت حركة الاستيطان بداية من سنة **1840** و **1847م** مع تراجع المقاومة الشَّعبيَّة وعمل القادة العسكريين على تقديم الدَّعم المالي والمعنوي للمعمِّرين[3] وبعدما تمَّ اصدار قوانين لدعم الحركة الاستيطان خاصَّة من **فرنسا** وذلك بتهجير المجرمين والمعارضين السِّياسيين وقد بدأت بوادر هذه السِّياسة في سنة **1848م** حيث تمَّت عمليَّة نقل العمَّال الجمهوريين المهزومين وفي **20 مارس 1952م** حيث صدر قانون[4] يسمح للمثقَّفين الذين عارضوا الانقلاب في **ديسمبر 1852م** وبإنشاء مراكز للاستغلال الزِّراعي[5].

---

[1] سعيدي مزيان، النَّشاط التبشيري للكاردينال لافجيري في الجزائر 1867- 1892م، المرجع السَّابق، ص 115.

[2] صالح عباد، المعمِّرون والسِّياسة الفرنسيَّة بالجزائر 1880- 1900، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1984، ص 74.

[3] بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربريَّة، المرجع السَّابق، ص 120.

[4] قدُّورة زهيَّة، تاريخ العرب الحديث، دار النَّهضة العربيَّة، بيروت، 1975، ص 508.

[5] خرشي جمال، الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر، تر: عبد السَّلام عزيزي، تق: مصطفى ماضي، دار القصبة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 2009، ص 188.

أما المهاجرين من الخارج إلى المدينة بلغ عددهم **4733** شخصًا، أغلبهم من **تونس** لحوالي **2358 شخصًا** حوالي **49.8** من جهلة المهاجرين وقد استقرَّ معظمهم من أجل الكسب المادِّي ولهذا فإنَّ أغلبهم يشغل بالأعمال الحرَّة والتِّجارة ويقوم عامل قرب المسافة حوالي **230 كلم** مهاجر من البلاد العربيَّة واستثناء **تونس** حوالي **4.3** ومعظم من الذين جاؤوا للمدينة بقصد التَّعاون الثَّقافي والفنِّي[1].

ونتيجة تزايد عدد السكَّان في مدينة **قسنطينة** وتدنِّي المستوى الصِّحي بسبب اهمال السُّلطات لصحَّة الأهالي، ظهرت عدَّة مجاعات حادَّة تركت أثارها السَّيِّئة على سكَّان **قسنطينة** ومن أهم هذه الآثار التي خلفتها انتشار الأوبئة الفتَّاكة مثل: **الكوليرا والتِّيفيس وغيرها** وضياع الثَّروات المدخِّرة وبيع العقَّارات والأراضي تحت ضغوط مختلفة التي أحاطت بهم، ومنها الدُّيون التي تراكمت عليهم من الضَّرائب العقاريَّة غير المدفوعة، وفوائد القروض الريبويَّة التي كانوا يلجؤون إلى أخذها من البنوك[2] ومن هذه الأزمات: أزمة **1838م** وفيها وقع قحط شديد أضرَّ بسكَّان **قسنطينة**، وبأهل أعمالها خاصَّة الجهة الجنوبيَّة وقد ذُكر أنَّ سبب هذه الأزمة تنحصر فيما يلي:

– حدوث جائحة في سنة **1838م** أصابت الزَّرع وأتلفتها.

– عزوف الفلَّاحين عن حرث الأرض بسبب الفتن والأهوال باعتداء بعض الأعراش على بعضهم البعض نتيجة البلبلة التي تركها الاحتلال الفرنسي لعاصمة الشَّرق الجزائري **قسنطينة.**

– كثرة الأمطار التي نزلت في هذه السَّنة، وكثرة الثُّلوج التي تساقت على المنطقة طيلة فصل الشِّتاء، مما حال دون القيام بالفلاحة.

---

[1] محمَّد الهادي العروق، المرجع السَّابق، ص 137.

[2] صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المرجع السابق ، ص 45.

وقد نتج عن ذلك ارتفاع في أسعار الحبوب **(القمح والشَّعير)** وغلاء في المواد الاستهلاكيَّة العامَّة مثل: **اللَّحم والسَّمن** حتَّى بلغ سعر الصاع من البربر حسب البلد ما بين **80 و90 فرنك فرنسي**[1].

– وضع السكَّان أملاكهم وعقَّاراتهم تحت تأثير الحاجَّة إلى النُّقود بما كانوا يقدِّمون عليه من ابرام عقود ريبويَّة تحت أسماء مختلفة.

– **أزمة 1847م:** في هذه السَّنة أجدبت ونواحيها بقحط شديد استمرَّ **ثلاث** سنوات متتالية من سنة **1847م** إلى سنة **1850م** بسبب احتياج أسراب الجراد الذي أتى على الأخضر واليابس فأتلف المزارع والأشجار المثمرة، ويعلق "**صالح العنتري**" على أنَّ السلطات الفرنسيَّة جلبت الحبوب من كل الجهات وكانت توزِّعها على السكَّان المحتاجين عن طريق المكاتب العربيَّة، وشكر السُّلطة الفرنسيَّة على هذا العمل وقد ذكر بأنَّ ذلك سبب في تحسين أحوال النَّاس ونزلت أسعار السِّلع[2].

– أزمة 1866 – 1868:

وكان سبب الأزمة هو حدوث جوائح التي نزلت بالزَّرع والنَّباتات وأتلفتها، وانتشار مرض "**الرحمة**" سنة **1867م** الذي أهلك المواشي بسبب قلَّة علفها في فصل الشِّتاء، والسَّبب الثَّالث اجتياح الجراد سنة **1868م** واتلاف الزَّرع ومن نتائج ذلك:

– انعدام الحبوب في الأسواق

– ارتفاع أسعار الحبوب، ارتفاع فاحش في الأسواق طيلة 3 سنوات.

[1] صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المرجع السابق ، ص 47.

[2] المرجع نفسه، ص 51.

- ضياع الأملاك من أصحابها والثَّروات وتركتهم فقراء[1].

يقول أحد "الأطبَّاء" إنَّ الأمراض المعدية هي السَّبب الرَّئيسي في التَّركيبة السَّيِّئة للعرب" وتمَّ ترتيب الأمراض خلال هذه المرحلة من طرف الأطباء فصنِّفت الأمراض إلى **حمَّى** وعدوى إضافة **الملاريا، البرونشتي، الإسهال والتهاب الكبد** إضافة إلى الجذري الذي يعدُّ سببًا في وفاة الأطفال لذلك أصبح ضبَّاط المكاتب العربيَّة يعالجونه بالتَّلقيح ما بين **1848- 1849**.

ثالثًا: أهداف السِّياسة الفرنسيَّة في الميدان الاجتماعي:

1- تغيير البنية الاجتماعيَّة والمهنيَّة:

تعدُّ الحرف من الوجهات الأساسيَّة للاقتصاد الحضري، وقد تميَّزت مدينة **قسنطينة** بنشاطها الحرفي لذلك اكتسبت سمعة ومكانة مرموقة في هذا المجال، ولكن بعد الاحتلال تغيَّرت المعطيات، كانت الحرف منتشرة قبل الاحتلال الفرنسي للمدينة لكنَّها بعد الاحتلال عرفت نوعًا من التَّراجع من جراء ذلك[2] من خلال عمليات الهدم التي تعرَّضت لها الأحياء القديمة وبالتَّالي القضاء على المحلات والورشات إضافة إلى منافسة المنتوجات الصِّناعيَّة الأوروبيَّة الحديثة أدَّى ذلك إلى تفشِّي ظاهرة البطالة داخل المجتمع[3]، وتمَّت عمليَّة احصاء للحرف المنتشرة بالمدينة في سنة **1840م**، والمقدرة بـــ **70** حرفة وبذلك تراجع عدد الحرف بالمدينة.

ومن أشهر هذه الحرف نجد: **الحزازين، الدَّباغين، السرَّاجين وحسب احصاءات 1840م قدِّر عدد الدبَّاغين بقسنطينة بـــ450** حرفيًّا في حين قدِّر عدد الورشات بـــ**314**

[1] محمَّد صالح العنتري، المصدر السابق، ص51.

[2] أبو قاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 4، المرجع السَّابق، ص 118.

[3] محمَّد الهادي لعروق، المرجع السَّابق، ص 86.

ورشة، أمَّا عدد التُّجار فقدر بـــ**63** تاجرا وكان يسيطر على هذه المهنة قبل الاحتلال اليهود وبعد الاحتلال برزت فئة جديدة اشتغلَّت بهذا المجال وهم الأوروبيين ومن المهن أيضا التي كانت موجودة قبل الاحتلال[1] هي الصَّبَّايحيَّة وهذه الحرفة مشكلة من بقايا الأتراك والكراغلة الذين انضمُّوا إلى جيش الاحتلال بعد ثلاثة سنوات فقط وقدَّر عددهم بـــ**46 شابًّا، 18 صبايحيَّة و7 سبايسيَّة و7 جدامي و3 سرجان** وبذلك فمدينة **قسنطينة** عند استيلاء جيش الاحتلال عليها كانت تضمُّ صناعات تقليديَّة حرفيَّة بسيطة موزَّعة على المسلمين واليهود[2] وبعد الاحتلال تراجعت هذه الحرف نتيجة للسِّياسة الاستعماريَّة التي عملت على الحد منها، حتَّى التُّجار الذين سمح لهم بمزاولة مهنتهم كان بهدف تزويد الجيش بما يحتاج إليه.

2/ القضاء على عادات وتقاليد المجتمع القسنطيني:

تعتبر العادات والتَّقاليد في المجتمعات من الرَّكائز الأساسيَّة التي تميِّزها عن بعضها البعض، وهي من المعايير الرَّئيسيَّة في تحديد مدى تمسُّك أي مجتمع بهويَّته، والجزائريون رغم ما حدث لهم عبر مختلف الأزمنة من توافد شعوب كثيرة سواء بالغزو أو بالهجرة، كل هذه الشُّعوب شكَّلت وعاءً حضاريًّا على وجوده في مناطق أخرى[3] باعتبار مدينة **قسنطينة** ذات موقع استراتيجي رغم وقوعها على الصَّخرة لأن كثير من الدَّارسين يقولون بأن **قسنطينة** لم تكن لولا أهميَّة موقعها هذا الموقع المميَّز جعل المدينة محطة للزَّائرين والمقيمين وبالتَّالي كثرت وتنوَّعت العادات والتَّقاليد حسب الطَّوائف الموجودة.

---

[1] قشِّي فاطمة الزَّهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع، المرجع السَّابق، ص 90.

[2] المرجع نفسه، ص 268.

[3] دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، سحب الطِّباعة الشَّعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 93.

حافظ المجتمع القسنطيني على خصوصيَّته وتفرُّده وعدم الذَّوبان في مجتمع دخيل، ولم يغيِّر من عاداته وتقاليده وتفكيره خلال هذه الحقبة الاستعماريَّة، بل كان محافظًا حريصًا على الاستمراريَّة وعدم الذَّوبان في المجتمع الاستيطاني الضَّاغط عليه[1]، ممَّا أدَّى إلى تعقُّد الحياة الاقتصاديَّة التي أصبحت الشُّغل الشَّاغل لغالبيَّة الأهالي وهي البحث عن لقمة العيش مهما كانت الظُّروف. ولذا كان التَّفكير في كيفيَّة الخروج من هده الدَّائرة وإيجاد بدائل للنِّسيان ولو كان ذلك مؤقَّتا، ومن هنا كانت المناسبات هي المخرج الوحيد لآلاف العائلات، فرغم الحالة المزرية التي عاشتها معظم العائلات القسنطينيَّة خاصة بعد **الحرب ع1** بسبب كثرة الأزمات من جفاف وقحط وغلاء المعيشة كان لها تأثير، ولكن الجزائريين تحدُّوا هذه الصِّعاب وأقاموا الأفراح، وقيل افتعلوا الأفراح حتى يثبتوا للمستعمر بأنَّ هذا الشَّعب لا يموت[2].

من بين العادات والتَّقاليد التي كانت رائجة قبل وأثناء الاحتلال الفرنسي في مدينة **قسنطينة** نذكر:

أ- الأعياد الدينية والمواسم المختلفة:

تمسُّك الأهالي بكل ما هو مرتبط بدينهم لأنَّه الوحيد الذي يمنح لهم القوَّة والصَّبر وحبُّ الحياة والعمل الصَّالح للآخرة، ولكل الشُّعوب مواسمها وأعيادها التي ترمز إلى شخصيتها وتعبِّر عن وجودها[3]، ولذلك احتفظ السكَّان بهذه الأعياد والمواسم، حتى يبقى مرتبطًا بتاريخه ومتمسِّكًا بدينه، وهي في آن واحد عبارة عن مقاومة الاستعمار بدون عنف وهي مقاومة إيجابيَّة حافظت إلى حد كبير على الشَّخصيَّة العربيَّة الإسلاميَّة، وكانت بمثابة الواقي من الذَّوبان في الحضارة الوافدة كالمجتمع الأهلي في **قسنطينة** حافظ على

[1] دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، المرجع نفسه، ص 94.

[2] فندلين شلوصر ، المصدر السابق ، ص ص 95-96.

[3] ايفون تيران، المرجع السَّابق، ص 283.

هذه الأعياد الدِّينيَّة التي ورثها على الأجداد والتي أقرها الشَّرع الإسلامي وبعض العادات الموروثة، فجريدة النَّجاح كانت دائما تواكب هذه المناسبات والأعياد، فكلما حلَّ شهر **رمضان** أو **عيد الفطر** ثم **عيد الأضحى** أو **المولد النبوي الشَّريف (التي أصبحت أعيادًا رسميَّة مدفوعة الأجر)** تعلن عن قدوم شهر **رمضان** فهذا "**المولود بن الصديق الحافظي**" المختص في علم الفلك يذكر النَّاس بحلول **رمضان** ويوضِّح كيفيَّة رؤية هلال **رمضان**[1]، كما كتب **مامي** مقالاً حول **رمضان** مذكر المدمنين على الخمر الذين يمتنعون عن تناوله في رمضان لكن يقبلون على لعب القمار، فوضَّح لهم أنَّ القمار والخمر من عمل الشَّيطان ولا فرق بينهما كما نشرت مقالا "**لعبد الحميد بن باديس**" بعنوان "**جمعيَّة العلماء المسلمين**" ومسألة الصَّوم والإفطار، الجمعيَّة مرشدة ولا منقذة، بيَّن فيه فضائل الصَّوم على المسلمين وأحكامه، ومبرِّرات الإفطار عند الضُّرورة[2].

وكذلك أثناء عيدي **الفطر(عيد الصغير) والأضحى (عيد الكبير)** بحيث يتمُّ إحيائها بمواكب من الموسيقى التي تجوب شوارع المدينة برفقة الأطفال الذين يلبسون أحلى الألبسة[3]، وهذه الأعياد هي مناسبة للفرح والزِّينة والأكل وهي أيضا مناسبة لتبادل الزِّيارات بحيث تجتمع العائلة الكبيرة وهي مناسبة للقاء بين الرِّجال والنِّساء للتَّواصل ونبذ أي خلافات وهي مناسبة للتَّصالح، والأخوَّة والتَّآزر وتقديم الصَّدقات للفقراء وزيارة المقابر للتَّرحم على الأموات[4].

---

[1] ايفون تيران، المرجع السَّابق، ص 284.

[2] مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج3، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 80.

[3] المرجع نفسه ، ص 82.

[4] قماش زينب، المجتمعات السكنية الحضرية بمدينة قسنطينة واقعها ومتطلباتها تخطيطها، رسالة ماجستير، تخصص علم الاجتماع الحضري، جامعة منتوري قسنطينة، 2008، ص 40.

وبعد **عيدي الفطر والأضحى** يأتي يوم **عاشوراء** ومن بعده **المولد النَّبوي الشَّريف** وتقام الحفلات الدِّينيَّة من تنظيم الجمعيات الدِّينيَّة والخيريَّة وتقام في المساجد بين صلاة المغرب والعشاء بدروس الوعظ والإرشاد وتذكير النَّاس بفضائل الإسلام.

بالإضافة إلى هذه الأعياد الدِّينيَّة وجدت مناسبات أخرى جعلها الأهالي أعيادا يحتفلون بها ويربطوها بمعتقدات قديمة كرأس السَّنة البربريَّة كما تسمى يناير **(جانفي)**، ويحتفل به **يوم 12 جانفي** من كل سنة وتقام الولائم في المنازل من ذبح لبعض أصناف الطُّيور **(الديك)** رمز الخصوبة والخير **(الموسم الفلاحي)** ثم **عيد الربيع** الذي يرمز للتَّكاثر فيخرج النَّاس إلى الحقول للرَّاحة والتَّمتُّع بتلك المناظر الرَّائعة والتي مازال القسنطينيون يحيونها في الضَّواحي كلَّما حلَّ الرَّبيع[1].

ب- الزَّواج وختان الأطفال:

الزَّواج الذي يعتبر استجابة ضرورية لاستمرارية الحياة وضرورة بيولوجية ووقاية أخلاقية وشرعية للفرد حتى يتجنب المعاصي ويحافظ المجتمع على تماسكه الأخلاقي والعرفي، ولذا فمعظم العائلات تسعى إلى إتمام هذا الركن في أسرع وقت ممكن حتى تجنب أبناءها وبناتها تداعيات هي في غنى عنها، فكثير من العائلات خاصة الفقيرة ورغم هذا الفقر فإنها اقترضت بعض الأموال، والبعض الآخر وجد في المحسنين مساعدة ومنفذا لإتمام هذا الركن المقدس، وأيضا جرت العادة عند السكان في مثل هذه المناسبات، الجيران والأصدقاء وأغنياء البلد يقدمون مساعدات على شكل هبات **(قضيان)** من مختلف المواد الغذائية واللحوم وحتى بعض الأموال، وفي هذا

[1] قماش زينب، المجتمعات السكنية الحضرية بمدينة قسنطينة واقعها ومتطلباتها تخطيطها، المرجع السابق، ص 52.

الخصوص يذكر عبد الحفيظ بن الهاشمي بضرورة التآزر والتكاتف في كل المناسبات خاصة في تقديم المساعدات للمقبلين على الزواج [1].

وكانت جل المراسيم تتم بالطريقة الجزائرية التي يشوبها في بعض الحالات الطريقة التقليدية المتعصبة إذ غالبا ما تسمى البنت وهي صغيرة إلى أفراد العائلة، ولا رأي لها في الزَّواج وكانت تعاني من آثار هذه الطَّريقة [2]، فالأب هو العنصر الفاعل في الأسرة والمنظِّم لحياة أبنائه وبناته فالعادة جرت أن لا تناقش أوامر ونواهي الأب، وأن الأولاد الذُّكور بعد **الزَّواج** لا يستقلُّون بمنازل منفردة بل يعيشون في منزل الأب ممَّا جعل الأسرة الأهليَّة أسر واسعة تضمُّ من الأجداد إلى الأحفاد [3].

ولقد حاول الاحتلال الفرنسي القضاء على عادات وتقاليد المجتمع الجزائري لأن ذلك سيسهِّل مهمَّة احتواء هذا المجتمع وإدماجه، وبذلك تحقق أهدافها المتمثِّل في قطع علاقة هذا المجتمع بماضيه وعاداته وتقاليد أجداده.

وعمل الفرنسيون على محاولة إفساد أخلاق الجزائريين، ففتحوا الحانات في الأحياء الإسلاميَّة وحاولوا استقطاب الشَّباب المسلمين إليها وأقاموا السينما التي كانت تقصدها العائلات المسلمة وعرضوا فيها الأفلام والأغاني ذات اللُّغة العربيَّة لإفساد الأسرة المسلمة التي مازالت متمسِّكة بالتَّقاليد الاسلاميَّة[4]، وكان بمدينة **قسنطينة 6 مسارح وقاعة** للعروض السِّينمائيَّة يقعان في الصَّخرة لأنَّها مركز للإشعاع الثَّقافي خلال الفترة الاستعماريَّة والعروض السينمائيَّة كانت متنوِّعة[5].

---

[1] حيمود رتيبة، المرجع السَّابق، ص 55.

[2] المرجع نفسه، ص 56.

[3] الهادي لعروق، المرجع السَّابق، ص87.

[4] المرجع نفسه، ص 89.

[5] Pagand, Bernard, op, cit, p 123.

كما حاول الاستعمار الفرنسي إفساد المرأة التي كانت متعلقة قبل الاحتلال ومتمسّكة بشخصيَّتها الإسلاميَّة، وذلك عن طريق فتح المدارس للبنات المسلمات وجعلوهم الأكبر إفساد عقائدهن، وتحقير الإسلام واللُّغة العربيَّة وتجلَّى ذلك من خلال البرامج التَّعليميَّة، وتمَّت عمليَّة التَّركيز على المرأة لأنَّها الخليَّة الأساسيَّة التَّعليميَّة للأسرة والمجتمع على حد سواء لذلك استهدفتها المخطَّطات الاستعماريَّة[1]، إضافة إلى ذلك عمل الاستعمار الفرنسي على تشجيع الطَّريقيَّة داخل المجتمع القسنطيني، الذي كان متدنِّيًا جدًّا قبل الاحتلال الفرنسي.

ولوحظ بعد الاحتلال ارتفاع نسبة أتباع الطُّرق الصُّوفيَّة ففي سنة **1845** قدر أتباع الصُّوفيَّة بـــ**20 ألف صوفي**، وارتفعوا بعد ذلك إلى **500 ألف صوفي**[2].

ورغم محاولات الاحتلال القضاء على العادات وتقاليد القسنطينيين إلا أنَّهم حافظوا وذلك حسب شهادة الرَّحالة "**فون مالتسان**" الذي زار المدينة **سنة 1862م** وتحدَّث عن عادات سكَّان المنطقة في شهر **رمضان** ووصف تمسُّك سكَّان المنطقة بالإسلام. ورغم كل محاولات التَّسوية للعقيدة الإسلاميَّة حيث يقول أنَّه ناقش السكَّان فيما يخصُّ شهر رمضان قائلًا كثيرا ما ناقشت المسلمين في تناقض بينهم فيما يتعلق بصيام، ولم أتمكَّن أبدًا من إقناع أي مسلم بالاعتراف بوجود تناقض من هذا النَّوع[3].

إن الاحتلال الفرنسي حاول إفساد أخلاق المسلمين وإبعادهم عن عاداتهم وتقاليدهم لكن السكَّان ظلُّوا محافظين على عادات آبائهم وأجدادهم لأنَّها تمثِّل شخصيتهم الوطنيَّة .

---

[1] Pagand, Bernard, op, cit, p 124.

[2] Idem, p 128.

[3] هانيريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال إفريقيا، تر: أبو العيد دودو، ج3، ط1، دن ت، الجزائر، 2008، ص50.

رابعا: مقارنة تطورات الوضع الاجتماعي بين الفترة العثمانية والفترة الفرنسية

– شهد الوضع الاجتماعي عدة تطوُّرات بين نهاية فترة الحكم العثماني والمرحلة الأولى للاحتلال الفرنسي لمدينة **قسنطينة** ومن أهم هذه التَّطُّورات ما يلي:

– إذا كانت فئة الأتراك هي التي كانت تستأثر بالمناصب السِّياديَّة في الحكم فإن هذه الفئة اختفت بظهور الفرنسيين أما عن طريق الهجرة إلى الخارج، أو اندسَّت في أوساط المُجتمع ولم يصبح لها ظهور لا على المستوى السُّلطوي ولا على المستوى الفاعليَّة في المُجتمع، لأنَّ تهديد الفرنسي أصبح يخوِّفها وكذلك ما جرى لفئة **الكراغلة** الذين كانوا في أغلبهم مهمَّشين فزادهم ظهور الفرنسيين في المنطقة تهميشًا، وبهذا أصبحت فئة الفرنسيين هي سيدة السُّلطة وانتقلت وراثة المناصب والأوامر من العثمانيين إلى الفرنسيين وبذلك لم تطالب هذه الفئة بموروثها المادِّي والمعنوي، ولم تصبح صاحبة السِّيادة في الأوامر وفي امتلاك الأراضي والمحلَّات والامتيازات التي كانت تحض بها بسبب مصادرة السُّلطة الفرنسيَّة لأراضي **البايليك** وكل ما كان بحوزة هؤلاء. وعليه أصبحت **فرنسا** وريثة السُّلطة والمال والأملاك على السُّلطة العثمانيَّة.

– حافظ الكثير من الأجواد على مناصبهم ومراتبهم مباشرة بعد الاعتراف بسلطة **فرنسا** على المنطقة واستمر هؤلاء يدفعون المستلزمات من الضَّرائب والرُّسوم التي كانت في الفترة العثمانيَّة إلى السُّلطة الفرنسيَّة. وهنا تجدر الإشارة إلى أن السُّلطة الفرنسيَّة اشترت ضمائر هؤلاء وثبَّتتهم في مناصبهم لتنشئ نوع من الثِّقة بينها وبين هؤلاء ولتثبت لهم فعلا أنَّها جاءت للقضاء على السُّلطة العثمانيَّة الخصيمة معها. وفي هذا الإطار راحت السُّلطة الفرنسيَّة تبني هيئات مرافقة للسُّلطة المحليَّة من الضُّباط العسكريين والمهاجرين المستوطنين الجدد في **قسنطينة** والاستعانة بالمكاتب العربيَّة الفرنسيَّة التي أصبحت العيون السَّاهرة للمراقبة ولتنفيذ مشاريعها الاستيطانيَّة شيئًا فشيئًا .

وبذلك أدخلت فئة من الجزائريين الذين كانوا في أشدِّ الحاجة إلى من يأخذ بيدِّهم بسبب الفقر والجوع الذي شهدته منطقة **قسنطينة**.

– أمَّا على مستوى الأرياف والقبائل العتيدة مثل **أولا مقران** وحتى **أولا بن قانة** فإنَّهم أعلنوا الولاء للسُّلطة الفرنسيَّة وكأن **فرنسا** أبعدت عليهم العدو الذين كانوا في صراع معه لدرح من الزَّمن. وبذلك استطاعت **فرنسا** أن تتوغَّل وتتغول على المناطق التي حصلت عليها واتَّخذت تنشأ سلطتها تحت رقابة الضبَّاط الفرنسيين والمتعاونين معها.

– أن مدينة **قسنطينة** شهدت توسُّعات مباشرة بعدما وطئت أقدام الفرنسيين المدينة مثل: **شق الطُّرق، إنشاء السَّاحات العموميَّة والحدائق العامَّة والمنشآت الإداريَّة،** كل ذلك على حساب المحلَّات والبنايات المتواجدة في كثير من الأحيان تحت طائلة المنفعة العامَّة.

– بالنسبة للفئات الاجتماعيَّة شهدت تطوُّر وتغيّر بشكل كبير، ففئة الأتراك عوَّضت بفئة الفرنسيين المتوافدين باستمرار، أما فئة الجزائريين فزادت أوضاعهم سوء وتنازل في مستوى المعيشة بسبب ما طرأ على قسنطينة من تضييق وضياع معظم أملاكهم ومناصبهم وانتشار المجاعات والبطالة وهي سياسيَّة مدروسة وهادفة لتحقيق الفعل الاستيطاني.

– ظهور الاستيطان الفرنسي في **قسنطينة** شهد ظهور المدرسة الحديثة على النَّمط الأوروبي والأساليب التَّعليميَّة الأوروبيَّة، غير أنَّ ذلك لم يكن فعلاً وأنَّ عدد الفرنسيين الذين كانوا يتمدرسون بقي ضعيفًا بسبب قلَّة التَّلاميذ، أمَّا أبناء **الجزائر** فالكثير قاطعوا المدرسة الفرنسيَّة.

– لقد تأثَّرت الفئات الاجتماعيَّة في مستوى معيشتها في الفترة العثمانيَّة، باجتماع جملة من العوامل الطَّبيعيَّة **(الجفاف، انتشار أسراب الجراد وانتشار الأوبئة الفتَّاكة)** تمرُّد القبائل وانتشرت البطالة وعزف النَّاس عن ممارسة مهنهم. ذلك كله استمرَّ بأكثر حدَّة في الفترة

الفرنسيَّة فهجرت قبائل مضاربها وابتعدت عن هول الاستعمار وأعماله التَّعسفيَّة وأصبح الفرد الجزائري لقمة سائغة أمام استعمار لا يرحم ولا يهمُّه سوى مصالحه الاستغلاليَّة لتجسيد الاستيطان واستغلال العنصر الطَّبيعي والبشري حيث جاءت سنة **1867-1868** نسبة المجاعة التي أهلكت الكثير من الأفراد ودخلت المدن والأرياف من ساكنها أمام سياسة استعماريَّة استغلاليَّة لا ترحم .

- أن فئة الفرنسيين والأوربيين الوافدين إلى **قسنطينة** والمستقرِّين بها، كان أول استقرارهم في المدن الكبرى والسَّكنات التي كانت في يد السُّلطة العثمانيَّة، وكأنَّها حقًّا الوريثة الشَّرعيَّة للسُّلطة العثمانيَّة، ثم بدأت تنتشر أين تتواجد المراكز العسكريَّة لتكون في مأمن من أي هجوم أو مباغتة من طرف السكَّان، وهذا ما استدعى بعد فترة من امتلاك الأراضي التي وزَّعتها عليهم السُّلطة بطريقة وأخرى وأصبحوا يشيِّدون القرى الاستيطانيَّة التي تحوَّلت بعد ذلك إلى مدن ذات الطَّابع الكولونيالي الاستيطاني.

- ويجري "**محمد الصالح العنتري**" مقارنة بين الفترة العثمانيَّة والفترة الفرنسيَّة فيما يخصُّ ارتفاع الأسعار، ومدى القوَّة الشِّرائيَّة للنُّقود فذكر أنَّ الإنسان الذي لم يدرك العصر التُّركي. ولم يشاهد نشاطه الاقتصادي وما يتَّصل به من أمور المعاش والكسوة والكسب ورخاء الأسعار، وسمع ما روى عنها في ذلك، يتسرَّب إليه الشكُّ ويسارع إلى الطَّلب مع إن ذلك حقيقة واقفة يشهد لها بالصحة رواتها الكثيرون[1].

وقد استشهد على ذلك براتب الرجل العسكري في تلك الفترة، وقارنه بما كان عليه الأمر في الفترة الفرنسيَّة فقال: «**إنَّ الرَّجل العسكري في الفترة التُّركيَّة كان له راتب سنوي يأخذه من باشا الجزائر، وقدره مائة ريال جزائري وكان يكفيه لشراء ما يلزمه من قمح وسمن وخليع وزيت وكسوة وكراء مسكن وغير ذلك، وربما ادَّخر من ذلك شيئا إن**

[1] محمد الصالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السَّابق، ص 13.

كان يحسن الاقتصاد، وكان الرجل الموظف في الفترة التُّركيَّة يقضي حاجات كثيرة بعدد قليل من النُّقود كمائة ريال مثلا. أما في الفترة الفرنسيَّة فقد ارتفعت الأسعار كثيرا، وصارت القوَّة الشِّرائيَّة لمائة ريال تركيَّة لا تعادلها مائة فرنك فرنسيَّة وإنَّما يعادلها ألف فرنك. وفي هذا دليل على ارتفاع الأسعار وغلائها في زماننا هذا يعني سنة 1870م. وبصورة مفرطة في سائر الأشياء [1].

[1] محمد الصالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق ، ص 14.

الخلاصة :

من خلال ما تمَّ عرضه في الفصل الثَّاني نستنتج أنَّ الخطط الاستعماريَّة المتمثِّلة في تشجيع حركة الاستيطان الأوروبيَّة نحو مدينة **قسنطينة** فزاد في تمايزها، وخاصَّة بين المستوطنين الأوروبيين الجدد والسكَّان الأصليين **(الأهالي)**، وهذا التَّزايد للأجانب الفرنسيين كان سببه في تشجيع الهجرة الأوروبيَّة نحو المدينة من أجل خلق الفارق البشري حتى يتمكَّنوا من بسط سيطرتهم على المدينة وبهذا فإنَّها شهدت حركة سكَّانيَّة كبيرة أدَّت إلى ارتفاع الولادات مقابل نقص الوفيات، وأصبحت المدينة مكتظَّة بالسكَّان والأكيد أن البطالة ستزداد ومعاناة الجزائريين من سوء التَّغذية والفقر وكثرة الأمراض وقلَّة الخدمات الصحيَّة بسبب إهمال السُّلطات لصحَّة الأهالي، وإذا ذهبنا إلى العائلات والأعيان نجد أن البعض اندمج مع الاستعمار من خلال توليتهم المناصب في الإدارة الاستعماريَّة ويمكن اعتبار العادات والتَّقاليد معيار أساسي لإثبات هويَّة البلد فكانت المناسبات هي المخرج الوحيد للأهالي من أفراح وأعياد دينيَّة. وأخيرا مقارنة تطوُّرات الوضع الاجتماعي بين الفترة العثمانيَّة والفترة الفرنسيَّة إذ نجد أنَّ في فترة الحكم العثماني كان الحكم لصالحهم وبعد مجيئ الفرنسيين اختفوا بسبب التهميش و مصادرة أملاكهم .

خاتمة

بعد دراستنا لهذا الموضوع الذي بين أيدينا والمتمثّل في التَّطوُّر العمراني والاجتماعي لمدينة **قسنطينة** خلال الفترة الاستعماريَّة **1837– 1945م** توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات التي يمكن إبرازها في النِّقاط التَّالية:

– تتميَّز جغرافية مدينة **قسنطينة** بموقعها الاستراتيجي الهام وبمساعدة الظُّروف البيئيَّة والطبيعيَّة المتنوِّعة، أكسبها إقليم شاسع المساحة ذات مكانة خاصَّة تنفرد بها عن باقي المدن الجزائريَّة الأخرى وعليه فإنَّه لعب دورًا هامًّا وبارزًا في احتضان **قسنطينة** العديد من الحضارات التي تعاقبت عليها، وبعدما ظفر الأتراك العثمانيون بمدينة **قسنطينة** وأثناء التَّقسيمات الإداريَّة التي أحدثوها جعلوا منها عاصمة بايلك الشَّرق الجزائري وبسقوط المدينة في يد الفرنسين عام **1837م** تغيَّرت السُّلطة من عاصمة **بايلك الشَّرق** إلى مقاطعة **قسنطينة** أثناء الاحتلال الفرنسي.

– شهدت **قسنطينة** أواخر العهد العثماني تطوُّر رهيب لم يشهد له من قبل حيث عرفت المدينة أوج ازدهارها خاصَّة فترة حكم "**أحمد باي**" **1826–1837م** مسَّ هذا التَّطوُّر والازدهار مختلف جوانب الحياة خاصَّة منها الجانب العمراني والاجتماعي.

– تعرَّضت **قسنطينة** لحملتين فرنسيَّتين كان الغرض منهما الاستيلاء على المدينة والقضاء على حكم "**أحمد باي**"؛ وبعدما تمَّ سقوط المدينة عام **1837م** أحدثت السُّلطات الاستعماريَّة على مدينة **قسنطينة** تهيئة عمرانيَّة ذات طابع أوروبي على نسيجها القديم حيث تمَّ هيكلة وتخطيط المدينة تبعًا للتَّصوُّرات العمرانيَّة الأوروبيَّة.

– بدأت التَّحويرات العمرانيَّة تبرز عندما قام الفرنيسيين بعمليات الهدم والتَّهيئة وحرمان الأهالي من حقوقهم وممتلكاتهم ومحاولة القضاء على شخصيَّتهم العربية الإسلاميَّة، وتمثَّل ذلك في السَّكن والاستقرار في بيوت الأهالي بحي القصبة، كما قاموا بطرد جلَّ السكَّان إلى حواف الصَّخرة **(حي السويقة)**، وبعد مرور فترة من الزَّمن لم يستطع المعمِّريين

التَّأقلم في منازل القسطنطينيين وهذا ما دفعهم إلى إعادة تخطيط وهيكلة المدينة وكان كل ذلك تحت إشراف سلاح الهندسة العسكرية حيث كانت أولوياته ذات طابع عسكري ، حيث قامت بتحويل جُلَّ المراكز والمنشآت إلى ثكنات عسكريَّة على اعتبار أن معظم التَّغييرات كلها مرتكزة منذ بدايتها على أساس واحد هو الأمن وتلبيَّة الاحتياجات العسكريَّة الفرنسيَّة في المدينة.

– وفقا لما جاء في مرسوم **9 جوان 1844م،** والذي تقرَّر فيه تقسيم المدينة إلى حيين **أهلي وأوروبي** وقد عزَّز هذا التَّقسيم بشق شوارع عصريَّة على حساب المعالم التَّاريخيَّة القديمة بالمدينة.

– عمل الفرنسيين على تحويل المساجد إلى ثكنات عسكريَّة مثل **جامع القصبة** وكذلك **مسجد رحبة الصوف** الذي حوَّلته إلى مخزن للشَّعير إضافة إلى **جامع سوق الغزل** وبعد تتبُّعنا للتَّخطيطات العمرانيَّة الفرنسيَّة لاحظنا بأن **فرنسا** حوَّلته إلى كنيسة وغيرها من المساجد التي تم تهديمها ومصادرة أوقافها وإقامة مراكز أخرى على انقاضها خدمة لمصالح **فرنسا** الخاصَّة.

– عملت الإدارة الفرنسيَّة على توسيع الكتلة الحضريَّة بالمدينة باتجاه غربي نحو هضبة الكدية وتهيئة الأماكن المجاورة لها ممَّا أدَّى إلى بروز ضواحي جديدة مثل ضاحية "**سان جان**" " **saint jean**" وكذلك باتِّجاه شرقي نحو **القنطرة** يتهيئة ضواحي **المنصورة.**

– قامت السُّلطات الاستعماريَّة بتشييد منشآت ومرافق ذات طراز معماري أوروبِّي تمثّل في منشآت **عسكريِّة، مستشفيات، سجون، متحف، دار البلديَّة،** والتي كان الهدف منه تغيير الهويَّة الوطنيَّة وخلق ثقافة انفصاليَّة داخل المجتمع القسنطيني، بالإضافة إلى محاربة اللُّغة العربيَّة والتَّعليم العربي وإحلال محلِّهم اللُّغة والتَّعليم الأوروبِّي.

– فضلا عن ممَّا سبق التَّطرُّق إليه، فقد عمل الاستعمار الفرنسي على ربط المدينة بجسور ضخمة وإنشاء المرافق التَّرفيهيَّة والسِّياحيَّة بغرض إدخال الحضارة والتَّمدن على سكَّان مدينة **قسنطينة**.

– هكذا ومع امتزاج المكتسبات الموروثة عن العهد العثماني وما أحدثته السُّلطات الفرنسيَّة من تحوُّلات وتغيُّرات؛ عرفت المدينة ازدواجيَّة في نسيجها العمراني حيث اختلط النَّسيج العمراني العربي الاسلامي بالنَّسيج الأوروبي.

– لم تكتفي السُّلطات الفرنسيَّة بالسَّيطرة على المجال العمراني للمدينة فقط بل تعدَّى إلى الجانب الاجتماعي للمدينة حيث برز ذلك من خلال:

– عملت السُّلطات الاستعماريَّة على تغيير التَّركيبة السكَّانيَّة للمُجتمع القسنطيني، بعد أن كان التَّنظيم الاجتماعي هرميًّا تتصدَّره الأقليَّة التُّركيَّة باندماج بعض الفئات وانسحاب بعضها من المدينة، ومع مرور الوقت برزت فئة جديدة تمثلت في الأقليَّة الأوروبيَّة وبالتَّالي أصبح المجتمع مقسَّم إلى أهالي مسلمين وأوروبِّيين.

– تراجع الحرف والمهن في المدينة جراء الاحتلال الفرنسي وبالتَّالي أدَّى إلى تراجع الصِّناعات التَّقليديَّة التي كانت تشكِّل محور النَّشاطات الاقتصاديَّة للمدنية نتيجة عدم قدرتها على منافسة منتجات الصِّناعة الأوروبيَّة الحديثة، فأدَّى ذلك إلى تفشِّي ظاهرة البطالة في المدينة.

– تأثُّر الحالة الدِّيموغرافيَّة بالمدينة نتيجة الاحتلال والذي أدَّى إلى تراجع عدد الحضر بسبب الهجرة ضف إلى ذلك انتشار الأوبئة والأمراض نتيجة غياب الوقاية الصحيَّة ممَّا برز تراجع كبير بسبب تزايد نسبة البرَّانيَّة بالمدينة.

- ارتفاع عدد المستوطنين وذلك نتيجة تحسُّن أوضاعهم، إضافة إلى تجنيس اليهود أدَّى إلى ظهور توازن بين المستوطنين والأهالي.

- كان هدف السُّلطات الاستعماريَّة الفرنسيَّة تغيير عادات وتقاليد سكَّان مدينة قسنطينة إلَّا أنَّهم لم يتمكَّنوا من ذلك كون السكَّان ظلُّوا متمسِّكين بعاداتهم وتقاليدهم الإسلاميَّة.

- أدخلت الإدارة الاستعماريَّة في جهازها الإداري بعض المثقَّفين في المدينة خدمة لأغراضها الاستعماريَّة ونشر أفكارها، ونجحت في تحقيق ذلك.

وفي الأخير تعتبر هذه النتائج مجرد آراء واستنتاجات قابلة للنَّقد والتَّعديل.

قائمة الملاحق

ملحق رقم 1 : موقع مدينة قسنطينة إقليميًا [1]

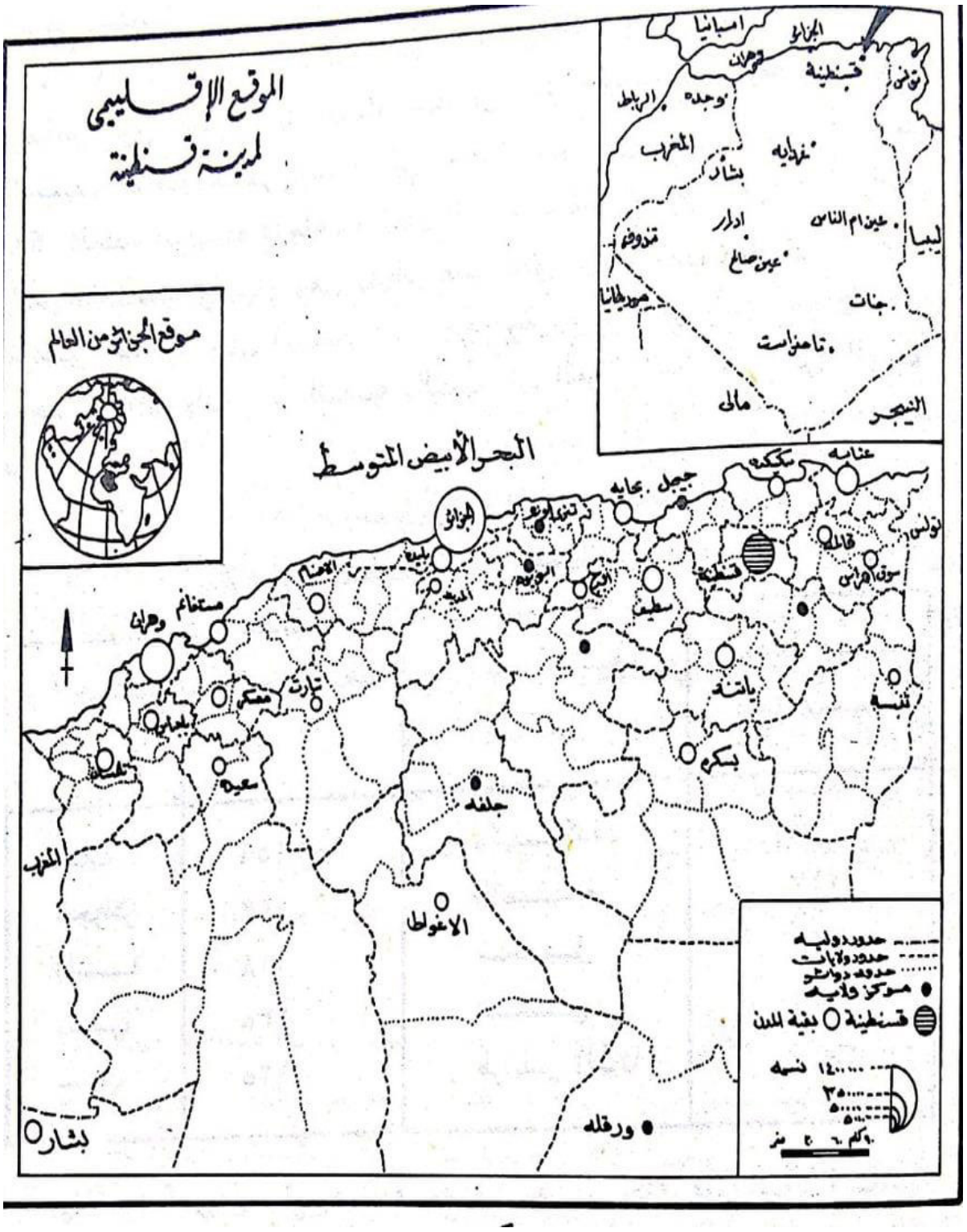

[1] محمد الهادي العروق، المرجع السَّابق، ص 15.

ملحق رقم 2 : مدينة قسنطينة في العهد العثماني[1]

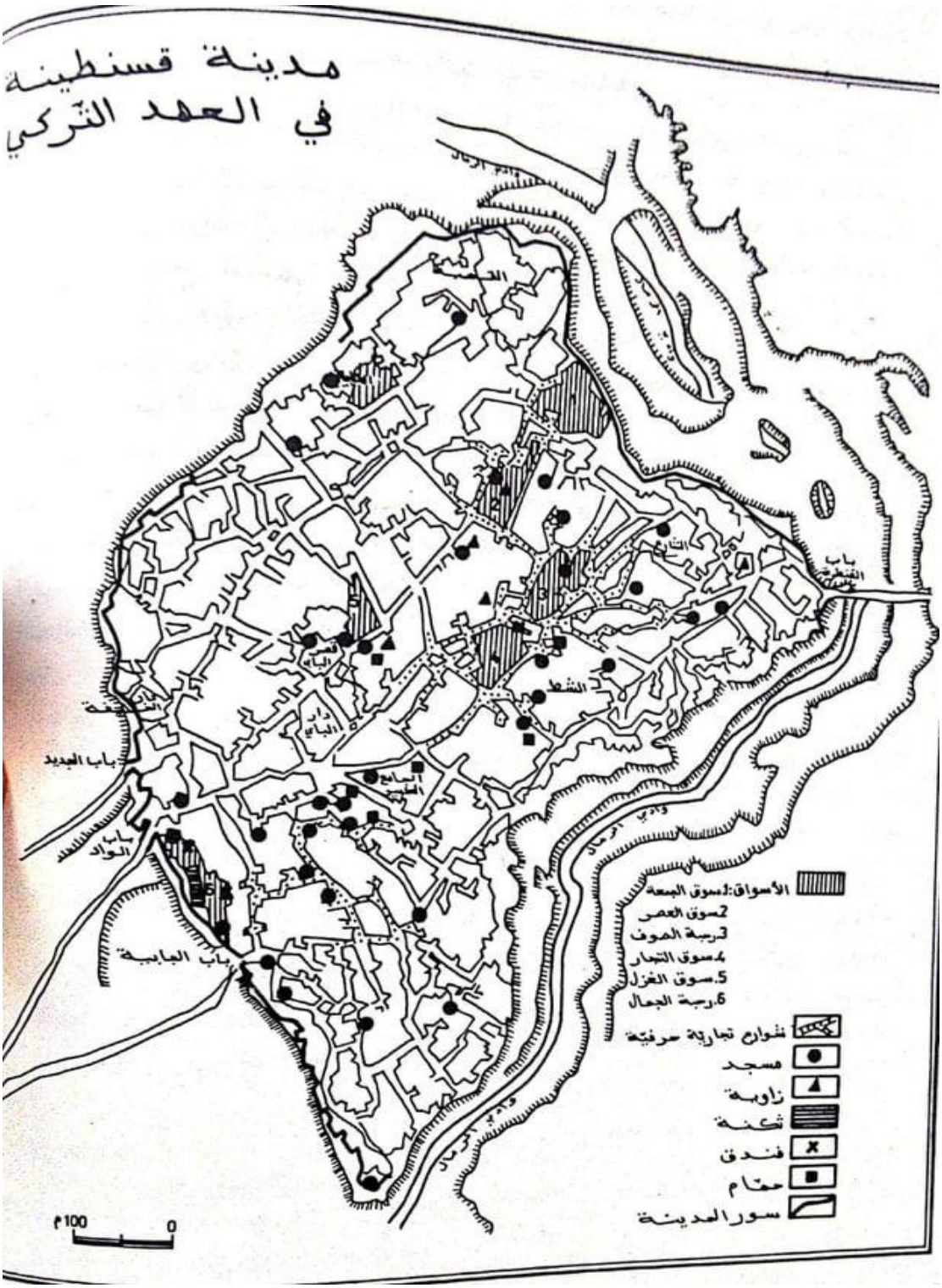

[1] محمد الهادي العروق، المرجع السَّابق، ص 84.

ملحق رقم 3: مخطط مدينة قسنطينة قبل 1837 وضعه الفرنسيين تحضيرًا للهجوم عليها اعتمادا على معلومات المسافرين والتُّجار[1]

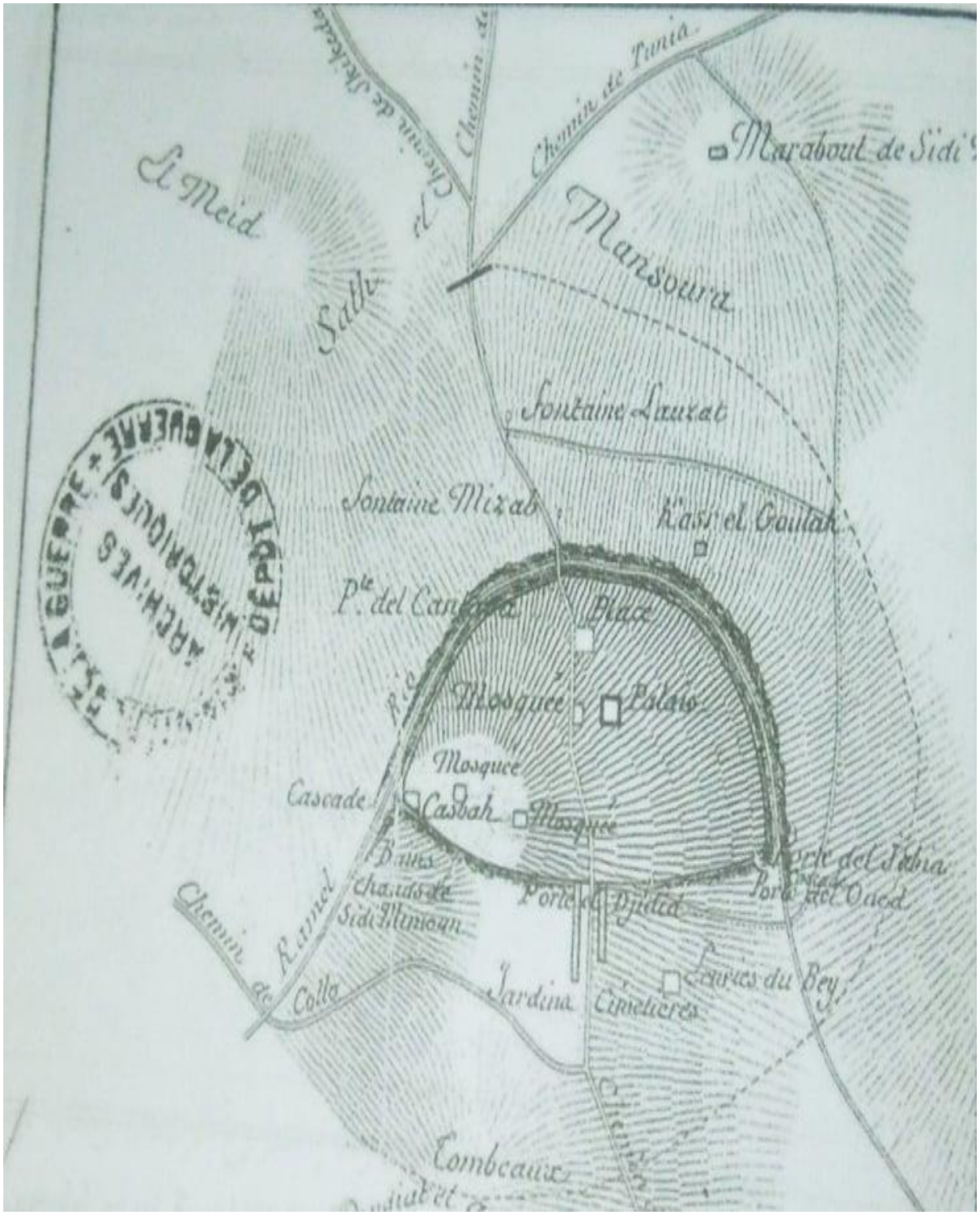

[1] سعيدوني ناصر الدِّين ومعاوية سعيدوني، المرجع السَّابق، ص 263.

ملحق رقم 4: مدينة قسنطينة عام 1837م[1]

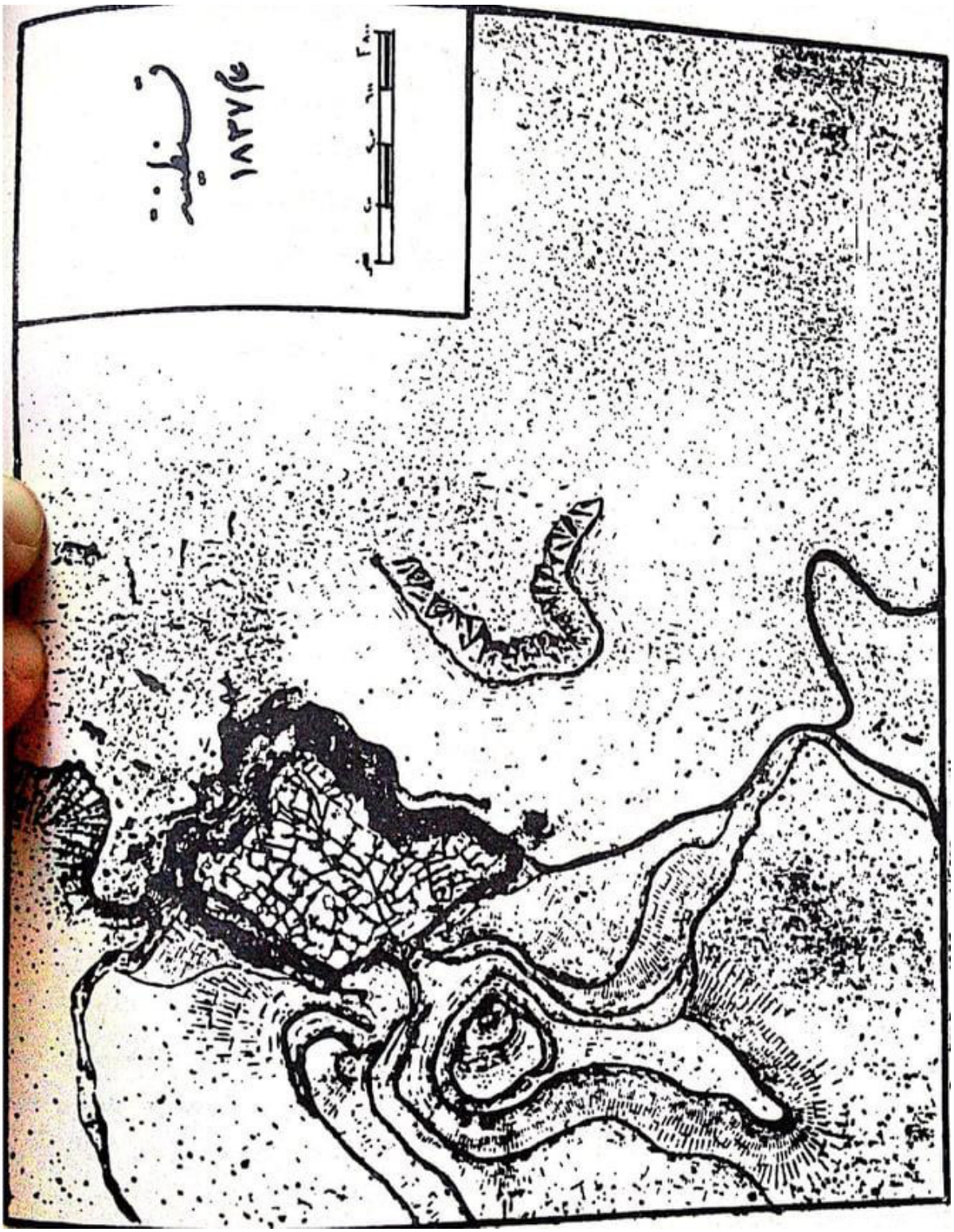

[1] محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص 90.

ملحق رقم 5: مدينة قسنطينة خلال تعرُّضها لحصار الجيش الفرنسي 1837م[1].

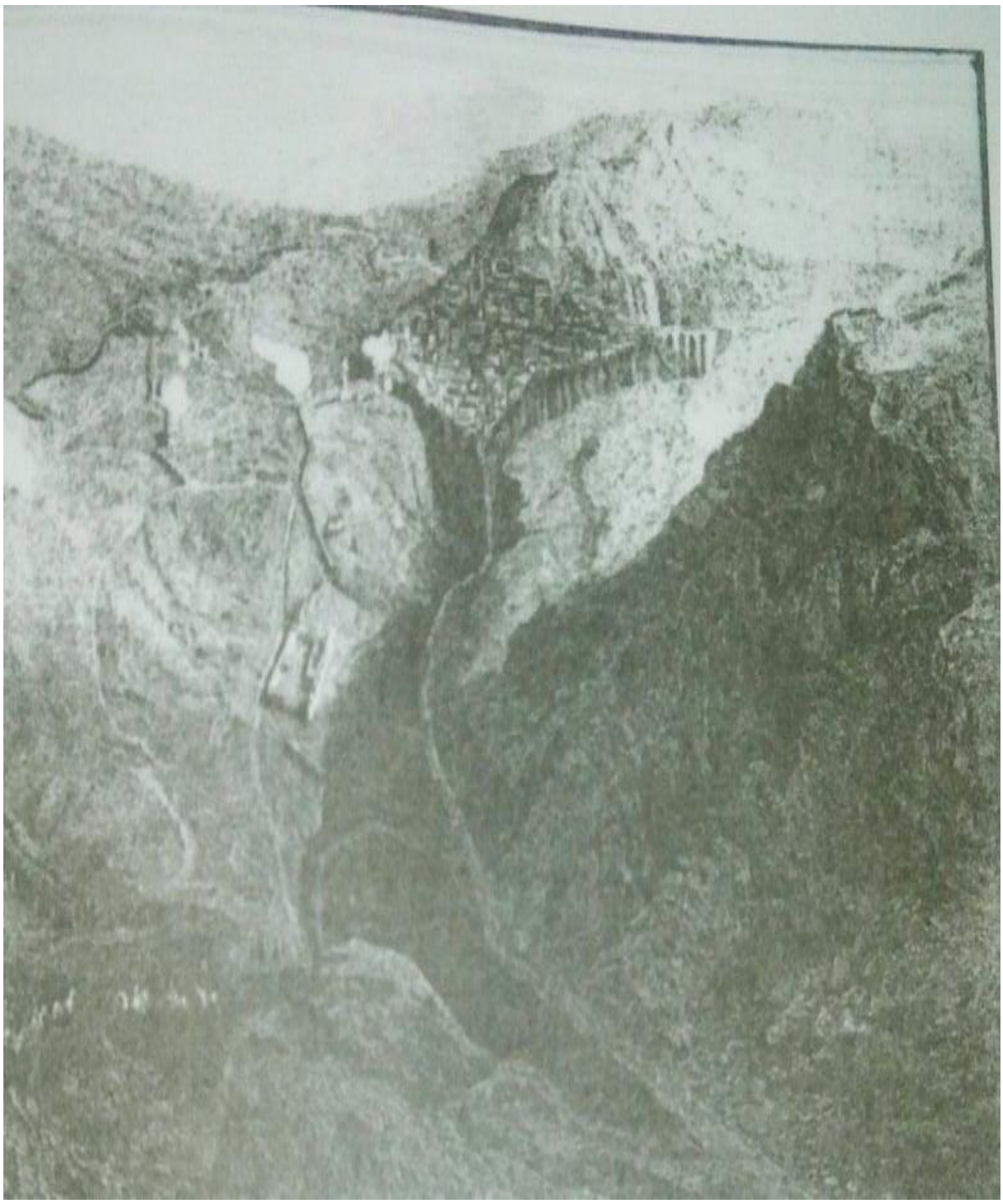

[1] ناصر الدِّين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، ذاكرة قسنطينة (مختصر تاريخ قسنطينة عبر العصور) ، ك1، المرجع السَّابق، ص 266.

ملحق رقم 6: الجامع الكبير بقسنطينة[1]

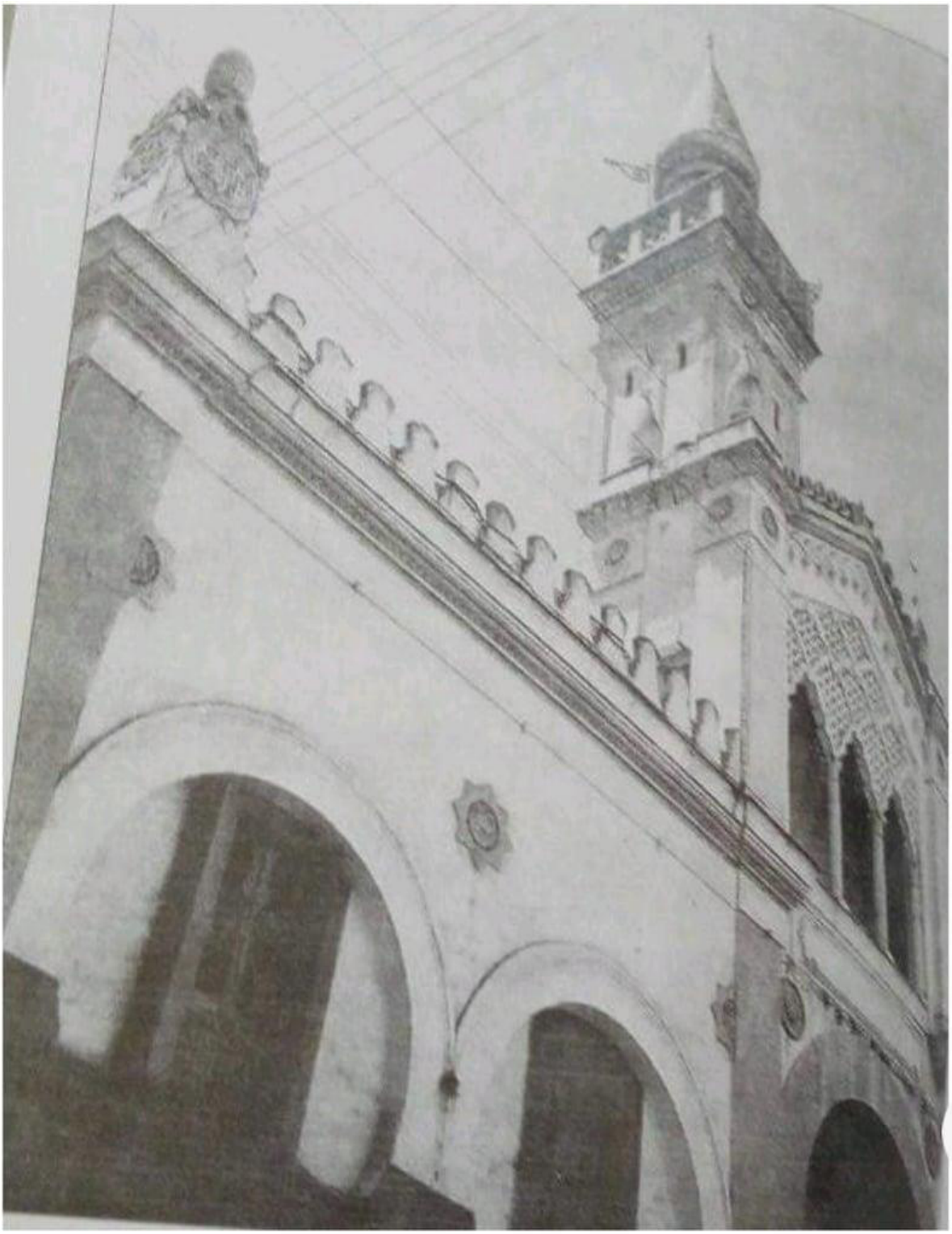

[1] كمال غربي، المرجع السَّابق، ص 95.

ملحق رقم 7: جامع سيدي الكتَّاني[1]

[1] رشيد بورويبة ، المرجع السَّابق، ص 161.

ملحق رقم 08: رحبة الصُّوف[1]

[1] محمد عثمان، المرجع السَّابق، ص 33.

ملحق رقم 09: جامع القصبة[1]

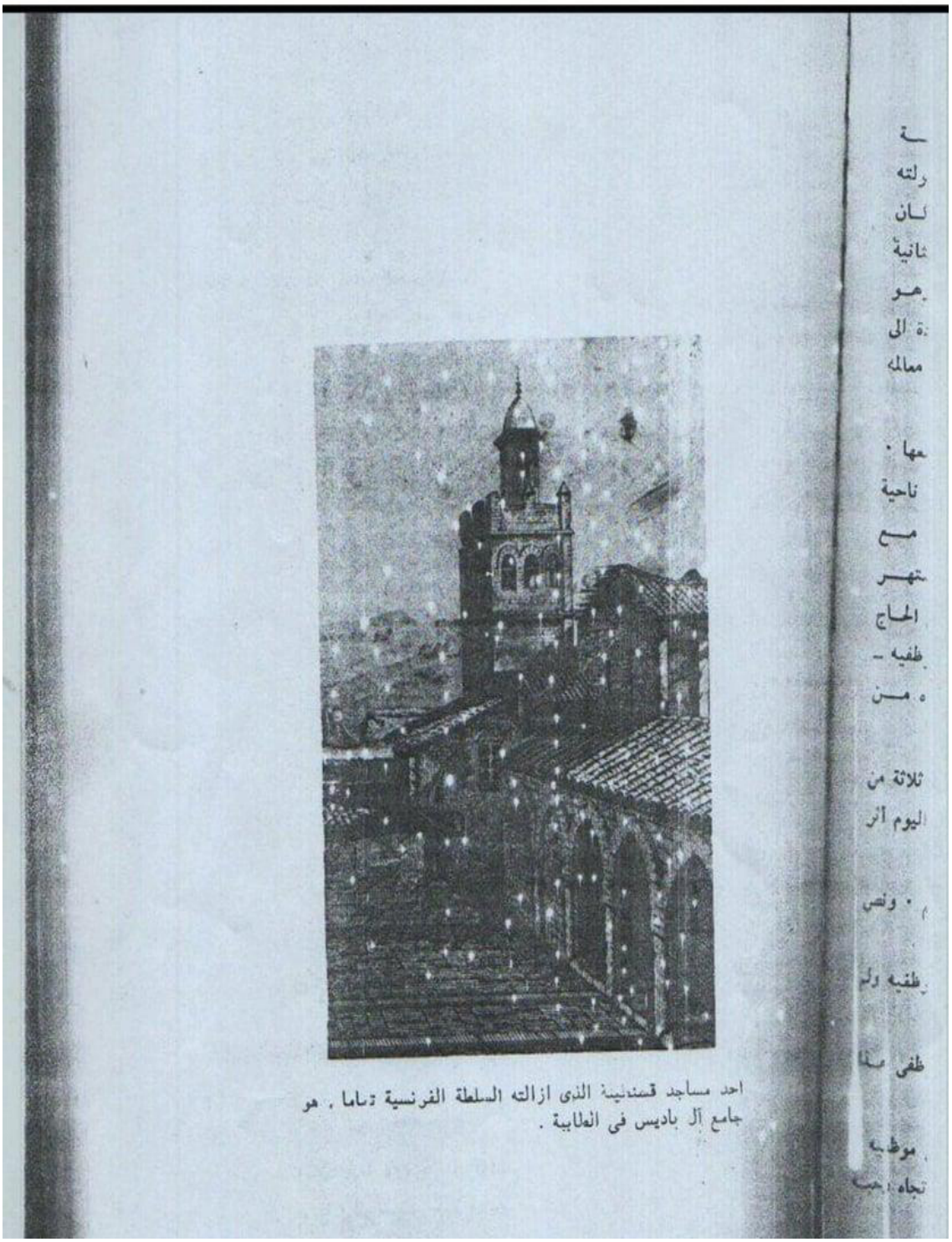

احد مساجد قسنطينة الذى ازالته السلطة الفرنسية تماما . هو جامع آل باديس فى الغلابية .

[1] ناصر الدين سعيدوني ، في عبقرية المكان القسنطيني ، ك2 ، المصدر السَّابق، ص 251.

ملحق رقم:10 جامع سوق الغزل[1]

[1] سعيدوني ناصر الدين، في عبقرية المكان القسنطيني ، ك2، المرجع السابق، ص 239.

ملحق رقم 11: جامع سيدي الأخضر[1]

[1] كمال غربي، المرجع السَّابق، ص 11.

ملحق رقم 12: زاوية ابن نعمون وزاوية حنصالة[1]

[1] كمال غربي، المرجع السَّابق، ص 174.

ملحق رقم 13: المدرسة الكتَّانية في عهد الاستعماري بعد تحويلها إلى مدرسة الشَّرعية الفرنسيَّة عام 1850م[1]

[1] محمد السَّعيد قاصري، المرجع السَّابق، ص 171.

ملحق رقم 14: ساحة لابريش[1]

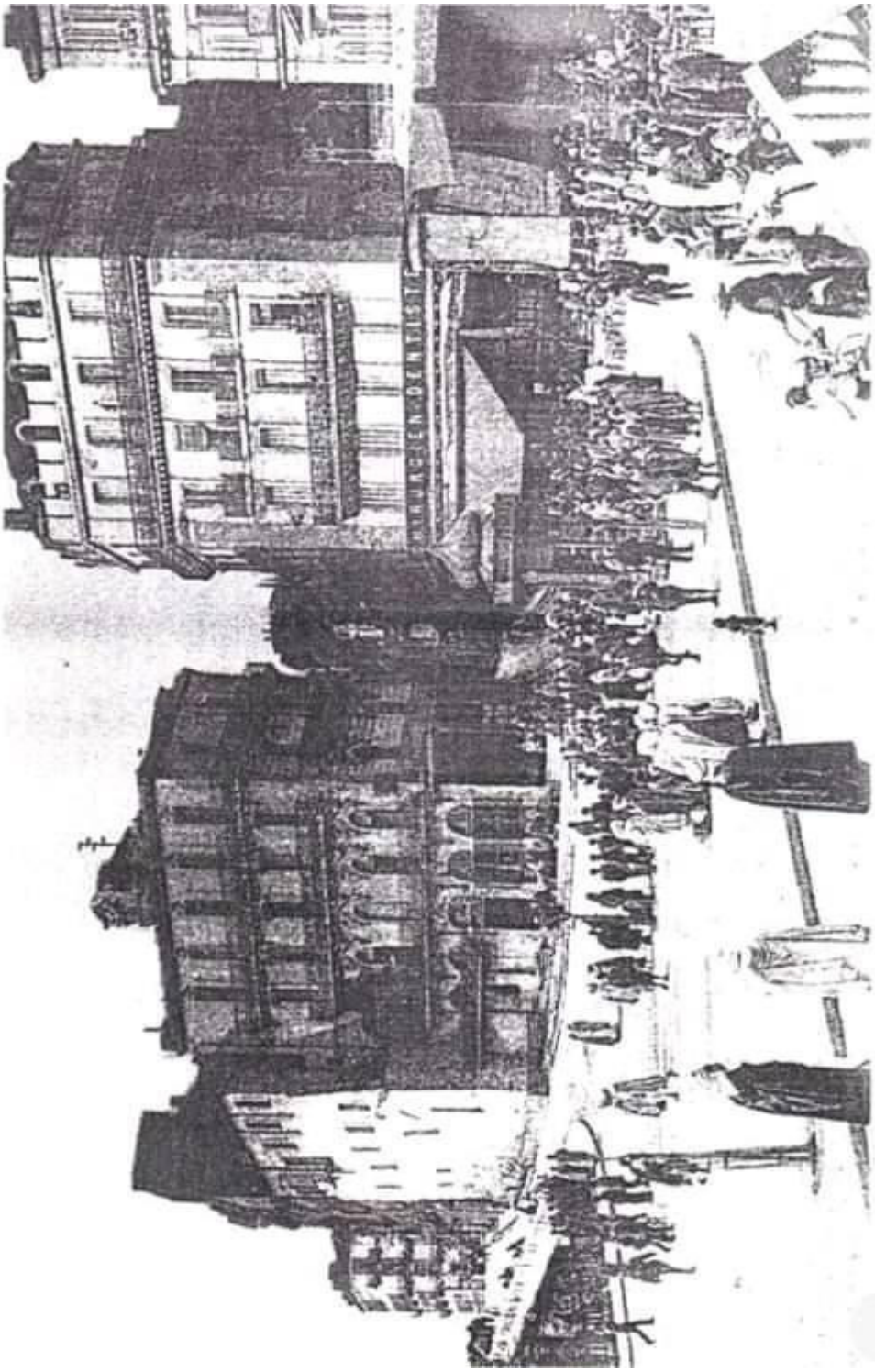

[1] سعيدوني ناصر الدِّين، في عبقريَّة المكان القسنطيني، ك2 ، المرجع السَّابق، ص 360.

ملحق رقم 15: جسر القنطرة[1]

[1] سعيدوني ناصر الدِّين، في عبقرية المكان القسنطيني، ك2، المرجع السَّابق، ص 340.

ملحق رقم 16: هضبة الكودية وحي سان جان[1]

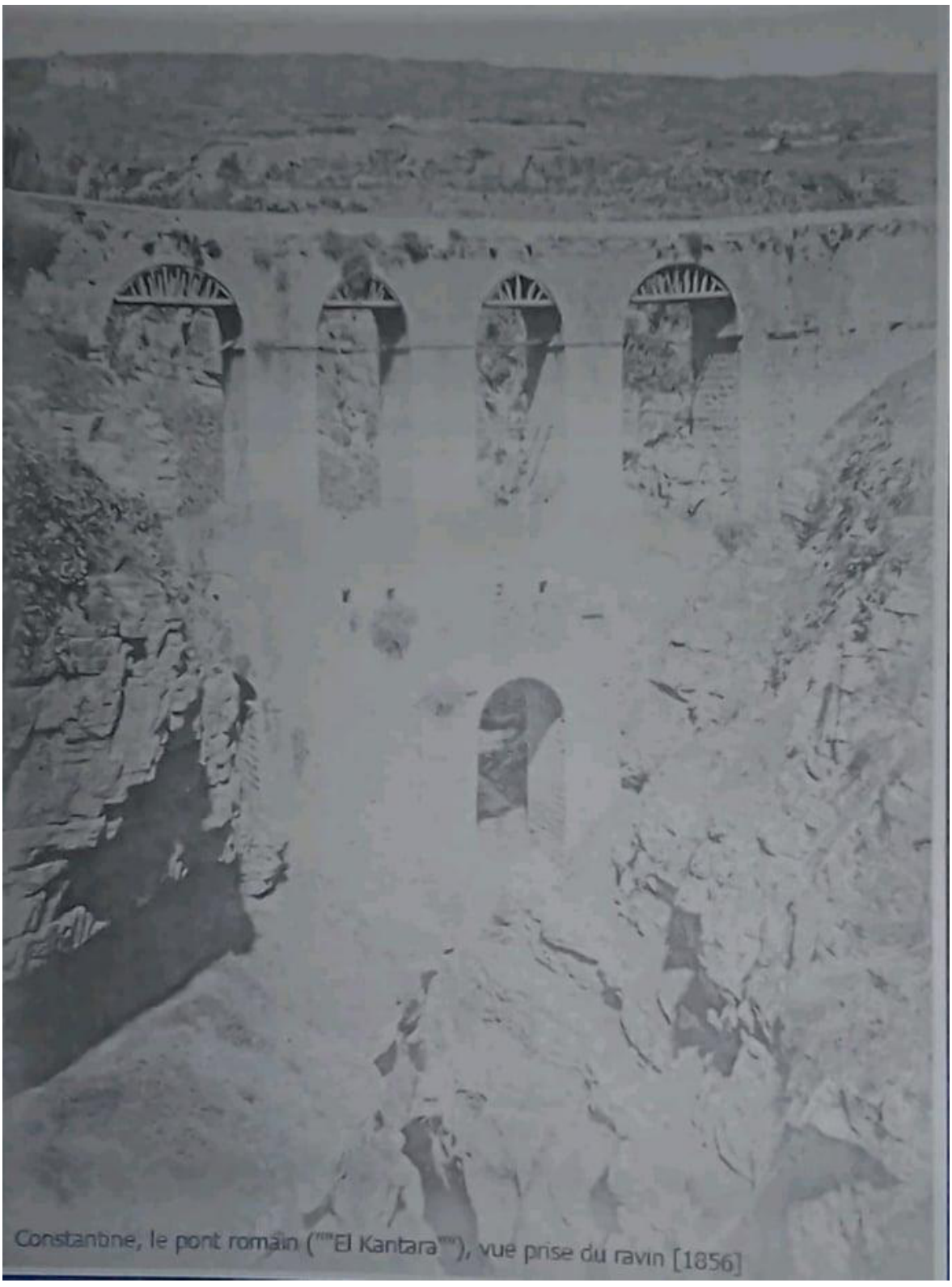

[1] سعيدوني ناصر الدِّين، في عبقرية المكان القسنطيني، ك2، المرجع السَّابق، ص 33.

ملحق رقم 17 :توزيع سكَّان مدينة قسنطينة خلال الفترة الإستعماريَّة عام 1933[1]

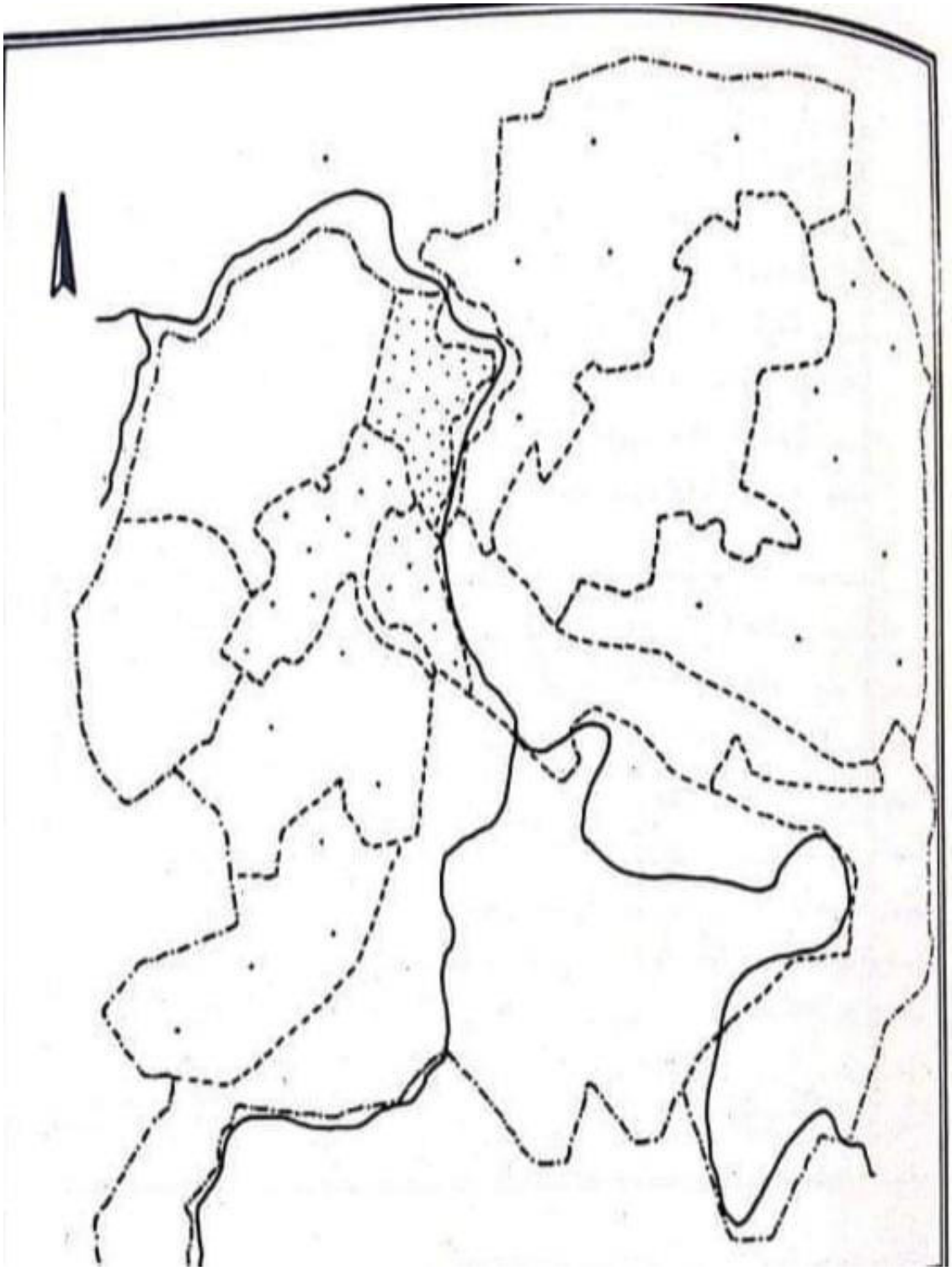

[1] محمد الهادي لعروق، المرجع السَّابق، ص 135 .

ملحق رقم 18: الهجرة[1]

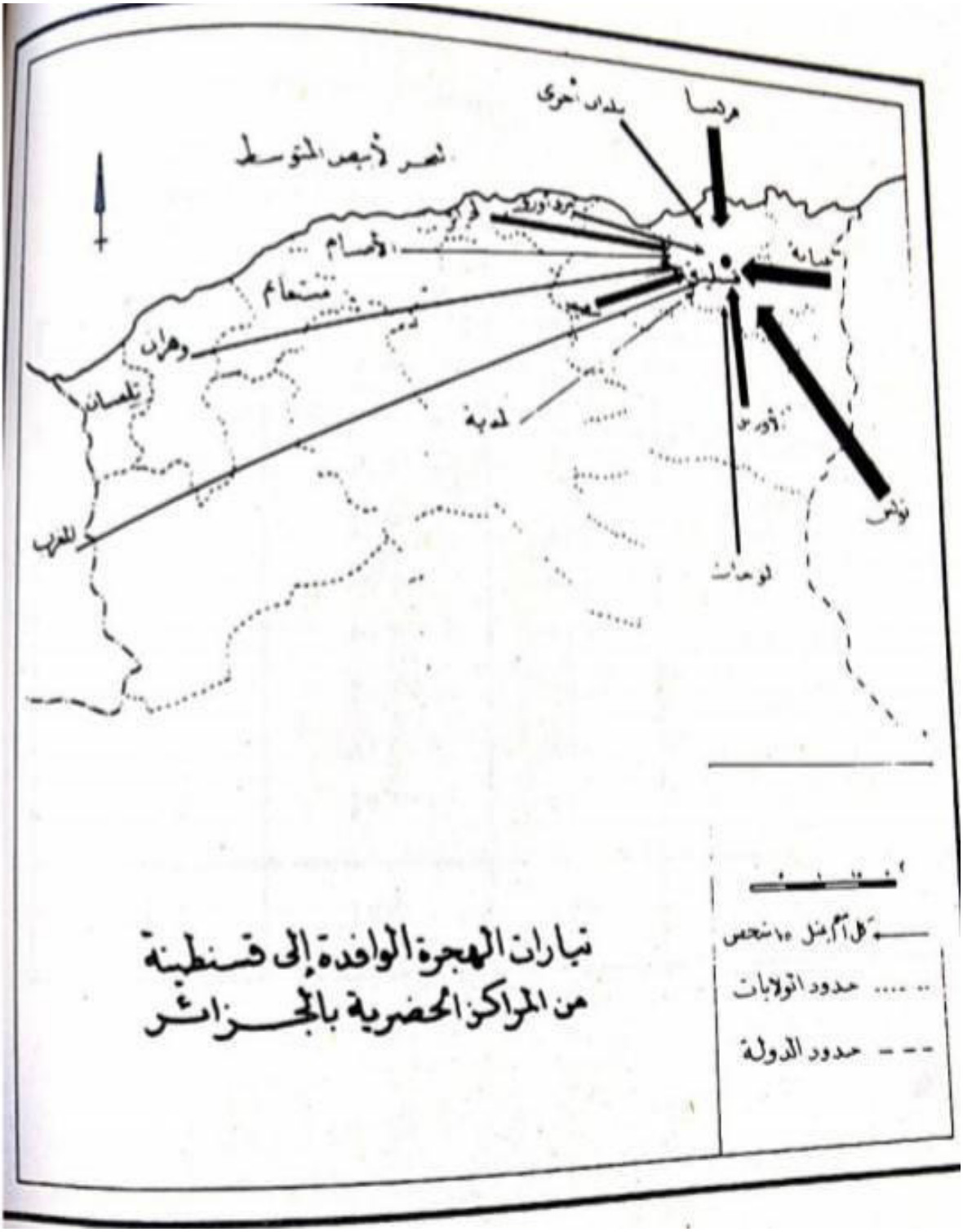

[1] الهادي لعروق، المرجع السّابق، ص 124.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أوّلا : المصادر:

أ/ المصادر باللغة العربية:

1- Saulky ، ذكريات رحلة من مدينة الجزائر إلى قسنطينة عبر المناطق الجبليَّة، تق وتر: علي تابليت، 2008م.

10- علي بن شغب محمَّد المهدي، أم الحواضر في الماضي والحاضر أو تاريخ قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980م.

11- العنتري محمَّد صالح، تاريخ قسنطينة، مر وتق، يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعيَّة الجزائر، 1991م.

12- العنتري محمَّد صالح، مجاعات قسنطينة، تح وتق: رابح بونار، (د ط)، (د.د.ن) ، الجزائر، 1974م.

13- الفكُّون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادَّعى العلم والولاية، تح ونق وتع: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

14- هانيريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال إفريقيا، تر: أبو العيد دودو، ج3، **ط1**، (د.د.ن)، الجزائر، 2008.

15- الورثيلاني بن محمَّد الحسين، نزهة الأنظار في فضل علم التَّاريخ والأخبار ، مدوَّنة برج بن عزُّوز، ط 1، مج 2، تندوف: عبد الكافي، مكتبة الثَّقافة الدِّينيَّة، القاهرة، 2008م.

16- وليام شالر، مذكَّرات وليام شالر، قنصل أمريكا قي الجزائر، 1816- 1824، تعريب وتعليق وتق: إسماعيل العربي، الجزائر، 1982م.

17- وليم سبنسر، الجزائر في عمد رياس البحر، تع: عبد القادر زبادة، دار القصبة، الجزائر، 2006.

2- ابن منظور، لسان العرب، ج 15، دار صادر، بيروت، 2003م.

3- الإدريسي الشَّريف، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1983م.

4- أوجين فاسيت، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التُّركي 1722- 1873م، تق: الشَّيخ عبد الرحمن، ط 1، دار طليطلة، الجزائر، 2013م.

5- أيفون تيران، المواجهات الثَّقافيَّة في الجزائر المستعمرة: المدارس والممارسات الطبيَّة والدِّين 1830- 1880م، ط 1، دار القصبة، الجزائر، 2007م.

6- البكري، "المسالك والممالك" المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، دسيلان، الجزائر، 1911م.

7- الحموي ياقوت ، معجم البلدان، ط1، مج 7، تص: محمَّد أمين الخانجي، مطبعة السَّعادة، مصر، 1906م .

8- شلوصر فندلين، قسنطينة أيَّام أحمد باي 1832- 1837م، تر وتق: أبو العيد دودو، الشَّركة الوطنيَّة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 1977م.

9- العطار أحمد بن مبارك ، تاريخ بلد قسنطينة، تح: رابح بونار، الجزائر، 1980م.

ب/ المصادر والمراجع باللُّغة الفرنسيَّة:

1- Berthier Ander et CHive, J, L'évolution urbaine de constantine 1837-1937, imprimerie Braham, constantine, s.d .

2- Charles- André Julien , Histoire de l'Algérie contemporaine (1827-1871), paris, 1964.

3- Cherif Megmora, le registre du caïd de bold de constantine, in R.N.M.H.GN 16 .

4- Ernest Mercier, Histoire de constantine, imprime avec le concours. de la sociéte Archéologique, constantine, 1903.

5- Gouvernement géneral de l'Algérie Annuaire statistique constantin, 1850.

6- Kaddach (M) , L'Algérie durant la période Ottomane, O-P-U, Iben Aknon, Alger 1922.

7- Le cuyer E." les Métiers Contantinois à l'époque des Beys".

ثانيًا المراجع:

1– أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلَّفات الرَّحالين الألمان 1830– 1855م، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1989.

2– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

3– أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال)، الشَّركة الوطنيَّة لنشر والتَّوزيع، الجزائر، 1982.

4– أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنيَّة الجزائريَّة (1830– 1900م)، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

5– أحمد بن عبد العزيز الحداد، من فقه الوقف، ط2، إدارة الشؤون الإسلامية، إدارة البحوث، 2013م.

6- أحمد مبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تح: رابح بونار، الجزائر، 1980م.

7- الأشراف مصطفى ، الجزائر الأمَّة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، م و ل، الجزائر، 1883م.

8- التر سامح عزيز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشَّماليَّة، تر: محمود علي عامر، ط 1، دار النَّهضة، لبنان، 1989.

9- بسَّام العسلي، المقاومة الجزائريَّة لاستعمار الفرنسي الجزائري، دار النَّفائس للطِّباعة والنَّشر، 2010م.

10- بسَّام العسلي، جهاد الشَّعب الجزائري، ج1، دار العزة والكرامة للكتاب، الجزائر، 2009م.

11- بورايو عبد الحفيظ، مدينة قسنطينة في أدب الرَّحلات، مداد يونيفارستي براس سنتر، قسنطينة، 2013م.

12- بوروبية رشيد ، قسنطينة سلسلة الفن والثَّقافة، وزارة الإعلام والثَّقافة، الجزائر، 1978م.

13- بوعزة بوضرساية، سياسة فرسنا البربريَّة في الجزائر، 1830- 1930م، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010م.

14- التِّجاني بشير، التَّحضير والتَّهيئة العمرانيَّة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 2002م.

15- تركي رابح ، الشَّيخ عبد الحميد ابن باديس، ط 1، المؤسَّسة الوطنيَّة للفنون المطبعيَّة وحدة الرِعاية، الجزائر، 2009م.

16- الجيلالي صاري، الكارثة الدِّيمغرافيَّة 1867- 1868م، المؤسَّسة الوطنيَّة للاتِّصال والنَّشر والإشهار وحدة رويبة، الجزائر، 2008م.

17- الحدَّاد أحمد بن عبد العزيز، من فقه الوقف، ط2، إدارة الشُّؤون الإسلاميَّة، الإمارات العربيَّة 2003م.

18- حميدة عميراوي، جوانب من السِّياسة الفرنسيَّة وردود الفعل الوطنيَّة في قطاع الشَّرق الجزائري، بداية الاحتلال، دار البعث لطباعة والنَّشر، قسنطينة، الجزائر، 1984.

19- خرشي جمال، الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر، تر: عبد السَّلام عزيزي، تق: مصطفى ماضي، دار القصبة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 2009.

20- دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، سحب الطِّباعة الشَّعبية للجيش، الجزائر، 2007.

21- دوتي نورالدِّين، المغرب العربي والاستعمار الفرنسي، سراس للنَّشر، تونس، 1997م.

22- زوزو عبد الحميد ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830- 1900م، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1984.

23- زوزو عبد الحميد، محطَّات في تاريخ الجزائر، دراسات في الحركة الوطنيَّة والثَّورة التَّحريريَّة، (على ضوء وثائق جديدة) دار هومة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 2004م.

24- سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 3، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.

25- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثَّقافي، ج 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م

26- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثَّقافي، ج 5، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986م.

27- سعيدوني ناصر الدِّين ، الوقف في الجزائر خلال القرنين 18- 19م، البصائر، الجزائر، 2013.

28- سعيدوني معاوية ، في عبقريَّة المكان القسنطيني، (د، ط)، الكتاب 2، البصائر، 2016 م

29- سعيدوني ناصر الدّين ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1984م.

30- سعيدي مزيان، النَّشاط التبشيري للكاردينال لافجيري في الجزائر 1867- 1892م، ط 1، دار الشروق للطِّباعة، 2009، الجزائر

31- صالح عباد، المعمِّرون والسِّياسة الفرنسيَّة بالجزائر 1880- 1900، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1984

32- صالح فركوس، إدارة المكاتب العربيَّة والاحتلال الفرنسي للجزائر في ظل شرق البلاد، 1844- 1871، منشورات جامعة باجي مختار، عنَّابة، 2006.

33- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق م- 1962، دار العلوم للنشر والتَّوزيع، عنَّابة، 2003.

34- صالح فركوس، الوجيز في تاريخ الثقافة الجزائرية: من العهد الفينيقي إلى نهاية الاستقلال (814 ق.م 1962م)، المعارف للطباعة، (د.ط)،(د.م)، 2015م.

35- صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، مديريَّة النَّشر لجامعة قالمة، 2010م.

37- عبد العزيز فيلالي، جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة، 1830- 1850م، دار الهدى لطباعة والنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 2012م.

38- عبد القادر دحدوح، قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية، ط1، نوميديا للطباعة والنشر، الجزائر،2015م.

39- عبد الكريم بجاجة، معركة قسنطينة 1836- 1837، تع: محمَّد الهادي العروق، دار البعث، قسنطينة، 1984م.

40- عبد الله مقلاتي، المشروع الفرنسي الصَّليبي الاحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنيَّة، (1830-1962م)، دار بوسعادة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 2013م.

41- العربي الزُّبيري، التِّجارة الخارجيَّة للشَّرق الجزائري في العهد العثماني، ط2، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1984م.

42- العربي صالح، البيئة الحضارية داخل الأنسجة العمرانية العتيقة والتنمية المستدامة، حالة قسنطينة، (د.د.ت)، (د.م)، 2010.

43- عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2000م.

44- العلوي محمَّد الطَّيب، مظاهر المقاومة الوطنيَّة الجزائريَّة من (1830- 1914م)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الشَّركة الوطنيَّة للاتِّصال والنَّشر، وحدة الطِّباعة رويبة، الجزائر، 1994م.

45- علي خلاصي، قسنطينة مدينة الجسور عبر العصور، ط 1، دار الحضارة للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة، الجزائر، 2015م.

46- العنتري محمَّد الصالح ، فريدة منسيَّة في حال دخول التُّرك إلى قسنطينة استيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مر: وتق، يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2004م.

47- العنتري محمَّد صالح ، تاريخ قسنطينة، مروتق: بحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر.

48- فاطمة الزَّهراء قشِّي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، دار مداد يونيفار ستي براس، الجزائر، 2005م.

49- فرانسوا مسبيرو، سانت آرنوا أو الشَّرق الضَّائع، تر: حاج مسعود، مر: أحمد بكلي، دار القصبة للنَّشر، الجزائر، 2007م.

50- فركوس صالح، الحاج أحمد باي قسنطينة 1826- 1850م، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 2009.

51- فيلالي عبد العزيز، مدينة قسنطينة: تاريخ معالم وحضارة، دار الهدى، الجزائر، 2007م.

52- فيلالي عبد العزيز وآخرون، مدينة قسنطينة، محطَّات في تاريخها الثَّقافي والعمراني، مؤسَّسة عبد الحميد بن باديس، (د.ط)، قسنطينة، (د،س).

53- قدُّورة زهيَّة، تاريخ العرب الحديث، دار النَّهضة العربيَّة، بيروت، 1975م.

54- قشِّي فاطمة الزَّهراء، سجل صالح باي للأوقاف (1771- 1792م)، دار بهاء الدِّين للنَّشر والتَّوزيع، 2009م.

55- قشي فاطمة الزَّهراء، قسنطينة مدينة وموروثات، مر: عياش سلمان، ميديا بلوس، قسنطينة، 2009م.

56- قنان جمال، نصوص سياسيَّة في القرن التَّاسع عشر 1830- 1914م، ديان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 2009م.

57- كمال غربي، المساجد والزَّوايا في مدينة قسنطينة الأثريَّة، (د. ط)، منشورات وزارة الشُّؤون الدِّينيَّة والأوقاف، تلمسان، 2012م.

58- لعروق محمَّد الهادي ، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافيَّة العمران، ديوان المطبوعات الجامعيَّة بن عكنون، الجزائر، 1984م.

59- لعروق محمَّد الهادي، عبد العزيز فيلالي، مدينة قسنطينة، دراسة التَّطور التَّاريخي والبيئة الطَّبيعيَّة، دار البعث، قسنطينة، 1984م.

60- محفوظ سماتي، الأمَّة الجزائريَّة نشأتها وتطورها، تر: محمَّد الصَّغير بناني، عبد العزيز بوشغيَّب، منشورات دحلب، الجزائر، 2007م.

61- محمَّد الصَّالح، بجاوي، متعاونون ومجنَّدون جزائريون في الجيش الفرنسي، 1830- 1910م، دار القصَّة للنَّشر، الجزائر، 2009م.

62- محمَّد العربي الزُّبيري، التِّجارة الخارجيَّة للشَّرق الجزائري، ط 2، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1984م.

63- محمَّد العربي الزبيري، مذكَرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشَّركة الوطنيَّة للنشر والتَّوزيع، الجزائر، 1981م.

64- محمَّد عثمان ، صفحات من تاريخ ومعالم قسنطينة ملكة الشَّرق الجزائري ومدينة الجسور المعلَّقة، ط1، الدَّار المصريَّة للكتاب، القاهرة، 2013م.

65- مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج3، دار الحكمة، الجزائر، 2007 .

66- مريوش أحمد، الحياة الثَّقافيَّة في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات الدرك الوطني، الجزائر، 2007م.

67- معاشي جميلة، الحياة الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والدِّينيَّة بقسنطينة من خلال سجل مراسلات لجنة الشُّؤون الدِّينيَّة 1885- 1904م، ط1، منشورات بونة للبحوث والدِّراسات، الجزائر، 2012م.

68- منوَّر أحمد، الأدب الجزائري باللِّسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعيَّة بن عكنون، الجزائر، 2007م.

69- ناصر الدّين سعيدوني، معاوية سعيدوني، ذاكرة قسنطينة، (مختصر تاريخ قسنطينة عبر العصور)، ك1، البصائر لنشر والتَّوزيع، الجزائر، 2016م.

70- يحي بوعزيز، سياسة التَّسلُّط الاستعماري والحركة الوطنيَّة 1830- 1954م، د.و.م.ج، الجزائر، 2007م.

71- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنيَّة والدُّوليَّة، دار البصائر، الجزائر، 2009م.

ثالثًا: المجلَّات: باللُّغة العربيَّة والفرنسيَّة:

1-Hocine l'hadj Mezhoura, Napoleon 's project of the ARAB Kingdom in Algeria (1852-1870.

2- أسيا ليفة، وإبراهيم بن يخلف، مدينة قسنطينة القديمة، تراث عمراني مهدد للزوال، جامعة الجلفة، ع10، جانفي .

3- بوعزيز يحي، ثورات سكَّان الزواغة وفرجيوة والبابور ضدَّ الاستعمار الفرنسي وقضيَّة الحاج عز الدِّين، مجلَّة الثَّقافة، تصدِّر عن وزارة الثَّقافة والسِّياحة بالجزائر، عدد 40، سنة 1977م.

4- بونابي الطاهر ، ملامح النشاط العلمي والروحي والثقافي بقسنطينة أواخر العهد العثماني، مجلة عصور جديدة، ع 18، 2015م.

5- دحدوح عبد القادر، المساجد الأثريَّة في قسنطينة خلال عهد الفترة الاسلاميَّة، مجلَّة الدِّراسات توراثيَّة، ع3، 2009م

6- دحدوح عبد القادر، زوايا الجزائر خلال العهد العثماني، دراسات في آثار الوطن العربي، المركز الجامعي، الجزائر.

7- سعيدوني ناصر الدِّين، "مذكِّرة حول إقليم قسنطينة"، مجلَّة الأصالة، ع 70-71، 1979م.

8- سعيدوني ناصر الدين، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة بالجزائر أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الغربي، مجلَّة الأصالة، ع 89- 90، الجزائر 1981.

9- سعيدوني ناصر الدين، وثائق هيئة أركان الحرب الفرنسيَّة العاملة بالجزائر بأرشيف وزارة الحرب الفرنسيَّة –باريس- وصف مدينة قسنطينة: "العلبة رقم 225"، مجلَّة الأصالة، الجزائر.

10- فيلالي عبد العزيز، الصلات الثقافية والفكرية بين تلمسان وقسنطينة، مجلة الآفاق وأفكار، ع3، 2012.

11- فيلالي عبد العزيز، جوانب من الحياة الثَّقافيَّة لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، مجلَّة سيرتا، معهد العلوم الاجتماعيَّة، جامعة قسنطينة، ع 10، دار البعث، قسنطينة، 1988م.

12- قاصري محمد السعيد، المدرسة الكتانية بقسنطينة صرخ ثقافي يصارع النسيان، مجلة عصور جديدة، ع18، الجزائر، 2015.

13- قشي فاطمة الزهراء، معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة الإنسانيات، ع19-20، 2013.

14- مجلَّة سيرتا، المؤسَّسات التَّعليميَّة في قسنطينة، معهد العلوم الاجتماعيَّة، جامعة قسنطينة، ع 10، 1988م.

15- محمّد قويسم، مجازر الاحتلال الاستعمار الفرنسي بمدينة قسنطينة عام 1837م، العدد 4، المجلَّة التَّريخيَّة الجزائريَّة، جامعة محمَّد بوضياف، المسيلة، سبتمبر، 2017م.

16- نوَّاري خولة، نظرة حول المجتمع الحرفي والصِّناعي بمدينة قسنطينة، مجلَّة العبر للدِّراسات التَّاريخيَّة والأثريَّة، مج2، ع 1، 2019م.

رابعًا: الرسائل الجامعيَّة:

أ/ رسائل الدكتوراه:

1- آسيا ليفة، التهيئة الحضرية وتسيير المدن الكبرى، مشروع مقدم لنيل شهادة مهندس دولة في التهيئة العمرانية، كلية علوم الأرض والجغرافيا، جامعة قسنطينة، 1997م.

2- توفيق دحماني، الضَّرائب في الجزائر 1792- 1865م، أطروحة دكتوراه، جامعة بن يوسف بن خدَّة، الجزائر، 2008م.

3- روابحي العيَّاشي، الإدارة الاستعماريَّة وعلاقتها بالعائلات الكبرى في مقاطعة قسنطينة 1837م- 1871م، رسالة مقدَّمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التَّاريخ الحديث والمعاصر، كليَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، جامعة قسنطينة، 2014م- 2015م.

4- عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009-2010م.

5- فركوس صالح، المكاتب العربيَّة في مقاطعة قسنطينة، رسالة دكتوراه في التَّاريخ المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، معهد العلوم الاجتماعيَّة، قسم التَّاريخ، 2001م.

6- قشِّي فاطمة الزَّهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع، ج 2، رسالة مقدَّمة لنيل شهادة الدَّكتوراه في التَّاريخ، جامعة قسنطينة، 1998م.

7- محمّد قويسم، مدينة قسنطينة دراسة سياسيّة عمرانية، اجتماعيَّة، وثقافيَّة، رسالة دكتوراه العلوم في التَّاريخ الوسيط، كليَّة العلوم الاجتماعيَّة، جامعة أبو القاسم سعد ألتيه، الجزائر، 2008.

8- محمَّد قويسم، مدينة قسنطينة ما بين القرنين 13- 16م، أطروحة مقدَّمة لنيل درجة الدَّكتوراه، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2014- 2015م.

9- معاشي جميلة، الانكشاريَّة والمجتمع بباليك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدَّكتوراه في التَّاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، كليَّة العلوم الاجتماعيَّة، 2007م.

ب/ رسائل الماجستير:

1- بن حسين كريمة ، الحياة السِّياسة في قسنطينة بين 1930- 1939م، رسالة ماجستير في التَّاريخ الحديث والمعاصرة، جامعة منتوري قسنطينة، 1986م.

2- حروش كريمة، جرائم الجنارالات الفرنسيين ضدَّ مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم 1832- 1847م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التَّاريخ الحديث والمعاصر، قسم التَّاريخ وعلم الآثار، معهد العلوم الإنسانيَّة والحضارة الإسلاميَّة، جامعة وهران.

3- حيمود رتيبة، الألغاز الشَّعبيَّة في مدينة قسنطينة، دراسة احصائيَّة تحليليَّة، رسالة ماجستير في الأدب، تخصُّص أدب شعبي، جامعة منتوري قسنطينة، 2006، 2005.

4- عز الدِّين بومزو، الضباط الفرنسيين في إقليم الشَّرق الجزائري أرنست مارسي نموذجا، رسالة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة.

5- قماش زينب، المجتمعات السكنية الحضرية بمدينة قسنطينة واقعها ومتطلباتها تخطيطها، رسالة ماجستير، تخصص علم الاجتماع الحضري، جامعة منتوري قسنطينة، 2008م.

فهـــرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدِّمة.....أ- ح

الفصل الأول: الأوضاع العامَّة في قسنطينة أواخر الحكم العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.

أولا: قسنطينة أواخر العهد العثماني.....**12-27**

ثانيًا: قسنطينة في بداية الاحتلال الفرنسي.....**27-41**

أ- الحملة الفرنسيَّة الأولى.....**27-32**

ب- الحملة الفرنسيَّة الثَّانية وسقوط مدينة قسنطينة.....**32-37**

ج- موقف سكَّان المدينة من الاحتلال الفرنسي.....**37-40**

1- الأتراك.....**37**

2- الكراغلة.....**38**

3- اليهود.....**39**

4- السكَّان المحلِّيين.....**40**

د- النَّتائج المباشرة لاحتلال المدينة.....**41-42**

1- الوضع السِّياسي.....**41**

2- الوضع الاجتماعي.....**41**

الفصل الثاني: السِّياسة العمرانيَّة بمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعمارية 1837- 1945م

أولا: بدايات التَّخطيط العمراني الفرنسي بمدينة قسنطينة.....**45-51**

ثانيا: المؤسَّسات العلميَّة بمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعماريَّة.....**51-70**

1- المساجد.....**52**

- الجامع الكبير.....**52**

- جامع صالح باي (أو سيدي الكتَّاني).....**54**

- جامع رحبة الصُّوف.....**55**

- جامع القصبة.....**55**

- جامع سوق الغزل.....**56**

- الجامع الأخضر.....**56**

أ- المساجد المندثرة.....**57**

- جامع عمر الوزَّان.....**57**

- جامع سيدي عبد الرَّحمان المناطقي.....**57**

- جامع سيدي بن عيناس.....**57**

- جامع سيدي إبراهيم الرَّاشدي.....**57**

- جامع سيدي الهوَّاري.....58

2- الزَّوايا.....61-62

أ- زاوية آل الفكُّون.....61

ب- زاوية النجَّارين.....61

ج- زاوية بن رضوان.....61

د- زاوية بن نعمان.....62

هـ- زاوية بحي محجوبة.....62

و- زاوية التِّلمساني.....62

ز- زاوية بن جلول.....62

3- المدارس.....62-67

أ- المدرسة سيدي الأخضر.....63

ب- المدرسة الكتَّانيَّة.....65

4- الأوقاف.....67-70

ثالثا: المنشآت العموميَّة بمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعماريَّة.....70-77

1- السَّاحات.....70-71

أ- ساحة القصر.....70

ب- ساحة نومور.....71

ج- ساحة فالي.....71

د- ساحة نيفرييه.....72

هـ- ساحة رحبة الصُّوف 73

و- ساحة رحبة الجمال 73

ز- ساحة سيدي الجليس.....73

ح- ساحة القنطرة.....73

2- الأبواب.....74

أ- باب الحنانشة.....74

ب- باب الرواح.....74

ج- باب القنطرة.....74

د- باب الجايبة 74

هـ- باب الجديد.....74

و- باب الواد.....74

3- الأسواق.....75-76

أ- سوق ساحة نومور 75

ب- سوق الزَّرع.....75

ج- سوق الخضار.....75

د- سوق الجلد.....75

هـ- سوق البرانيس.....75

4- الجسور.....76-77

أ- جسر باب القنطرة.....76

ب- جسر سيدي راشد.....76

ج- جسر سيدي مسيد.....77

د- جسر ملاح سليمان.....77

رابعا: الأحياء السكانية بمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعمارية.....77

1/ الشَّوارع.....77

أ- شارع كومب.....77

ب- شارع كاهور.....78

ج- شارع بيريفو.....78

د- شارع دامريمون.....79

هـ- حي السّويقة.....80

2- التَّوسع العمراني الفرنسي باتِّجاه هضبة الكودية.....81-82

أ- تسويَّة هضبة الكودية.....81

ب - تسويَّة ضاحيَّة سان جان.....82

3/ التَّوسع العمراني باتِّجاه القنطرة.....**83**

أ- تسويَّة هضبة المنصورة.....**83-84**

الفصل الثالث: الوضع الاجتماعي في مدينة قسنطينة أثناء الاحتلال الفرنسي

أولا: وسائل وأساليب السِّياسة الفرنسيَّة في المجال الاجتماعي.....**87-100**

أ ــ الوسائل.....**87 ــ 97**

1- الجيش.....**87**

2- تشكيل قوَّات عسكريَّة محليَّة.....**88**

3- الصَّبايحيَّة.....**89**

4- المكاتب العربيَّة.....**90**

5- الاعتماد على العائلات الكبرى.....**91**

ب ــ الأساليب.....**97 ــ100**

1/ تشريع القوانين.....**97**

2/ التَّجنيس.....**99**

أ/ تجنيس الأهالي.....**99**

ب/ تجنيس اليهود.....**100**

ثانيًا: تغيير البنية السكَّانيَّة.....**101-115**

1/ التَّركيبة السكَّانيَّة للقسنطينيين.....**101**

أ- المسلمون.....102

ب- العائلات الحضريَّة القديمة.....102

ج- العائلات البورجوازيَّة الجديدة.....102

2/ تِعدَادَ السكَّان.....**104**

3 / حركة السكان.....**105**

4/ الهجرة.....**111**

أ ــ الهجرات الأوروبيَّة.....**111**

ثالثًا: أهداف السِّياسة الفرنسيَّة في الميدان الاجتماعي.....**115-125**

1/ تغيير البنية الاجتماعيَّة والمهنيَّة.....**115**

2/ القضاء على عادات وتقاليد المجتمع القسنطيني.....**116**

أ- الأعياد الدينية والمواسم المختلفة.....**117**

ب- الزَّواج وختان الأطفال.....**119**

رابعا: مقارنة تطورات الوضع الاجتماعي بين الفترة العثمانية والفترة الفرنسية.....**122**

خاتمة.....128-131

الملاحق.....**133-150**

فهرس الموضوعات.....**152- 158**

الملخص.....**159**

ملخص باللغة العربية :

عنوان المذكرة :التطور العمراني والاجتماعي لمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعمارية 1837 . 1945م.

عرفت مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني تطور كبير مسى مختلف جوانب الحياة ، خاصة الجانب العمراني و الاجتماعي منها ، حيث شهد النسق العمراني تحولات كبرى تمثل في إدماج أنماط معمارية جديدة ، وتغير المنظومة الاجتماعية للمجتمع القسنطيني. وفي ظل الفترة الاستعمارية 1837 ـ 1945م بعدما سقطت مدينة قسنطينة في يد الاستعمار الفرنسي عام 1837م بدأت التخطيطات العمرانية الأولى تبرز في المدينة شيئا فشيئا حيث تجلى ذلك في إقامة منشآت عمرانية ذات طابع أوروبي وبالتالي أدى إلى حجب النسيج العمراني القديم (العربي الإسلامي) .

استطاعت السلطات الفرنسية تحقيق أهدافها في الجانب الاجتماعي حيث تمثل ذلك في ظهور خلل على مستوى التركيبة الاجتماعية للسكان و تزايد عدد الأوروبيين الك على حساب السكان المحليين (الأهالي).

الكلمات المفتاحية : العهد العثماني ، الاستعمار الفرنسي ، النسق العمراني ، الطابع الأوروبي ، السكان المحليين .

Résumé En Français :

Titre de mémoire : Le développement urbain et sociale de la ville de constantine durant la période colonaile 1837 – 1945 .

Les mote clés : ére ottmane le colonialisme française aménagement urbain- caractére européе . les habitants (les gens) .

La ville de constatine ,à la fin de l’ére ottomane , a connu un grand développement dans divers aspects de la vie , surtout dans l’aspect

urbain et social , où le modèle urbain a connu des transformations majeres représentées par l'intégration de nouveaux styles architecturaux et changer le systéme sociale 1837 – 1945, après que la ville deconstantine soit tombeé entr les mains du colonialisme français en 1837 , les premiers plans d'urbanisme ont commencé à émerger dans la construction d'équipements urbains à caratére européen et a ainsi conduit à l'obescurcissement de l'ancien tissu urbain (arabe et islamique) , les autorités françaises ont petit a petit atteindre leurs objectifs sur le plan social , car cela c'est traduit par l'émergence d'un déséquilibre au niveau de la structure démographique de constantinople , ainsi que par l'augmentation du nombre d'européees au détriment des population .

بسم الله